

التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء السادس عشر



التفسير التحليلي للقرآن الكريم

الجزء السادس عشر

الأستاذ الدكتور
عبّاس عليّ الفحام

الطبعة الأولى / ٢٠٢٣م



مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع في بيروت - لبنان



مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع - نشر - توزيع)

التفسير التحليلي للقرآن الكريم

اسم الكتاب:

الجزء السادس عشر

الأستاذ الدكتور عباس علي الفحام

اسم المؤلف:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣ م

I.S.B.N.978-9922-702-09-4

ردمك

الأولى / ٢٠٢٣ م

رقم الطبعة:

١٧ × ٢٤

القطع الطباعي

٣٠٧

عدد الصفحات:

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

العراق - بابل - الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail: alssadiq@yahoo.com


مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع - نشر - توزيع

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ

وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

سورة المجادلة

مدنية، وهي اثنتان وعشرون آية

غرض السورة تعليم مجتمع الإسلام الآداب الاجتماعية كالحفاظ على وحدة الأسرة، ووحدة المجتمع، فافتتحت بأحكام الظهار، ونهت عنه، وفصلت الكلام بموضوع النجوى وعرضت عواقبه وأمرت باجتنابه، وشرعت بآداب المجالس والتفصح فيها، ثم حذرت الذين يحادون الله ورسوله، ووصفتهم أنهم في الأذلين، وأنذرت الذين يوادون أعداء الدين، وقالت عنهم إنهم غير مؤمنين، بينما وعدت المؤمنين الحذرين من محاباة المتربصين الشر بالإسلام وعدا جميلا في الآخرة، ومضامين السورة تؤيد كونها مدنية.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ

وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ ﴾

قوله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) افتتح الكلام بـ (قد) لتحقيق الإخبار وتأكيد، وفيه إشعار بتوقع الفرج باستجابة الدعاء، ولا تنافي بين التوقع والتحقيق لأن الإخبار هنا جاء به في غير ظاهره، فكان السائل متردد في قبول الحكم متوقع لاستجابة الشكوى، فمعنى (سمع الله) مجاز

مرسل مما يترتب على السماع وهو الاستجابة، نظير الدعاء في الصلاة:
سمع الله لمن حمده.

والقول الكلام، والإخبار عن المرأة بصيغة الموصول لإفادة التنويه
برجوعها إلى الله، ولإيجاز قصتها التي لأجلها نزلت الآية، وكان زوجها
قد ظاهرها، أي: قال لها: أنت مني كظهر أمي، وكان الظهار من طلاق
الجاهلية الذي أبطله الإسلام، ولفظ المجادلة معناه المراجعة في الكلام،
وفعل المضارع دال على تكرار سؤالها الرسول ﷺ عن حلية بقائها مع
زوجها، فهي على ما يظهر كانت حريصة على ألا تباينه.

قوله (وتشتكي إلى الله) الجملة موقعها الحال من فاعل (تجادلك)، أي: في
حال من التضرع إلى الله لما حل بها من سوء الحال، والاشتكاء كما قال
في المجمع: إظهار ما بالإنسان من مكروه، والشكاية إظهار ما يصنعه به
غيره من المكروه. انتهى.

قوله (والله يسمع تحاوركما) الجملة حال ثانية من فاعل (تجادلك)، وفعل
السمع غيره في الأول أعني قوله (قد سمع الله)، فهو هنا مستعمل في معنى
الاعتناء والاهتمام، ودلالة المضارع استحضر الحال، نظير قوله تعالى:
(لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) [آل عمران: ١٨١]،
غير أن السمع هنا يراد به التهديد، ولفظ التحاور تفاعل في تبادل الكلام
ومراجعته بين المتحاورين، ونحوه قول عنتره في إرهاق حصانه:

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

والثنية في اللفظ على سبيل التغليب، وتشريف المرأة بالذكر بأن ضمنت في الضمير مع نبي الرحمة ﷺ.

قوله (إن الله سميع بصير) تعليل لجمل فعل السمع، بأسلوب التحقيق بحرف النسخ، والسميع البصير المبالغ في سماع ما يسمع وإبصار ما يبصر، وإظهار لفظ الجلالة ثلاث مرات في موضع الإضمار كما ذكر أبو السعود: لتربية المهابة في النفس، وتعليل الحكم بوصف الألوهية، وتأكيد استقلال الجملتين. أه.

والآية تؤيد ما جاء في سبب النزول من أن امرأة من الأنصار اسمها خولة بنت ثعلبة ظاهرها زوجها أوس بن الصامت ثم ندم عليه، فراجعت الرسول ﷺ تسأله في إيجاد سبيل لرجوعهما إلى بعض، وجادلته في كونه ليس طلاقاً، فاشتكت متضرعة إليه سبحانه سائلة الفرج منه وقضاء حاجتها على يد رسوله ﷺ، فنزلت الآية لإبطال حكم الظهار.

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾

قوله (الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم) الاستئناف لتبيين حكم الظهار، وإبطال واحدة من المفاصد الجاهلية في تفريق وحدة الأسرة.

و(يظاهرون) أي: يقولون لزوجاتهم: أنت مني كظهر أمي، لإيقاع التطلاق الأبدى، تشبيها للزوجة بالأم في حرمة مواجهة المظاهر للمظاهر منها، و(من) في (منكم) للتبعيض، و(من) الثانية للتعدية.

وجملة (ما هن أمهاتهم) محلها الخبر لاسم الموصول، والنفي تكذيب للقول بالمظاهرة، أي: زعم لا حقيقة له، ولا أثر.

قوله (إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم) تعليل للنفي، بأن الأثر المترتب على الظهار، أن يكونوا مولودين فعلا من ظهور أمهاتهم، لا الأخذ بمجرد الكلام الخالي من الحقيقة.

قوله (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) جملة تقرير للنفي، وهو أنهم يقولون بما لا يوافق الشرع ويكذبون في عدم مطابقة قولهم الواقع الحقيقي الثابت.

ولفظ (منكرا) صفة لقول، وتنكير اللفظ للتشديد أي: قولا منكرا، ينكره الشرع والعقل والطبع، و(من) بيانية، والزور الكذب.

قوله (وإن الله لعفو غفور) الإخبار دال في مضمونه على أن ذنبهم مغفور، لأنه تعالى عظيم العفو والغفران، ويبدو أن الكفارة مشروطة قبل المواقعة كما بينتها الآية التالية.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝۳ ﴾



قوله (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) أي: الذين قالوا بالظهار من نسائهم ثم أرادوا الرجوع عما قالوا ووطء نسائهم فعليهم كفارة تحرير رقبة قبل الوطء، وهذا الرأي ما ذهب إليه أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و(ثم) للتراخي الرتبي في الكلام، ومعنى (يعودون لما قالوا) إرادة الرجوع إلى ما كان عليه قبل الظهار، بقرينة قوله (من قبل أن يتماسا)، واللام في (لما) بمعنى (إلى)، أي: إلى ما قالوا، فهي لام التلافي والتدارك لا لام التكرير والإعادة، أي: يعودون إلى تدارك ما قالوا بالظهار بنقضه بالوطء.

ومعنى (فتحرير رقبة) كناية عن القول للعبد المملوك: أنت حر، وذكر الرقبة مجاز مرسل بعلاقة الجزئية، كون المملوك يقاد من رقبته، والفاء لأن الموصول في قوة الشرط، فدخلت الخبر الفاء لأنه بمنزلة الجزاء.

و(من) مزيدة للتأكيد، وفعل التماس كناية عن المواقعة بين الزوج والزوجة، وهي من الكنايات القرآنية التي تراعي الحياء التربوي الإنساني.

قوله (ذلكم توعظون به) أي: ذلك التغليظ بالكفارة وعظ لكم، حتى تتركوا الظهار، فالغرامات زواجر لكم عن ارتكاب المعاصي، وحتى ترتفع بها التبعات.

قوله (والله بما تعملون خبير) أي: والله عليم بأعمالكم ومنها الكفارة قبل الوطء، فأدوها، ولا تعودوا لمثلها.

قال تعالى ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) تفصيل لأحوال الحكم بالكفارة، لتيسير التشريع، والفاء الأولى للتفريع، والثانية للجزاء واقعة في جواب (من) الشرطية.

والصلة المحذوفة من الفعل المجزوم (يجد) تقديرها: فمن لم يجد مالا يحرر به رقبة، ومعنى (فصيام) أي: فعليه صيام شهرين متتاليين، والقيد الظرفي أعني قوله (من قبل أن يتماسا) لدفع توهم أن يكون بالحكم الأول فقط، أي: تحرير الرقبة.

قوله (فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا) الكلام تفریع بعد تفریع، والاستطاعة القدرة، ونفيها بسبب علة مرضية أو لضعف في البدن بحسب ما فصله الفقه.

قوله (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي: ذلك الحكم، غايته الإيمان بالله ورسوله، وأثره العمل بشريعته وترك سنن الجاهلية.

قوله (وتلك حدود الله) اسم الإشارة لتعظيم أحكامه تعالى، وشبهها بالحدود لأنها فواصل واضحة ممنوعة من التعدي عليها، وأضافها إلى نفسه تعالى لبيان تعظيمها وحرمة تجاوزها.

قوله (وللكافرين عذاب أليم) الكفر يراد به - والله أعلم - المعنى اللغوي، وهو العصيان والجود، وإظهاره - بحسب السياق - لبيان أن من لا يعمل بحدود الله فيما ذكر بمنزلتهم واقع موقعهم، لأنه راد لأحكام الله مخالف لها، مؤثر لأحكام الجاهلية عليها، ولذلك استحق الحكم عليه بالعذاب الأليم.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾

قوله (إن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) استئناف لأهمية الإخبار، ويحتمل تعليل النهي المتضمن عن تعدي حدود الله، بأن عاقبته الإخزاء والإذلال.

والمحادة المخالفة والمعادة، وذكر محادة الله باعتبار محادة رسوله، والكبت الإخزاء، والتشبيه بإذلال الأمم المخالفة السابقة للتحذير، بأن سنة الله جارية في عقاب المخالفين وأن المخاطبين ليسوا بمعزل عن عذاب الكبت إن أصروا على محادة الله رسوله، وقيل إن المقصود بهم مشركو قريش نزلت فيهم يوم هزموا في الخندق.

قوله (وقد أنزلنا آيات بينات) جملة حالية من ضمير (كبتوا)، وإسناد إنزال الآيات إلى الله لتأكيد صحة غيبها وأنها منزلة على صادق في التبليغ مبين في إيصالها إلى الناس، ولفظ الآيات يعني بها آيات القرآن الكريم المبينة لوجوب طاعة الله ورسوله، وتتكبرها لتعظيم شأنها، ووصفها بالبينات لأنها واضحة الدلالة مفهومة المقاصد.

قوله (وللكافرين عذاب مهين) أظهر المحادين لله ورسوله الرادين لآيات الله بلفظ الكافرين، لبيان حجة الحكم عليهم بالعذاب المهين، أي: العذاب الموصوف بالخزي والإهانة، وإسناد الإهانة إلى العذاب من باب المجاز العقلي للمبالغة.

قال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ

وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

قوله (يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا) الظرف متعلق بالفاصلة الأخيرة، والإخبار إيعاد للكافرين الجاحدين، و(يبعثهم) بمعنى: يحييهم بعد

موتهم للقيامة والحساب، ونصب (جميعاً) على الحال المؤكدة، والفاء في (فينبئهم) للتفريع، وإنباؤهم مجاز من محاسبتهم وعقابهم بما عملوا من أعمال سيئة في حياتهم الدنيا.

قوله (أحصاه الله ونسوه) أي: أحصى الله عملهم في صحائف أعمالهم في حال نسيانهم له، ومعنى الإحصاء العد، وأصله أنهم كانوا يعدون الأشياء بالحصى، ودلالته الضبط والتوثيق ونفي فوات شيء، وضمير الهاء في (أحصاه ونسوه) راجع إلى العمل المفهوم من قوله (عملوا).

والواو في (ونسوه) للحال، والجملة موقعها الحال، أي: في حال نسيانهم وغفلتهم وعدم اكرثاتهم.

قوله (والله على كل شيء شهيد) الإخبار مضمونه التعليل للإحصاء، والشهادة الحضور ويراد باللفظ العلم والإحاطة لكل شيء، وتقديم الظرف بقصد العناية.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ جَنَّةٍ ثَلَاثَةً إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

قوله (ألم تر أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) الاستفهام يفيد التقرير لعلم الله بكل المعلومات في واسع مملكته العريضة، وفعل الرؤية استعارة بمعنى: ألم تعلم، والخطاب للنبي ﷺ، ويراد به كل مكلف.

قوله (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) الكلام نتيجة للسبب المتقدم، و(ما) نافية، و(من) مزيدة لتقوية عموم النفي، ولفظ النجوى والمناجاة والتناجي بمعنى واحد وهو حديث الهمس الذي يتناجى به المتناجون، والتعداد بلفظ الأربعة والخمسة لإفادة التمثيل بالحضور، وليس بمعنى المجاورة لأن ذلك للأجسام، والمعنى: أي: نجواهم معلومة عنده تعالى كما تكون معلومة عند الرابع أو الخامس الذي هو معهم، وضمائر الأفراد كلها راجعة لله تعالى.

وقال في البحر المحيط: واختص الثلاثة والخمسة لأن المنافقين كانوا يتناجون على هذين العددين مغايظة لأهل الإيمان. انتهى.

قوله (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا) جملة ترق في تمثيل سعة العلم بالحضور المعنوي، بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، والمستثنى في المواضع الثلاث موقعه الحال، ومعنى (ولا أدنى من ذلك) أي: ولا أقل من المتناجين الثلاثة والخمسة، وهما الاثنان، والأربعة، ولا أكثر أي الستة فصاعداً، وفي نفي الأدنى والأكثر مقابلة بديعية تجنب بها ولفظ الإشارة تكرار الأعداد.

ومعنى المعية العلمية بما يتناجون به، ومشاركته تعالى لهم فيها بالعلم والاطلاع، لا المعية الجسمانية لأن الله يستحيل عليه الجسم والمكان والزمان، ولذا أكد إحاطته بقوله (أينما كانوا) فهو تعالى في كل مكان ولا يضمه مكان، وذلك لأن وحدته تعالى أحدية لا عددية تتمم بالاثنتين والثلاثة وهكذا، كأنه يماثل غيره فيقبل العد، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام: واحد لا بعدد، ودائم لا بآمد، وقائم لا بعمد. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) العطف ب (ثم) للتراخي الرتبي، والإنباء الإعلام، أي: يخبرهم ربهم بما عملوا من مسارة في الكفر والنفاق، فيخزيهم على رؤوس الأشهاد ويجزيهم لقاء نفاقهم، فقد قيل إن الآية نزلت في نهي المنافقين عن التناجي، ففي المجمع: قال ابن عباس نزل قوله: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) الآية، في اليهود والمنافقين، إنهم كانوا يتناجون فيما بينهم، دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا: ما نراهم إلا وقد بلغهم عن أقربائنا وإخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل، أو مصيبة، أو هزيمة، فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم، فنزلت الآية. انتهى.

قوله (إن الله بكل شيء عليم) تعليل لقوله (فينبئهم) بطريق التحقيق، أي المبالغة في علمه تعالى بكل شيء، وإظهار لفظ الله للتعظيم، وتقديم المتعلق للعناية.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ
بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
يَصَلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾

قوله (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) الاستفهام
للتقرير والتوبيخ، والخطاب للرسول ﷺ، للإخبار عن المتناجين بصيغة
الغائب تحقيرا لشأنهم.

والذين نهوا عن التناجي لأذى المؤمنين هم المنافقون واليهود كما تقدم في
سبب النزول، وإن كانت مضامين الآية تخص المنافقين أكثر من اليهود.

وفي دلالة الفعل المضارع (يعودون) تكرار التناجي بقصد تكدير المؤمنين
وفت عزمهم، لأنهم يتغامزون بينهم بما يغم المؤمنين من أخبار سرايا
المقاتلين، والإتيان بجملة الموصول (يعودون لما نهوا عنه) من دون
الاكتفاء بضمير النجوى فلم يقل: يعودون إليها، لبيان علة الذم ومساءة
العود، كونها أمرا منهيًا عنه.

قوله (ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) الجملة معطوفة داخلية
في ذم تناجيهم، بما يشتمل على ضروب من المعصية، والباء للملابسة،
والإثم إشارة إلى النجوى نفسها، ولفظ العدوان لأنهم يقصدون بها المساءة

للمؤمنين، وأما معصية الرسول فلأنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ في الامتناع عن النجوى بالعودة إليها مرة بعد مرة، وتعريف الرسول للعهد الحضوري أي: الرسول محمد ﷺ.

قوله (وإذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله) الخطاب للنبي ﷺ، والإخبار عن المنافقين، لأنهم كانوا إذا أتوا النبي ﷺ حيوه بتحية الجاهلية فيقولون: أنعم صباحا، خلاف تحية الله لرسله، والتعبير بقوله (بما لم يحيك به الله) لتسجيل التشنيع عليهم، وذلك لأن الله تعالى حيى نبيه بالتسليم وشرع له ذلك من عنده تحية مباركة، فقال: (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) [الأحزاب: ٥٦]، وقال: (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) [النور: ٦١]، وقال (فسلام على عباده الذين اصطفى) [النمل: ٥٦]، وقيل إن المراد بهم اليهود، وقالوا: إنهم كانوا إذا جاؤوا الرسول ﷺ يموهون بالسلام فيقولون: السام عليك، والسام هو الموت، بدلا من: السلام عليك، فيرد عليهم النبي ﷺ: وعليك، وفي هذا التفسير نظر، إذ لا يؤيده الكلام في الآية بعده.

قوله (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) الجملة موقعها الحال، أي: يحيون النبي ﷺ بذلك في حال أنهم يحدثون أنفسهم بما قالوا منكرين صدق رسالة النبي ﷺ، ومضمون جملة (لولا يعذبنا الله بما نقول): لو كان هذا نبيا حقا لعذبنا الله بقولنا فيه بالذم.

و(لولا) بمعنى: هلا، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية أي: بسبب قولنا.

قوله (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) الكلام رد من الله على قول المنافقين، بأنهم مخطئون في نفي العذاب عن أنفسهم، لأنهم معذبون لا محالة بما أعد لهم من عذاب جهنم يوم القيامة وما هي عنهم ببعيد، وبئس المصير مصيرهم في جهنم.

والحسب الكفاية، وجملة (يصلونها) محلها الحال، والصلي مقاساة النار، والأصل أن يقال: يصلون بها، فعدي بنفسه لتضمنه معنى: يذوقونها، والفاء المقترن بـ (بئس) لتفريع الذم لمصيرهم البائس.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَّخِذُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَنِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) الكلام تأديب للمؤمنين وتحذير من أن يفعلوا كما يفعل المنافقون في خلواتهم ومناجاتهم بارتكاب الكذب والغيبة والظلم ومخالفة الرسول

ﷺ

قوله (وتتاجوا بالبر والتقوى) أمر بعد نهى، أي: وليكن حديثكم بينكم بما يشيع الخير للمؤمنين ومما يخشى به الله تعالى، كما قال تعالى (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) [النساء: ١١٤].

قوله (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي: راقبوا حساب الله في أعمالكم، لأنكم ستحاسبون عليها، بعد حشركم إلى لقاءه، وفائدة الإتيان بجملة الموصول لبيان علة الأمر بالتقوى.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

قوله (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) تفيد (إنما) القصر، وتعريف النجوى للعهد أي المذكورة بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ﷺ، و(من) بمعنى الغاية، أي: بسبب الشيطان، هو الذي زينها للمنافقين ومرضى القلوب، وجملة (ليحزن الذين آمنوا) جملة غائية للشيطان، وتحزين المؤمنين إدخال الحزن في نفوسهم لأن تناجي المنافقين موح بنوع من الإرجاف والإشاعة بين صفوف المؤمنين، في وقت قلق الحرب والقتال مع الأعداء.

قوله (وليس بضارهم شيئاً إلا بإذن الله) الجملة موقعها الحال، وفي مضمونه طمأنة المؤمنين بنفي أن يقع ضرر المنافقين مستقلاً من دون إرادة الله.

قوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) الجملة حث للمؤمنين بتفويض الأمر إليه سبحانه وحده، لأن من يتوكل عليه لا يخيب سعيه، وتقديم الظرف للقصر، وإظهار لفظ المؤمنين لاستنهاض التوكل بعده من أثر إيمان المؤمن.

ومن الآداب النبوية المربية للمؤمن قوله ﷺ: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه. انتهى.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) النداء لتأديب المؤمنين وتعليمهم بعض الآداب الاجتماعية، التي تحفظ الود لأفراد المجتمع، ومنها آداب المجالس، فالآية وإن نزلت لتعليم الجالسين في مجلس الرسول ﷺ غير أن فائدتها عامة، فقد كان المؤمنون حريصين على الجلوس قريبين من النبي ﷺ لسماعه والأنس بقربه،

فيجلسون متضامين لا تسمح طريقة جلوسهم بإفساح المكان لغيرهم، فأمرُوا بالسعة وإعطاء ذي الفضل فضله في المجلس.

والنفسح التوسع في المكان، والمجالس أماكن الجلوس، وجملة (يفسح الله لكم) تفيد الوعد لهم من الله بمطلق اليسر، لأن فعل الفسح استعمل مجازاً في معنى السعة في المكان والصدر والرزق والقبر والجنة، وجزم الفعل (يفسح) لأنه جواب الأمر (فافسحوا).

قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) الشرط لبيان أدب آخر من آداب المجالس، والانشوز أصله الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه، ويراد به القيام عن المجلس، أي: إذا أمرتم بالقيام عن المجلس بإعطائه لغيركم فقوموا عنه إعظاما لفضله.

قوله (يرفع الله الذين آمنوا منكم) جزم (يرفع) لأنه جواب (فانشزوا) وفعل الرفع مجاز لعلو المقام والمنزلة عند الله، وصلة (آمنوا) بتقدير: الذين آمنوا منكم بالتزام طاعته وامتنال أوامره، وحرف الجر (من) في (منكم) للتبعيض.

قوله (والذين أوتوا العلم درجات) أي: ويرفع الله أهل العلم الموصل إلى رضاه تعالى وقربه درجات، ولفظ الدرجات استعارة مرشحة لعلو المنزلة.

وفي الآية تفريق في المنزلة بين المؤمن والمؤمن العالم، وفيها إعلاء لشأن العلماء، وفي المجمع: روي عن الرسول ﷺ قوله: فضل العالم على الشهيد درجة، وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم

درجة، وفضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه، وفضل العالم على سائر الناس، كفضلي على أدناهم. رواه جابر بن عبد الله.

وفيه: وقال علي عليه السلام: من جاءته منيته وهو يطلب العلم، فبينه وبين الأنبياء درجة. انتهى.

قوله (والله بما تعملون خبير) الجملة تأكيد للحكم السابق، ولا يخلو مضمون الخبر من تهديد للذين لا يمتثلون لما أمروا به.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الكلام من الأحكام التي لم تدم طويلا، فقد فرض الله الصدقة على الفقراء قبل الدخول لمناجاة الرسول ﷺ والانفراد بحديثه، تطيبيا لنفوس الفقراء لئلا يكونوا غير قادرين على تناجي النبي ﷺ.

وجملة (قدموا بين يدي نجواكم) من الاستعارة التمثيلية، أي تصدقوا قبل نجواكم، فشبه القرب الزماني بالقرب المكاني لأن ما بين اليدين أقرب ما يكون إلى الإنسان.

قوله (ذلك خير لكم وأطهر) تعليل للتشريع، أي: أفضل لكم، وأطهر لنفوسكم، قال العلامة الطباطبائي: ولعل الوجه في ذلك أن الأغنياء منهم

كانوا يكثرون من مناجاة النبي ﷺ يظهرون بذلك نوعا من التقرب إليه والاختصاص به، وكان الفقراء منهم يحزنون بذلك وينكسر قلوبهم، فأمرُوا أن يتصدقوا بين يدي نجواهم على فقرائهم بما فيها من ارتباط النفوس وإثارة الرحمة والشفقة والمودة وصلة القلوب بزوال الغيظ والحنق. انتهى.

قوله (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) الفاء للتفريع، والفاء الثانية واقعة في جواب (إن) الشرطية، والمعنى: فإن لم تجدوا شيئا تتصدقون به في نجوى الرسول ﷺ، فلا يجب عليكم، فقد رخصه لكم ورفع الحكم عنكم.

وجملة جواب الشرط جملة اسمية قامت مقامه، مؤكدة بحرف النسخ ومحقة للمعنى بالإسمية، ومبالغة في كثرة الغفران والرحمة، لأن ذاته تعالى كذلك، وعدل فيها عن الإتيان بالمسبب، فلم يقل: فقد عفا عنكم، بل جاء بالسبب لإفادة تسيير الإخبار في الأذهان، ولذلك صرح بلفظ الجلالة، دون الإضمار.

قال تعالى ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ جُحُودِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٣)

قوله (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية ناسخة لحكم التصديق في النجوى، والاستفهام للإنكار وتوبيخ الذين انقطعوا عن مناجاة النبي ﷺ بسبب فرض الصدقة على الفقراء، فلم يناجيه أحد سوى علي

عليه السلام فقد ناجاه عشر مرات قبل رفع الحكم، نقل في الدر المنثور عنه عليه السلام قوله: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها بعدي آية النجوى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت النبي ﷺ قدمت بين يدي نجواي درهما، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) الآية. انتهى.

وقد كانت تلك من مناقبه عليه السلام، ذكر في مجمع البيان: قال ابن عمر: وكان لعلي بن أبي طالب عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن، لكانت أحب إلي من حمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطائه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. انتهى.

ولفظ الإشفاق أشد الخوف، أي: أخشيتم على أنفسكم الفقر بالتصدق وبذل المال فتركتكم النجوى، وتنكير لفظ (صدقات) للتقليل.

قوله (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) الفاء للتفريع، و(إذ) ظرف للتعليل، وصلة (تفعلوا) محذوفة للإيجاز بتقدير: لم تفعلوا ما أمرتم به من التصديق، وجملة (وتاب الله عليكم) موقعها الحال، وتوبة الله عليهم عفوه عنهم.

قوله (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) الفاء للتفريع، أي: لا يكن ذلك العفو سببا في التهاون بباقي التكاليف، بل التزموا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله.

ومعنى (أقيموا الصلاة) قوموا عليها، وأدوها بأحسن أدائها، ومعنى (آتوا الزكاة) اعطوها لمستحقيها بحسب مواردھا في الشريعة، وتقديم الصلاة لشرفھا، واقتران الزكاة بها للإشعار بأن الإيمان رابط بين العبادات الذاتية والخارجية هذا يكمل ذاك، وفي الأمر (وأطيعوا الله ورسوله) ترق في الأوامر بذكر العام بعد الخاص، لأن طاعة الله ورسوله تخص سائر التكاليف.

قوله (والله خبير بما تعملون) إخبار في مضمونه التقرير لحكم وجوب طاعة الله ورسوله، ولفظ الخبير صيغة مبالغة بمعنى العليم.

قال تعالى ﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١٤)

قوله (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) الاستفهام للتعجيب من حال ولاية المنافقين في حال تظاهرهم بالإسلام لليهود المنكرين له، والخطاب في (تر) للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب عاقل، والولاية المقصودة ولاية الاتباع والانقياد، لأنهم كانوا يوادونهم في المساءة إلى النبي ﷺ والدين، ويفشون إليهم اسرار المؤمنين.

وتتكير (قوما) للاحتقار، ويعني بهم اليهود، فإنهم الذين وصفوا بغضب الله عليهم لقوله تعالى (مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرْدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ) [المائدة: ٦٠].

قوله (ما هم منكم ولا منهم) الفصل لزيادة التعجيب من حال المنافقين، وضمير الجمع الأول (هم) عائد إليهم، وضمير الخطاب في (منكم) عائد إلى المؤمنين أي: ليسوا من جنس إيمانكم، والضمير الثالث في (منهم) راجع إلى اليهود، والمعنى أن المنافقين في ضياع واضح فهم ظاهرهم الإسلام وليسوا بمسلمين حقيقة، ويوالون اليهود وليسوا من دينهم، والكلام في معنى قوله تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء) [النساء: ١٤٣].

قوله (ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) جملة محلها الحال، والحلف القسم، ومضارع الفعل لتكرار ذلك من المنافقين فقد كانوا يقسمون كذبا للمؤمنين أنهم مثلهم مؤمنون، ويعلمون أنهم كاذبون.

وسمى حلفهم (على الكذب) باعتبار حقيقته، لأن المنافقين ظاهرا يحلفون على كونهم مؤمنين، وجملة (وهم يعلمون) جملة حالية، أي: في حال علمهم بحقيقة نفاقهم وظاهر إيمانهم.

قال تعالى ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) أي: هيا الله لأجلهم يوم القيامة عذابا موصوفا بالشدة وهو عذاب النار والخزي.

قوله (إنهم ساء ما كانوا يعملون) تعليل للتهية، وذلك لاستمرارهم على عملهم السيء في حياتهم الدنيا.

قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ



قوله (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي: جعلوا أيمانهم للمؤمنين بأنهم مؤمنون مثلهم ترسا يدفعون به التهمة عن أنفسهم بالنفاق والكفر، فصرفوا أنفسهم وغيرهم عن اللحاق بسبيل الإسلام الذي هو سبيل الله الموصل إلى رضاه.

والإيمان جمع يمين وهو القسم، والجنة السترة الواقعة من الأذى، والفاء في (فصدوا) لتفريع النتيجة على السبب، والصد المنع والصرف، وسبيل الله استعارة لدينه دين الإسلام.

قوله (فلهم عذاب مهين) الفاء تفريع بعد تفريع، واللام في (لهم) للاختصاص، والتقديم للعناية، والعذاب المهين العذاب المخزي، وتذكيره لنوعيته.

قال تعالى ﴿ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ

النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧﴾

قوله (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) الكلام وعيد بعد وعيد للمنافقين، وتأييس لهم من النجاة من النار يوم القيامة إن استمروا على النفاق.

ومعنى (لا تغني) لا تنفع، وتعديته بحرف التجاوز في (عنهم) لتضمن الفعل معنى الدفع، وذكر الأموال والأولاد باعتبارها أهم مظاهر التعلق بالدنيا التي لأجلها ينافق المنافقون، ومعنى (من الله) أي: من بأس الله وعذابه، وتكثير (شيئا) للعموم.

قوله (أولئك أصحاب النار) جملة تعليل، أي: لأنهم أصحاب النار الملازمون لها المستقرون فيها.

قوله (هم فيها خالدون) جملة قصر شديدة التأكيد لما قبلها، والخلود دوام البقاء.

قال تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ، كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾

قوله (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم) الإخبار من غيوبه تعالى يوم القيامة عن أحوال المنافقين، والظرف متعلق بقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا)، وهو يوم القيامة، حيث ينشرون من قبورهم للحشر والحساب، ونصب (جميعا) على الحال المؤكدة، والفاء في (فيحلفون) للتفريع، أي: يقسمون لله على كونهم مؤمنين كما يقسمون لكم على كذلك، مع أنهم في عالم انكشاف الحقائق.

والآية تظهر مدى رسوخ النفاق في نفوسهم، بحيث يبدو من طبعهم، عاشوا وماتوا وبعثوا في سوءه، وآيات البعث تنقل مثل هذه الأخلاق السيئة عنهم

كاختصامهم فيما بينهم، وأمانهم في الخروج من النار، وسؤالهم الرجوع إلى الدنيا، ومثله قسم المشركين المحكي عنهم في قوله تعالى (والله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام: ٢٣].

قوله (ويحسبون أنهم على شيء) أي: ويظنون أن حلفهم ينفعهم بشيء، وحرف الجر (على) مجاز استعلائي يفيد شدة تلبس صفة الكذب في أنفسهم، وتكثير (شيء) من دون توصيفه لظهور معناه، أي: على شيء مفيد لتصديقهم.

قوله (ألا إنهم هم الكاذبون) رد من الله تعالى عليهم بقضائه بكذبهم المحقق، الذي يتبعه العذاب الشديد.

قال تعالى ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) الكلام بمنزلة التعليل لمآل المنافقين، والاستحواذ الغلبة والاستيلاء، و(على) في (عليهم) مجاز للتمكين، واستحواذ الشيطان تمكن وسوسته من نفوسهم الباطلة، والفاء في (فأنساهم) لتفريع النتيجة على السبب، ونسيان ذكر الله مجاز لتركهم طاعته وخوف عقابه.

قوله (أولئك حزب الشيطان) استئناف لتقرير حال المنافقين، والإتيان بلفظ الإشارة للبعد لتحقيرهم بما سيخبر عنهم، وحزب الشيطان جنوده المتحزبون له.

قوله (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) تنبيه لتأكيد قصور حزب الشيطان في خسران الفوز بالجنة ورحمة الله.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾

قوله (إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) الاستئناف لتعليل الخسران، أي: إنما خسروا لأنهم يحادون الله ورسوله بالشقاق والمخالفة، والكلام رجع إلى ما بدأ به في محادة الله ورسوله.

ولفظ الإشارة (أولئك) بدل من اسم الموصول للتحقيق، و(في) للتلبس الظرفي، أي: في جملة القوم الأذلين، ووصفهم بمطلق الذل لأن العزة في طاعة الله ورسوله.

قال تعالى ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾

قوله (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) الكلام تعليل لقوله لما تقرر في الآية السابقة، وفعل الكتابة مجاز استعاري لقضائه تعالى وحكمه، وفعل المضى دال على تقريره وثباته، واللام في (لأغلبن) موطئة للقسم، أي: وأقسم

لأغلبين، والغلبة القهر، وأصله من إصابة الرقبة، والرجل الأغلب الغليظ الرقبة، والمرأة غلباء، وجمعه غلب.

وإظهار ضمير الفصل الإفرادي للتحقيق، ورسّل الله أنبياءه المرسلون من عنده، وحتم الله الغلبة المطلقة له تعالى ولرسله لأنها غلبة بالحجة والتأييد والإيمان به سبحانه، أما من حيث الحجة فإن الإنسان مفطور على صلاحية إدراك الحق والخضوع له، وأما الغلبة من حيث التأييد الغيبي والقضاء للحق على الباطل فيكفي فيها أنواع العذاب التي أنزلها الله تعالى على مكذبي الأمم الماضين كقوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وعلى آل فرعون وغيرهم، وأما الغلبة من حيث طبيعة الإيمان بالله ورسوله فإن إيمان المؤمن يدعوّه إلى الدفاع والذب عن الحق والمقاومة تجاه الباطل مطلقاً وهو يرى أنه إن قُتِلَ فاز وإن قُتِلَ فاز فثباته على الدفاع غير مقيد بقيد ولا محدود بحد، وهذا بخلاف من يدافع لا عن الحق بما هو حق بل عن شيء من المقاصد الدنيوية، فإنه إنما يدافع لأجل نفسه فلو شاهد نفسه مشرفة على هلكة أو راكبة مخاطرة تولى منهزماً. منقول عن السيد الطباطبائي بتصرف.

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) مشيراً إلى غلبة النبي (صلى الله عليه وآله) على أعدائه: فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (إن الله قوي عزيز) تعليل لقائه تعالى بالغبلة هو ورساله، وهو لأنه قوي لا يقهره قاهر، عزيز لا يمتنع منه شيء.

والآية بمجملها نظير قوله تعالى في الصفات ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾.

قال تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) الخطاب في نفي الوجدان لكل مخاطب، وتنكير (قوما) لإفادة العموم، وجملة (يؤمنون بالله وباليوم الآخر) محلها الصفة لقوم، أي يؤمنون إيماناً صادقاً لا تخالطه أي شائبة، وجملة (يوادون) محلها النصب مفعول ثانٍ للفعل (تجد)، والموادة والمودة واحدة، أي: أهل الإيمان الصادق لا يحبون الذين يعادون الله ورسوله.

قوله (ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) جملة الافتراض، لبيان قوة إيمان المؤمنين في رفض موادة المحادين لله ورسوله وتبريهم منهم ولو كانوا ذوي نسب، وذكر الآباء والأبناء والإخوان والعشيرة لأن مودة النسب أثبت المودات.

وضمير الجمع (كانوا) باعتبار المعنى الجمعي في ضمير اسم الموصول (من حاد)، كما أن الأفراد في الفعل باعتبار لفظه.

قوله (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) لفظ الإشارة لتمييز المؤمنين والتنويه بما سيخبر عنهم من ثبات الإيمان في نفوسهم، لأن فعل الكتابة دال على عدم التغيير كما تقدم، وضمير الفاعل فيه عائد إليه سبحانه.

قوله (وأيدهم بروح منه) أي: وأيدهم الله بقوة منه تعالى، أو أيدهم بقوة من جنس الإيمان.

قوله (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي: ويجازيهم في يوم القيامة بأن يدخلهم جنات عظيماات الشأن موصوفات بجريان الأنهار من تحتها خالدين دائمين في نعيمها.

قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) جملة تعليل لما سبق، ورضى الله عنهم مجاز من إثابته تعالى لهم، ورضاهم عنه سبحانه قبولهم ما كافأهم به من نعيم الجنة والتأييد.

قوله (أولئك حزب الله) الإتيان بلفظ الإشارة لتعظيم المؤمنين الموصوفين بما تقدم، وللتنويه بأنهم أحرىء بخبر كونهم حزب الله وجنوده المنصورين.

قوله (ألا إن حزب الله هم المفلحون) جملة تنبيه وتقرير، وبشارة للمؤمنين بحتمية ظفرهم، لما أنهم شرفوا بكونهم حزبه تعالى، كما أن أولئك أخزوا بكونهم حزب الشيطان.

سورة الحشر

مدنية، وهي أربع وعشرون آية

تعرض السورة قصة خيانة بني النضير لعهودهم مع النبي ﷺ، وعاقبة غدرهم في الأمر بإجلائهم، بعد أن اتاهم الله من حيث لم يحتسبوا، فقذف في قلوبهم الرعب، ولم تنفعهم حصونهم، وكشفت السورة عن فئة بعض منافقي المدينة، ووعدهم الكاذبة لبني النضير في الوقوف معهم ضد المسلمين، واختتمت بآيات التسبيح وذكر أسماء الله العلى الدالة على كمال ألوهيته وربوبيته سبحانه.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ



قوله (سبح لله ما في السماوات وما في الأرض) التسبيح - كما تقدم غير مرة - تنزيه الله عما لا يليق به من نقص، وتعديته باللام للاختصاص، وتكرار (ما) الموصولة لزيادة تقرير تسبيح كل فريق في السموات والأرض.

قوله (وهو العزيز الحكيم) أي: وهو الله الموصوفة ذاته بكثرة العزة والحكمة، وذكر التسبيح لعموم ما خلق الله في مملكته والإخبار بعظمة

عزته وحكمته متعلق بما في الآيات بعدها من ذكر خيانة اليهود ونقضهم لعهودهم وتذكيرهم بعاقبة الغدر.

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ أُلُوهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ ﴿٢﴾

قوله (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) القصر بضمير الفصل واسم الموصول، لأن إجلاء بني النضير تم بإلقاء الرعب في نفوسهم كما بينته الجمل بعده، من دون قتال، وسماهم كافرين لأنهم حالفوا المشركين ضد الموحدين فأنزلوا منزلتهم، و(من) في (من أهل الكتاب) بيانية يعني بهم اليهود و(من) الثانية ابتدائية، و(ديارهم) أراضيهم التي كانت خارج المدينة، ومعنى (أول الحشر) أي: للجمع الأول، أضيفت الصفة إلى الموصوف.

قوله (ما ظننتم أن يخرجوا) جملة تعليل للقصر، والخطاب للمسلمين، أي: لقوتهم ومنعتهم في حصونهم اعتقد المسلمون أن بني النضير لن يغلبهم أحد.

قوله (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) العطف على التعليل تعليل ثان، وهو الظن بأن حصونهم منيعة من الله، ولفظ الحصن هو البناء المرتفع الذي تحيط به جدران عالية وباب كبيرة.

قوله (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) الفاء للتفريع، أي: فأخذهم الله من طريق لم يقع في حسابهم، من داخل نفوسهم، لأنهم ظنوا أن الخطر يدفع بالحصون العالية والأبواب المغلقة.

قوله (وقذف في قلوبهم الرعب) فعل القذف دلالة سرعة الرمي، وهو استعارة لما أصاب نفوسهم من هلع كبير دفعة واحدة إثر خيانتهم لعهدهم مع النبي ﷺ وتحالفهم مع مشركي مكة في أحد، دفعهم إلى الاستسلام بسرعة، مع ما احتاطوا لأنفسهم من دفاعات وحصون.

وذكر القلوب على سبيل لغة العرب في تسمية الإدراكات الباطنية بذلك، ولفظ الرعب معناه أشد الخوف.

قوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) موقع الجملة حال من ضمير (قلوبهم) والتخريب تهديم البناء، والتأكيد بجملة (بأيديهم) لأن الرعب من عاقبة خيانتهم للنبي ﷺ ألجأهم إلى ترك ديارهم وهدم دورهم لأخذ ما يمكن أخذه في مهاجرهم، والعطف بـ (أيدي المؤمنين) من باب الإسناد العقلي لأن المؤمنين سبب في تخريب النضير لبيوتهم.

قوله (فاعتبروا يا أولي الأبصار) الفاء للتفريع، والاعتبار أخذ العبرة والموعظة، والنداء بأولي الأبصار دون غيرهم لأنهم أجدر بالاعتاظ فهي كناية عن الذين يتدبرون بعقولهم ما يبصرون.

وكان من قصة إجلاء بني النضير ما ذكر في المجمع فقال: نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود، فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من خرج إلى الشام، وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه، ولا يقاتلوا معه، فقبل ذلك منهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا، وظهر على المشركين، قالوا: والله إنه للنبي الذي وجدنا نعتة في التوراة، لا ترد له راية، فلما غزا غزاة أحد، وهزم المسلمون، ارتابوا ونقضوا العهد، فركب كعب بن الأشرف في أربعين راكبا من اليهود إلى مكة، فأتوا قريشا وحالفوهم، وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد، ثم دخل أبو سفيان في أربعين، وكعب في أربعين من اليهود المسجد، وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الأستار والكعبة، ثم رجع كعب بن الأشرف وأصحابه إلى المدينة، ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاهد عليه كعب وأبو سفيان، وأمره بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلم الأنصاري، وكان أخاه من الرضاعة، قال محمد بن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض فقال: إنكم لن تجدوا الرجل

على مثل حالته هذه، ورسول الله إلى جانب جدار من بيوتهم قاعد، فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه، فأتاه الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا، فخرج راجعا إلى المدينة، ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخل المدينة، فأقبل أصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما أرادت اليهود من الغدر، وأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الأشرف، فخرج ومعه سلكان بن سلامة، وثلاثة من بني الحرث، وخرج النبي ﷺ على أثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم، فذهب محمد بن مسلمة مع القوم إلى قرب قصره، وأجلس قومه عند جدار وناداه: يا كعب، فانتبه وقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن مسلمة أخوك، جئتك أستقرض منك دراهم، فإن محمدا يسألنا الصدقة، وليس معنا الدراهم، فقال: لا أقرضك إلا بالرهن، قال: معي رهن انزل فخذ، وكانت له امرأة بنى بها تلك الليلة عروسا، فقالت: لا أدعك تنزل، لأنني أرى حمرة الدم في ذلك الصوت، فلم يلتفت إليها، فخرج فعانقه محمد بن مسلمة، وهما يتحادثان، حتى تباعدا من القصر إلى الصحراء، ثم أخذ رأسه، ودعا بقومه، وصاح كعب، فسمعت امرأته، فصاحت، وسمع نجر النضير صوتها، فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا، ورجع القوم سالمين إلى رسول الله ﷺ، فلما أسفر الصبح أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بقتل كعب ففرحوا، وأمر رسول الله ﷺ بحربهم والسير إليهم، فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن، فأمر

رسول الله ﷺ بقطع النخل، والتحريق فيها، فنادوا: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفحشاء، فما بالك تقطع النخل وتحرقها؟ فانزل الله: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها) الآية، وقال ابن عباس: كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم، وأن يخرجهم من أرضهم وأوطانهم، وأن يسيرهم إلى أذرعات بالشام، وجعل لكل ثلاثة منهم بغير أو سقاء، فخرجوا إلى أذرعات بالشام وأريحا إلا أهل بيتين منهم آل أبي الحقيق، وآل حبي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، وكان ابن عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير. ٥٠

قال تعالى ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ ﴿٣﴾

قوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا) أي: ولولا أن قضى الله على بني النضير عقاب الجلاء من ديارهم لعذبهم في الدنيا بالاستئصال أو بالقتل أو الأسر.

وفعل الكتابة استعارة للقضاء والحكم، وإسنادها إلى الله لما أن الأحكام في الآية كقوله (أخرج الذين كفروا) و(مانعُهم حصونهم من الله) و (كتب الله) كلها مسندة إليه تعالى لتسجيل غضبه تعالى عليهم.

قوله (ولهم في الآخرة عذاب النار) وعيد لهم بالآخرة بعذاب النار زيادة على عقابهم بالجلاء والتشريد في الدنيا.

قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤﴾

قوله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) تعليل للعقاب والوعيد، وذلك لأنهم عادوا الله ورسوله في خيانتهم للعهد وتحالفهم مع المشركين.

قوله (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) الشرط يفيد التقرير والتعليل، وذكر مشاقة الله دون الرسول لتضمنها لمشاقتة ﷺ، وليوافق قوله (فإن الله شديد العقاب) والإتيان بالجملة للثبات أقيمت مقام جواب الشرط، وهي تعليل للجزاء، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره فلم يقل: فإنه شديد العقاب لتربية المهابة.

قال تعالى ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْ مِنْهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ۝٥﴾

قوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) القطع فصل الشيء، والخطاب للمسلمين، و(من) مزيدة لتأكيد عموم النفي، و(لينة) صفة للنخلة الناعمة من دون أن يختص بنوع منها بحسب ما ذكر الراغب في المفردات.

والهاء في (تركتموها) راجعة إلى (لينة)، ونصب (قائمة) على الحال، و(أصولها) أي: جذوعها القائمة عليها، والفاء في قوله (فبإذن الله) واقعة في الجزاء، لأن اسم الموصول عومل معاملة الشرط، و(إذن الله): علمه وأمره، تعليل للموصول، والتقدير: قطع ما قطعتم من لينة أو ترك ما تركتم لأن الله أذن لكم فيها، لما في ذلك من المصلحة لكم.

قوله (وليخزي الفاسقين) غاية معطوفة على السبب، وإخزاء الفاسقين إذلال كبرياء بني النضير حين يرون كرائم أموالهم بأيدي المسلمين يفعلون فيها ما يشاؤون، وسماهم الفاسقين لبيان علة جزائهم.

قال تعالى ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قوله (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) أي: فالذي أرجعه الله على رسوله من أموال بني النضير، لأنكم لم توجفوا عليه من خيل ولا ركاب.

و(ما) الأولى اسم موصول، والثانية (نافية)، والإفاءة من الفيء وهو الإرجاع، وفي دلالاته الإشعار بأن ما عند اليهود حقيق بأن يكون بأيدي الرسول ﷺ، لا بأيديهم، لأن المطيعين مستحقون لنعم الله، فهم الذين يتوسلون بها إلى طاعته سبحانه.

وقال الإمام الصادق عليه السلام في معنى الفيء: ما كان من أموال لم يكن فيها هراقة دم أو قتل، والأنفال مثل ذلك وهو بمنزلته. ذكر في التهذيب. انتهى.

و(من) في (منهم) ابتدائية، والضمير راجع إلى يهود النضير، والفاء في (فما) واقعة في الجزاء لأن اسم الموصول في قوة الشرط لذلك عومل معاملته، والإيجاف الإسراع بالدابة على نحو من الإزعاج في السير، وحرف الجر في (عليه) للتمكين، والهاء فيه راجع إلى الموجف من مفرد خيل أو ركاب، والإفراد باعتبار ظاهر اللفظ، و(من) في (من خيل) مزيدة لتقوية عموم النفي، والخيل اسم جمع، والركاب الإبل.

والله تعالى مَلِكُ أموال بني النضير نبيه لأن المسلمين لم ينفقوا عليها شيئاً، فلم يوجفوا لأجلها خيلاً ولا إبلاً، بل مشوا إليها لقرب ديار بني النضير من المدينة، ولما قذفهم الله به من رعب استسلموا لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأفأه الله ملكاً خالصاً له، والله يسلط رسله على من يشاء، وقد سلط نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على أموال هذا الحي من اليهود.

قوله (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) استدراك على النفي لتأكيد سنة الله الجارية في تسليط رسله على أعدائهم كما تشاء حكمته سبحانه.

قوله (والله على كل شيء قدير) الإظهار للفظ الجلالة للتعظيم، والقدير مبالغة في القدرة والغلبة، ومن قدرته أن سلط الله نبيه على أموال بني النضير من دون مشقة قتال.

قال تعالى ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٥٧ ﴾

قوله (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الاستئناف لبيان موارد قسمة الفاء من دون المقاتلة، وإعادة صيغة الموصول وصلته أعني (وما أفاء الله على رسوله) لزيادة التقرير، و(من) ابتدائية، واستعمل الإظهار في (أهل القرى) دون ضميرهم لإفادة شمول عموم عقاراتهم.

والفاء المقترن بلفظ الله لأنه بمنزلة الجزاء لاسم الموصول (ما)، وكون الفاء لله بمعنى ما يصرف في سبيله تعالى، على ما يقضي به الرسول ﷺ، فإنه الولي بأحكام صرفه، ومنه ما يأخذه الرسول ﷺ لنفسه، والمورد الآخر لصرف الفاء (لذي القربى) أي: لذي قربى النبي ﷺ من أهل بيته عليهم السلام، وليس لقراة عامة المؤمنين، و(اليتامى) أي: الفقراء منهم، وخصوا بالذكر مع أنهم من جملة المساكين للأهمية، والمساكين الفقراء الذين أسكنهم الفقر عن الحركة، وأما (ابن السبيل) فهو كناية عن الغريب المنقطع عن أهله، كأنه أولده الطريق، وفي روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام أن هذه الموارد مخصوصة بجملة القربى.

قوله (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) جملة تعليل لقضاء الله في الفيء، وهو كيلا يكون هذا الفيء من بني النضير متداولاً بين الأغنياء يدور بين أيديهم.

قوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أي: والذي أعطاكم الرسول ﷺ من الفيء فخذوه وما لم يعطكم فلا تسألوه، وجاءت جمل الموصول بقوة الشرط، لذلك عومل خبره معاملة الجزاء فاقترن بالفاء.

وفي الكلام دلالة كون المسلمين من الأنصار سألوه أن يعطيهم من قسمة الفيء، فنبهتهم الآية إلى أن هذا الفيء ملك خالص له يتصرف فيه كما يشاء، وقيل إنه أعطى منه إلى المهاجرين والأنصار، وفي معنى الآية قال الصادق عليه السلام: ما أعطى الله نبياً من الأنبياء شيئاً إلا وقد أعطى محمداً ﷺ، قال لسليمان: (فامنن أو امسك بغير حساب)، وقال لرسول الله ﷺ: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

قوله (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أي: واتقوا الله أيها المسلمون في مخالفة الرسول ﷺ، لأن الله عقابه شديد.

قال تعالى ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾

قوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) أي: للفقراء المهاجرين نصيب من الفيء، على أساس أنه بدل من (لذي القربى) وما بعده، والإتيان بجملة الموصول وصلته لبيان علة قسمتهم، وهو أنهم أخرجوا عنوة من ديارهم وأموالهم في مكة، فهؤلاء هاجروا من مكة إلى المدينة ولم يبق لهم شيء فعوضهم الله بهذا الفيء، ولذا ذكر أن الرسول ﷺ أعطى فقراء المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئا إلا ثلاثة من فقرائهم.

ويحتمل أن يكون (للفقراء) بيان لمصدق الصرف في (سبيل الله)، وبه جاءت روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قوله (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) جملة حالية، أي: يطلبون رزقا من الله في الدنيا ورضوانا في الآخرة.

قوله (وينصرون الله ورسوله) أي: وينصرون الله ورسوله بأنفسهم وأموالهم.

قوله (أولئك هم الصادقون) لفظ الإشارة لتعظيم المهاجرين بما ذكروا من أوصاف جميلة، وللتنويه بما سيخبر عنهم، وضمير الفصل (هم) للقصر، وأل لفظ الصادقين قصر ثان.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

قوله (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) العطف على ما تقدم لاستقصاء ذكر المؤمنين من أصحاب الرسول ﷺ من فريقى المهاجرين والأنصار، فمدح الأنصار لتطبيب نفوسهم كونهم منعوا من الفئء، والابتداء باسم الموصول لتأكيد قوة الخبر، ومبائة الدار تعميرها بحيث تصلح لأن تكون سكنا طيبا صالحا، والتعبير كناية عن بناء المجتمع الصالح، ومبائة الإيمان استعارة ليسر العمل به، بحيث لا يمنع منه مانع في التوسل بآثاره إلى الله تعالى، كما منع في مكة.

و(من) في (من قبلهم) مزيدة للتأكيد، وضمير الجمع عائد إلى المهاجرين، أي: من قبل مهاجرتهم ومجيئهم إلى المدينة.

قوله (يحبون من هاجر إليهم) جملة خبر لما ابتدئ به في اسم الموصول، أي: يودون من ترك بلدته لأجل دينه فارا إليهم.

وللحب معنى جميل لا يحول ولا يزول حين يكون مرتبطا بالله، فقد كان دليل إبراهيم في إبطال عبادة الكواكب كما في قوله تعالى (إني لا أحب الأفلين) [الأنعام: ٧٦]، وعن الباقر عليه السلام في حديثه لأبي عبيدة زياد الحذا: يا زياد ويحك وهل الدين إلا الحب، ألا ترى إلى قول الله: (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) أو لا ترون إلى قول الله لمحمد

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ)، وقال: (يحبون من هاجر إليهم)، وقال: الدين هو الحب، والحب هو الدين. ذكر في المحاسن للبرقي. انتهى.

قوله (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أي: ولا يجدون في نفوسهم حسدا أو غيظا مما أعطي المهاجرون من فيء.

وضمير الجمع في (يجدون، صدورهم) راجعة إلى الأنصار، وضمير الجمع في (أوتوا) عائد إلى المهاجرين، ولفظ الحاجة مجاز للغيظ لأنه سبب فيه، وتذكيره للعموم، و(من) في (مما) تبعية، أو للسبب، أي: بسبب ما أعطي المهاجرون ولم يشرك الأنصار في العطاء.

قوله (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) جملة ثناء على الأنصار، أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم في العطاء ولو كان بهم فقر.

والإيثار تفضيل الغير على النفس، وجملة (ولو) موقعها الحال، والخصاصة الإملاق والحاجة أصله كما قال في المجمع: الاختصاص، وهو الانفراد بالأمر، فكأنه انفراد الإنسان عما يحتاج إليه، وقيل: أصله الفرجة، يقال للفرج: بدا من خصائص الغيم أي فرجته، ومنه الخص: البيت من القصب، لما فيه من الفرج. انتهى.

قوله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي: ومن يحفظه الله من ضيق النفس من بخل ونحوه فأولئك هم الظافرون، وجزم (يوق) لأنه فعل الشرط، أصله يوقى من الوقاية، والشح شدة البخل، وعن الصادق عليه السلام

قوله: الشح أشد من البخل، إن البخل يبخل بما في يده، والشح يشح بما في أيدي الناس، وعلى ما في يده، حتى لا يرى في أيدي الناس شيئاً إلا تمنى أن يكون له بالحل والحرام، ولا يقنع بما رزقه الله عز وجل. نقل في الكافي وتحف العقول. انتهى.

وفي الحديث المأثور: لا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مسلم، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم. ذكر في المجمع. انتهى.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) ضمير الجمع في الظرف (بعدهم) عائد إلى المهاجرين والأنصار، ويراد بهم الذين اتبعوهم بإحسان، وهم أبداً يسألون ربهم المغفرة لأنفسهم ولإخوانهم في الدين، والإيتيان بجملة الموصول لتعظيم صفة سبقهم بالإيمان.

قوله (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) وسألوه العصمة من إرادة السوء بجمع المؤمنين، وذكر القلوب يراد به النفوس، والغل الحقد، وتنكيره للعموم.

قوله (ربنا إنك رؤوف رحيم) تكرار الدعاء (ربنا) لإفادة الزيادة في التضرع إلى الله، والاستئناف المؤكد بحرف النسخ والجملة الإسمية لإفادة تعليل الدعاء، والرؤوف الرحيم من أسمائه تعالى العلى، مبالغة في كثرة الرأفة والرحمة، والأولى أخص من الثانية.

قال تعالى ﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

قوله (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب) الكلام في ذكر تعاطي المنافقين مع الأمر بجلاء بني النضير.

والاستفهام في (ألم تر) للتعجيب، و(الذين نافقوا) هم عبد الله بن أبي بن سلول وبعض أصحابه، والفعل المضارع (يقولون) لتكرار ذلك القول منهم بنصرة اليهود الخائنين، وسمى يهود بني النضير إخوانهم باعتبار المماثلة في العداء للإسلام، وفيه تعريض بالمنافقين، وإشعار بخروجهم من ملة الإسلام، وأطلق على بني النضير صفة الكفر لأنهم كفرون برسالة النبي ﷺ، وحرف الجر (من) في (من أهل الكتاب) بيانية.

قوله (لئن أخرجتم لنخرجن معكم) الفصل لأنه مقول القول، والقسم والشرط لتأكيد تضامن المنافقين مع بني النضير، أي: والله لئن أخرجكم المسلمون من دياركم لنخرجن من ديارنا معكم لا نفارقكم.

قوله (ولا نطيع فيكم أحدا أبدا) أي: ولا نسمع في شأنكم أحدا يعدل بنا عن نصرتكم.

قوله (وإن قوتلت لنصركم) الشرط معطوف على القسم، أي: ولئن قاتلكم المسلمون لنصركم بأنفسنا عليهم.

قوله (والله يشهد إنهم لكاذبون) الجملة موقعها الحال المؤكد للتكذيب ما قال المنافقون، وشهادة الله إخبار للنبي ﷺ بعلمه الكامل الذي كني عنه بالشهادة والحضور، والمؤكدات كحرف النسخ ولام الخبر لتحقيق معنى كذب المنافقين، فهم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء، ويدبون الضراء، وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قال تعالى ﴿لَئِنْ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قَاتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْلِنَ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (لئن أخرجوا لا يخرجون معهم) تأكيد تفصيلي للتكذيب الإجمالي لما قال المنافقون، ورد من الله مؤكد استعملت فيه صيغ القسم والشرط ذاتها في الرد على مزاعم المنافقين في الخروج والقتال مع اليهود، وضمير الجمع في (أخرجوا ومعهم) عائد إلى بني النضير، وفي (يخرجون) راجع إلى المنافقين.

وجملة النفي (لا يخرجون معهم) جواب القسم، والفعل (أخرجوا) يراد به جلاء بني النضير، و(يخرجون) يراد به لحوق المنافقين باليهود للقتال.

قوله (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أي: ولئن قاتل المسلمون بني النضير لا ينصر المنافقون بني النضير.

قوله (ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) أي: ولئن نصر المنافقون اليهود ليفرن من القتال ثم لا تجد من ينصرهم.

وتولية الأدبار كناية عن الهزيمة والفرار من القتال، و(ثم) للتراخي الترتيبي في الكلام، وضمير الجمع في (ينصرون) راجع إلى اليهود.

قال تعالى ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣)

قوله (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) جملة تعليل لتولية الأدبار، والخطاب للمسلمين، وضمائر الجمع للمنافقين، أي: وذلك لأن المنافقين يرهبونكم أشد مما يرهبون الله، فلن يثبتوا لكم لو قاتلوكم، ولفظ (أشد) اسم تفضيل، ونصب رهبة على التمييز، والرهبة شدة الخوف، ولفظ الصدور يراد به النفوس، و(من) متعلق بالتمييز.

قوله (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) تعليل لما تقدم، ولفظ الإشارة يراد به إيجاز معنى رهبة المنافقين للمؤمنين أشد من رهبتهم لله، لأنهم قوم موصوفون

بنفي الفهم، لأنهم لو كان لهم أدنى مسكة من عقل لعلموا أن الأمر لله وحده وهو وحده الذي يرهب منه.

قال تعالى ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

قوله (لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) بيان لأثر رهبة اليهود والمنافقين مجتمعين من المسلمين، والخطاب للمسلمين، أي: لا يقدر بنو النضير والمنافقون مجتمعين على قتالكم بأن يظهروا أنفسهم وجها لوجه أمامكم إلا متحصنين داخل القرى أو من وراء جدر تمنعهم من الظهور.

وجملة المستثنى (في قرى محصنة أو من وراء جدر) محلها الحال، والجدر جمع جدار.

قوله (بأسهم بينهم شديد) تعليل للنفي، أي: قوتهم شديدة فيما بينهم، أما أمام المسلمين فهم خائفون لأن الله ألقى في قلوبهم الرعب.

قوله (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) تفصيل للتعليل، أي: تظن أنهم متحدون على قلب واحد في الظاهر، غير أنهم في الحقيقة متفرقة نفوسهم مشتتة آراؤهم.

ونصب (جميعا) على الحال، أي: مجتمعين، وجملة (وقلوبهم شتى) محلها الحال أيضا، والمراد بالقلوب النفوس والعقول.

قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) تعليل لتفرقهم، وذلك لأنهم قوم طبعهم الجهل، لأنهم لو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه، واتحدت نفوسهم لأجله.

قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أي: مثل بني النضير واغترارهم بقوتهم وزعم المنافقين بنصرتهم كمثّل من سبقوهم قريبا في سوء تقدير الأمر ونقض العهد، وأبهمت الآية في المراد بجملة الموصول، فقيل: شبهوا بالمشرّكين الذين قتلوا ببدر قريبا، غرتهم أنفسهم فأهلكوا، وقيل: هم بنو قينقاع نقضوا العهد مرجع النبي ﷺ من بدر فأمرهم بالجلأ، وغرهم عبد الله بن أبي بالوقوف معهم فغدرهم جبنا، وهذا القول أوفق في تفسير الموصول من السابق.

والكاف في (كمثّل) مزيدة للتأكيد، و(من) زائدة للتأكيد، والضمير في (قبلهم) راجع إلى بني النضير، ونصب (قريبا) على الظرفية، والتقدير: في زمان قريب.

قوله (ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) أي: ذاقوا سوء عاقبة كفرهم وهو الهلاك والإذلال في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم.

قال تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ
إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر) المثل للمنافقين كما إن المثل السابق لبني النضير، ففي النظم إيجاز بحذف الضمير المقدر تعويلا على فهم السامع برد كل مثل إلى ما يماثله، وهنا شبه حال المنافقين بحال الشيطان حين غر الإنسان بقول الكفر، ثم تبرأ منه يوم القيامة، وعلى هذا فتعريف الشيطان والإنسان للجنس، وقول الشيطان مجاز من وسوسته للإنسان بالإعراض عن الحق، والإصرار على الكفر بالله.

وذكر في التفسير - كالمجمع والدر وغيرهما - أن المراد بالتمثيل قصة عابد بني إسرائيل برصيصا زين له الشيطان ففجر بامرأة ثم كفر، فقد ذكر أنه عبد الله زمانا من الدهر، حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم، ويعودهم فيبرؤون على يده، وإنه أتى بامرأة في شرف قد جنت، وكان لها إخوة فأتوه بها، فكانت عنده، فلم يزل به الشيطان يزين له، حتى وقع عليها فحملت، فلما استبان حملها قتلها ودفنها، فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الراهب، وأنه دفنها في مكان كذا، ثم أتى بقية إخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له، فجعل الرجل يلقي أخاه فيقول: والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئا يكبر علي ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم، فسار الملك والناس، فاستنزلوه، فأقر لهم بالذي فعل فامر به فصلب، فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في

هذا، فهل أنت مطيعي فيما أقول لك، أخلصك مما أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجدة واحدة، فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء، فأومى له بالسجود فكفر بالله، وقتل الرجل، فهو قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر). انتهى.

أقول: والآية لم تصرح بذلك ولم توم إليه، وإنما الذي ذكر في التفسير تحكّم واضح في التمثيل بالروايات المختلفة أقرب إلى أن يكون من باب المصداق لا خصوص التنزيل.

قوله (فلما كفر قال إني برئ منك) الفاء للتفريع، وفاعل (كفر) الإنسان، وفاعل (قال) الشيطان، والتبري التخلي.

قوله (إني أخاف الله رب العالمين) تعليل للتبري، أي: لأن الشيطان يخاف الله حقيقة، والإتيان بصفة ربوبية العالمين لبيان حجة الخوف.

قال تعالى ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾

قوله (فكان عاقبتهم أنهما في النار خالدين فيها) الفاء للتفريع، وضمائر التنبيه للإنسان والشيطان، والعاقبة الخاتمة ويراد بها المآل، و(في) للتلبس الظرفي، وتعريف النار للعهد أي نار جهنم في الآخرة، ونصب (خالدين) على الحال.

قوله (وذلك جزاء الظالمين) أي: وذلك الخلود في النار جزاء الظالمين، وتسميتهم بالظالمين لبيان علة الحكم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الكلام في الآية وما بعدها بمنزلة خلاصة النتيجة مما سبق ذكره من عاقبة مشاققة الله ورسوله ومصادقها عاقبة بني النضير والمنافقين، والنداء للمؤمنين بصفة الإيمان للتنبيه إلى الأمر بالتقوى، والأمر بالتقوى يراد به مراعاة جانب الله في أصل الإتيان بالأعمال الواجبة بدليل التهديد المتضمن في أمر النظر بعده.

قوله (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الأمر بالنظر يراد به نظر التدبر والتفكر، وتنكير (نفس) للعموم، والإبهام في اسم الموصول (ما) وصلته لإفادة الترغيب في العمل الصالح، لأن ذلك ما يرجوه المؤمن يوم القيامة، وفعل التقديم بمعنى العمل، استعارة من السبق، فتقديم النفس للعمل باعتبار تلقيها جزاءه يوم القيامة، واللام في (لغد) لام الغاية، والغد كناية عن يوم القيامة، سمي بذلك لدنوه، كما دنا الغد من أمس، وتنكير اللفظ لتفخيمه.

قوله (واتقوا الله) إعادة الأمر لأن المراد خصوص اجتناب مخالفة أوامر الله ونواهيه بدليل الوعيد في الفاصلة.

قوله (إن الله خبير بما تعملون) تعليل للأمر بالتقوى، وفي مضمونه الوعيد بالتلويع بكثرة علمه تعالى بأعمالهم.

قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ

الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) نهي بعد أمر للمؤمنين، والذين نسوا الله أي الذين تركوا العمل بطاعاته تعالى، والفاء في (فأنساهم) لتفريع النتيجة على السبب، ونسيان الأنفس مجاز لحرمانهم نصيبهم من الخير والثواب، لأن الله رفع عنايته عنهم فحلاهم لأنفسهم، فاستحوذ عليهم الشيطان وزين لهم أعمالهم ومضوا في طريقه غير شاعرين، كحال بني النضير وبني قينقاع والمنافقين.

قوله (أولئك هم الفاسقون) لفظ الإشارة لتمييزهم والإخبار عنهم بكمال نفوسهم بالفسق والخروج عن زي العبودية.

قال تعالى ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾

قوله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة) أي: لا يتساويان في المنزلة والكرامة عند الله، وتقديم أصحاب النار لأنهم المخبر عنهم في

السياق، وأصحاب النار هم الذين نسوا الله، وأصحاب الجنة هم المؤمنون
حقا الذاكرون لله دائما.

قوله (أصحاب الجنة هم الفائزون) الفصل لتعليل نفي الاستواء، ولفظ
الأصحاب بمعنى الملازمة وعد المبارحة، وضمير الفصل وأل الفائزين
لقصرهم على الظفر بالجنة.

وفي مضمون الآية تقرير لصنفين من الناس لا ثالث لهما، هما الذاكرون
لله والناسون له، وفرضت بمضمون التصنيف وجوب الحقوق بالذاكرين لله
من دون الناسين، لأنهم الظافرون يوم القيامة.

قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا
مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

قوله (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيت خاشعا متصدعا من خشية الله)
جملة الافتراض لبيان عظمة آيات الكتاب العزيز وجلالة قدرها لما أنه
وحي منزل من الله، والكلام من باب التمثيل.

ولفظ الإشارة للتمييز والتعظيم، والقرآن كتاب الله المقروء، و(على) مجاز
استعلائي، وتنكير (جبل) للتفخيم، واللام في (لرأيت) واقعة في جواب
(لو)، وفعل الرؤية للعلم والعيان، والخطاب لكل سامع راء، و(خاشعا)
منصوب على الحال، والخشوع خوف بأثر علم، و(متصدعا) حال ثانية،
والتصدع التشقق والتفرق، و(من) تفيد السبب، و(خشية الله) خوفه النابع

من صحيح الاعتقاد والإيمان به، والتمثيل تعريض بالمشركين والمنافقين الذين لا تتأثر قلوبهم بآيات القرآن فترعوي في حال أن الجبل الجامد الخشن يخشع ويتصدع.

قوله (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أي: تلك الأمثال للمعاني يقربها الله لعموم الناس، ليتفكروا فيها، فيصلوا بدلائلها إلى الإيمان بالله وطاعته.

قال تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢)

قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو) القصر وكلمة التوحيد تعليل لخشية الجبل من الله، وتعداد أسماء الله الحسنى للإشارة إلى وجوب ذكره تعالى من الذاكرين بأحسن صفاته وأسمائه.

قوله (عالم الغيب والشهادة) الفصل لكمال اتحاد المعاني، والغيب والشهادة معنيان متناقضان عند غيره تعالى، مستويان في الحضور عنده، لأن إحاطته سبحانه بالأشياء غير محدودة بزمان ومكان، فهو في كل مكان ولا مكان له، وفي كل زمان ولا زمان فيه.

قوله (هو الرحمن الرحيم) أي: هو وحده سبحانه الموصوف بكثرة الرحمة لخلقه عامة في الدنيا، واختصاصها بكثرتها لخاصة المؤمنين به في الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ (٢٣)

قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو) إعادة كلمة التوحيد لتأكيد الألوهية في الله تعالى وحده.

قوله (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) تعداد أسماء الله الحسنى من دون واو لإفادة اتحادها، ويمكن الإتيان بعاطف في جمعها كما مر في قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) [الحديد: ٣]، والملك المالك الحقيقي لما خلق، وكل ما عدا ملكه فهو تخويل مؤقت في التصرف بما ملك، ولفظ القدوس مبالغة في القدسية والتنزيه عما لا يليق بساحة قدسه، ولفظ السلام الأمن ونفي الشر، ولفظ المؤمن المعطي الأمن، والمهيمن المسيطر المستعلي، والعزيز القوي الذي لا يغلب، والجبار مبالغة في القوة على قهر الغير وإجباره، ولفظ المتكبر مبالغة في التلبس بالكبرياء.

قوله (سبحان الله عما يشركون) صيغة ثناء من الله تعالى على نفسه بعد تعداد ما اختصت ذاته بالأسماء العلى، وفيها التنزيه عما لا يليق بنسبة الشرك إليه، لأن كمال ألوهيته سبحانه الدالة عليها أحسن صفاته وأسمائه لا تقبل بنسبة أي شريك له.

قال تعالى ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾

قوله (هو الله الخالق البارئ المصور) أي: هو وحده تعالى الموجد الخالق الذي أظهر ما خلق لا على مثال سابق، وهو سبحانه حين خلقه دبر له شؤونه، لأن ذلك من شؤون ألوهيته وكمال ربوبيته، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: والخالق لا بمعنى حركة ونصب. انتهى. أقول: لأن خلقه تعالى للشيء مثل الأمر بكن.

والبارئ المنشئ لما خلق مميزا بعضها من بعض، والمصور المشكّل هيآت مخلوقاته بحيث تتمايز بصورها من بعض، والصفات المذكورة من كمال تدبيره، وفي الآيات رد على الوثنية الذين يرون بفصل الربوبية عن الألوهية، لأن ما قبل الآية تعداد لكمال ألوهيته تعالى وفي هذه الآية الكريمة تعداد لصفات ربوبيته للإشعار بكمال اتحادهما فيه سبحانه، وأنه لا سبيل للفصل بينهما كما تزعم الوثنية.

قوله (له الأسماء الحسنى) التقديم لقصر الأسماء الحسنى الكاملة فيه تعالى وحده، وتعريف اللفظ للعموم للإشارة إلى اختصاصه تعالى بباقي الأسماء العلى، ولفظ الحسنى وصف تأنيثي للأسماء، مذكّره أحسن، وهي الجامعة لكمال الحسن والجمال.

قوله (يسبح له ما في السماوات والأرض) الجملة موقعها الحال من ضمير قوله (له الأسماء الحسنى)، وجملة التسبيح من آثار ألوهيته وربوبيته لعموم ما خلق في السماوات والأرض له وحده، لأنه الخالق المالك لها المستحق للتسبيح والتنزيه.

قوله (وهو العزيز الحكيم) أي: وهو العزيز الغالب المستغني عن تسبيح المسبحين لأن عود نفع التسبيح لغيره سبحانه، ولفظ الحكيم مبالغة في إتقان صنعه لما خلق، وفي الفاصلة محسن بديعي من نوع رد العجز على الصدر، فكما افتتحت السورة بالعزة والحكمة اختتمت بها.

سورة الممتحنة

مدنية، وهي ثلاث عشرة آية

غرض السورة نهى المؤمنين عن موالاته أعداء الله من الكفار، وآياتها تؤيد صحة مناسبة نزولها في إسرار بعض المهاجرين مشركي قريش ومواديهم، وفي السورة تفصيل لأحكام المهاجرات وبيعة النساء المؤمنات.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) اتخذت السورة من حادثة حاطب بن أبي بلتعة مناسبة لنهي المؤمنين جميعا عن موادة كفار قريش، فقد ذكر في سبب النزول: أنه لما تجهز رسول الله ﷺ لغزو الفتح كتب حاطب إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذرکم، وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل ﷺ بالخبر فبعث رسول

الله ﷺ عليا عليه السلام وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها طعينة معها كتب حاطب إلى أهل مكة، فخذوه منها وخلوها، فإن أبت فاضربوا عنقها، فأدركوها ثمة فجذدت، فسل علي عليه السلام سيفه فأخرجته من عقاصها، فاستحضر رسول الله ﷺ حاطبا وقال: ما حملك على هذا، فقال: يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك، ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش، وليس لي فيهم من يحمي أهلي، فأردت أن آخذ عندهم يدا، وقد علمت أن كتابي لن يغني عنهم شيئا فصدقته رسول الله ﷺ وقبل عذره. انتهى.

ولفظ العدو تقال للمفرد والجمع، وفي الكلام أريد به الجمع بدليل ما بعده في جمع (أولياء) والضمير (إليهم)، وإضافة اللفظ إلى ياء الجلالة وإلى كاف خطاب المؤمنين لتهييج الالتزام بالنهي عن موالاة المشركين، فهم عدو الله لأنهم كافرون بتوحيده ومنكرون لآياته ورسله، وهم أعداء للمؤمنين باعتبار عدائهم لله.

قوله (تلقون إليهم بالمودة) جملة موقعها الحال من ضمير الجمع في (عدوكم)، والفعل (تلقون) استعارة مكنية للوصال، شبه المودة بحبل ثم حذف المشبه وأشار إليه بالإلقاء، والباء في (بالمودة) مزيدة للتأكيد، وضمير الجمع في فعل الإلقاء عائد إلى المؤمنين، وفي حرف الجر عائد إلى المشركين.

قوله (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) الجملة محلها الحال من فاعل (تلقون)، أي: في حال كفر المشركين بدين التوحيد، الذي هو الحق، و(من) بيانية.

قوله (يخرجون الرسول وإياكم) جملة حالية، وفعل الخروج مجاز من الهجرة القسرية للنبي ﷺ وأصحابه من مكة، ومضارعه لاستحضار الحال.

قوله (أن تؤمنوا بالله ربكم) جملة تعليل للإخراج، أي: لأن تؤمنوا بالله ربكم، والإتيان بـ (ربكم) لتسجيل التشنيع على المشركين في معاداة أمر حق وهو إيمان الإنسان بربه، والالتفات في الكلام من التكلم إلى الغيبة لبيان اتحاد الألوهية والربوبية فيه تعالى ووجوب الإيمان بذلك.

قوله (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) الشرط متعلق بقوله: لا تتخذوا عدوي أولياء، ونصب (جهادا) لأنه مفعول له، و(في سبيلي) أي: لأجل ديني، وتوحيدي، والعطف في (وابتغاء مرضاتي) علة ثانية، والابتغاء شدة الطلب، ومرضاة الله رضاه.

قوله (تسرون إليهم بالمودة) جملة بدل من (تلقون إليهم)، والإسرار الإخفاء، أي: تخبرون الكفار بخفاء، والباء في (بالمودة) أي: بسبب ما بينكم من المودة، والإخبار وارد على سبيل توبيخ المؤمنين.

قوله (وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أي: والحال أنا أعلم بحالاتكم كلها من الإخفاء والإعلان، وتقديم الإخفاء للإشعار بالقدرة على العلم بالأغرب قبل الأقرب.

قوله (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) الشرط للتحذير، أي: ومن يفعل اتخاذ أعداء الله أولياء منكم فقد أضاع طريق الحق.

و(من) في (منكم) للتبعيض، والضلال إضاعة الصواب، و(سواء السبيل) منصوب على نزع الخافض، أصله: عن سواء السبيل، ولفظ السواء صفة مضافة إلى موصوفه (السبيل) للمبالغة، أي: السبيل السوي، وهو سبيل الله المعتدل المؤدي إلى النجاة والظفر بسعادة الدارين.

قال تعالى ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِأَلْسُوٍّ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢)

قوله (إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء) الفصل لتعليل النهي عن موالاتة المشركين، والمعنى: إن إلقاء المودة إلى المشركين لن يغير من طباعهم شيئاً، فإن يظفروا بكم ستظهر لكم حقيقة عداوتهم لكم.

وجزم (يثقفوكم ويكونوا) على الشرط وجوابه، والثقف إدراك الشيء بحذق ومهارة، وجيء بلفظ (أعداء) لمقابلتها بلفظ المودة، لتنبيه المخاطبين بحقيقة ما يضمّر المشركون قبالهم.

قوله (وييسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) العطف بمنزلة التفسير لما قبله في الجزاء، أي قوله (يكونوا لكم أعداء)، وبسط الأيدي كناية عن القتل والأسر والتعذيب، وبسط الألسن كناية عن السباب والشتن.

قوله (وودوا لو تكفرون) العطف على الجزاء، والفعل الماضي بمنزلة المضارع، أي: ويودوا لو تكفرون، كما كانوا يفتنون المؤمنين في مكة بتعذيبهم لإجبارهم على الكفر بالإسلام.

قال تعالى ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣)

قوله (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم) النفي التأييدي تذكير للمؤمنين الموادين بالأولى بالطاعة والإخلاص، فلا الأرحام ولا الأولاد الذين لأجلهم يجاملون المشركين على حساب دينهم ينفعونهم يوم القيامة إذا حوسبوا على ذلك.

قوله (يفصل بينكم) تعليل للنفي، أي: لأن الله يفصل بينكم وبين أرحامكم وأولادكم وذلك بأن يقطع أسباب المودة بينكم، فلا سبب يومئذ إلا سببه تعالى ولا تعلق إلا به، لأنه يوم انكشاف الحقائق، وقيل: إن الفصل يراد به التفريق، ولا بأس فيه غير أن الأول أنسب.

قوله (والله بما تعملون بصير) إخبار متضمن معنى الوعيد على المخالفة في موالاته الأعداء، لأن إحاطة الله بأعمالهم يراد بها الجزاء عليها.

قال تعالى ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه) انتقال بالكلام إلى ذكر إبراهيم عليه السلام لتثبيت الاقتداء بالصالحين ونبذ مجاملة الكافرين، والمعنى: قد كانت لكم في إبراهيم عليه السلام والذين معه من المؤمنين بالله خصلة حميدة أحق بالاقتداء بها.

والأسوة الحسنة مجاز للصلة الحميدة في إبراهيم عليه السلام، والجمع في اسم الموصول دال على أنه آمن به غير زوجته ولوط.

قوله (إذ قالوا لقومهم إنا برأؤا منكم ومما تعبدون من دون الله) ظرف تبیین للأسوة، وهو براءة إبراهيم عليه السلام ومن معه من قومهم ومن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله.

قوله (كفرنا بكم وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) بدل تفسير لمعنى البراءة، وهو الكفر بشرك قومهم، وبدء العداوة والبغضاء بينهم وبين قومهم حتى يتركوا عبادة الشرك ويؤمنوا بالله، فهي

عداوة لأجل الله ومودة لأجله سبحانه، وهي من مخايل الإيمان، قال الصادق عليه السلام: من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله عز وجل . نقل في الكافي. انتهى.

وفي الكلام تعريض بالمؤمنين المهادنين لمشركي مكة، والتأبيد الدوام، و(حتى) لانتهاء الغاية، أي: غاية انتهاء العداوة والبغضاء حين الإيمان بالله وحده، ومعنى الوحدة، أي: عبادته تعالى وحده من دون شركة به.

قوله (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) الاستثناء من معنى التبري المطلق لإبراهيم ومن معه من قومهم المشركين إلا ما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه لأستغفرن لك، أي وعده وعدا بسؤال الاستغفار له إن أقطع عن شركه، يدل عليه قوله تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) [التوبة: ١١٤].

قوله (وما أملك لك من الله من شيء) من تنمة قول إبراهيم عليه السلام فيه إقرار بالعجز من دون الله، لتبيان أن طلبه عليه السلام من ربه طلب فقر من عبد إلى مولاه، وذلك من الأدب النبوي الرفيع في سؤال الله نظير قول شعيب عليه السلام (وما توفيقي إلا بالله) استدراكا لما يشعر به قوله لقومه (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت) [هود: ٨٨] من إثبات القوة والاستطاعة لنفسه بالأصالة والاستقلال. ذكر في الميزان. انتهى.

و(من) الأولى ابتدائية، والثانية مزيدة لتقوية عموم النفي، وشبه الجملة (من شيء) محلها النصب مفعول به لـ (أملك)، أي: وما أملك لك شيئا من الله.

قوله (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) من كلام إبراهيم عليه السلام المحكي عنه، والقصر في الدعاء مرة بعد مرة لمعرفة إبراهيم ومن معه بربه في التوكل والإنابة والمصير بعد إعلانهم الشجاع من تبريهم من قومهم وعاقبة ذلك أكلوه إلى حفظ الله، فإليه وحده ترجع حقيقة كل شيء.

قال تعالى ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

قوله (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا) أي: دعوا ربهم متوسلين ألا يسلط الكافرين عليهم بعد التبري منهم فيمتحنوهم بدينهم بتعريضهم إلى ألوان العذاب، وأن يغفر لإبراهيم عليه السلام ومن معه.

قوله (ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) إعادة صيغة الدعاء (ربنا) مرة بعد مرة لاستدراج الرحمة الإلهية، والخطاب المؤكد بحرف النسخ والقصر حجة للنهي الدعائي، أي: غالب لا تغلب فتتصر أولياءك، وحكيم متقن لما تفعل فلا يعجزك حفظ من اتكل عليك.

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَرَمَىٰ تَوَلَّىٰ فَاِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

قوله (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) القسم والتحقيق لتأكيد الحث على الانتساء بإبراهيم عليه السلام ومن معه، وخصه للذين

يرجون ثواب الله والفوز بجنته في الآخرة، تثبिता للمؤمنين على إيمانهم وتشجيعا لهم.

قوله (ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد) أي: ومن يعرض عن الامتثال لأمر الله بالتبري من الكافرين وعدم موادتهم فإن الله هو الغني المحمود، وذلك لأن عود النفع في الامتثال إلى أنفسهم لا إليه تعالى.

وجملة (إن) أقيمت مقام جواب (من) الشرطية، من باب وضع السبب موضع المسبب، أي بتقدير: ومن يتول فضرر توليه على نفسه، لأن الله غني حميد.

قال تعالى ﴿عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُمْ مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) في فعل الرجاء (عسى) مقاربة في أن يوفق الله المشركين للإسلام فيحيل المعاداة مودة والبغضاء ولاية، وقد جرى ذلك فعلا حين أسلموا بعد فتح مكة.

قوله (والله قدير والله غفور رحيم) أي: والله تعالى قدير على تقليب القلوب وتيسير أسباب المودة، والله تعالى موصوف بكثرة المغفرة للمذنبين والرحمة بهم، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره لتربية المهابة في النفس.

قال تعالى ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٨﴾

قوله (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم) الكلام تبين للنهي الوارد في صدر السورة، أي: لا ينهاكم الله عن موادة الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم غير أهل مكة أن تحسنوا إليهم وتعزلوا في التعامل معهم من أهل البر والإحسان، أو الذين أبرمتم عهود الهدنة معهم من الأعراب والقبائل.

قوله (إن الله يحب المقسطين) تعليل للنهي، أي: لأن الله يحب المقسطين العاملين بالعدل والإنصاف، وفعل الحب مجاز من القبول والرضا.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾



قوله (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) تأكيد وتعليل للنهي، أي: إنما ينهاكم الله عن موادة مشركي مكة لأنهم الذين قاتلوكم لأجل دينكم وهجروكم من دياركم والذين أعانوا على إخراجكم من سائر الأتباع للعتاة، وجملة (أن تولوهم) بدل من الموصول، أي: ينهاكم الله عن أن تتولوهم وتبروهم.

قوله (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) أي: ومن يتول مشركي مكة ومن ظاهرهم ولم يمتثل لأمر الله فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها لعذاب الله.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمُ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن) النداء للمؤمنين لتنبيههم إلى حكم الله تعالى في المهاجرات المدعيات للإيمان بالله ورسوله، اشترط على الرسول ﷺ أن يختبرهن على ظاهر إيمانهن، وتسميتهن مؤمنات باعتبار إظهار عقيدتهن بالإيمان بالله ورسوله.

قوله (الله أعلم بإيمانهن) أما ما يستبطن من إيمان فالله تعالى أعلم به، فالكلام كأنه تعليل للأخذ بظاهر اختبارهن.

قوله (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار) الفاء للتفريع، أي: إذا استيقنتن من ظاهر كونهن مؤمنات فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار.

قوله (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) تعليل للنهي، وذلك لانتفاء حلية الزوجية بينهما، وبين الجملتين محسن بديعي يسمى جناس العكس.

قوله (وآتوهم ما أنفقوا) أي: وأعطوا أزواجهن الكفار مثل ما أنفقوا عليهن من مهر، وذلك أن في صلح الحديبية - كما في التفاسير - كان على أن من جاءنا منكم رددناه، فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبي ﷺ بالحديبية، فأقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد أردد عليّ امرأتي، فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا، فنزلت لبيان أن الشرط إنما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله ﷺ فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق.

قوله (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) النفي لرفع ما يمنع من تزويجهن بعد إمضاء شروطه من المهر ونحوه.

و(لا) لنفي الجنس، والجناح الإثم، وجملة (أن تنكحوهن) مجرورة محلا بتقدير: من أن، والأجور المهور.

قوله (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) النهي كناية عن تخلية سبيل النساء الكوافر اللاتي لم يلحقن بأزواجهن في الإيمان بالله ورسوله، والعصم جمع عصمة ويراد به النكاح الدائم الذي يعصم المرأة بالزوجية ويصونها، ولفظ الكوافر صفة للنساء الكافرات، وذكر في المجمع عن الزهري قوله: ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله: (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين: قرنية بنت أبي أمية بن المغيرة

فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة، والأخرى أم كلثوم بنت عمرو بن جروول الخزاعية أم عبد الله بن عمر فتزوجها أبو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومها وهما على شركهما، وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر، وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وكانت ممن فرت إلى رسول الله ﷺ من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالدًا، وأمّية بنت بشر كانت عند الثابت بن الدحاحة ففرت منه - وهو يومئذ كافر - إلى رسول الله ﷺ فزوجها رسول الله ﷺ سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل. قال: قال الشعبي: وكانت زينب بنت رسول الله ﷺ امرأة أبي العاص بن الربيع فأسلمت ولحقت بالنبي ﷺ في المدينة وأقام أبو العاص مشركًا بمكة ثم أتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردّها عليه رسول الله ﷺ، قال: وقال الجبائي: لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا رد الرجال دون النساء ولم يجز للنساء ذكر، وإن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء أخوها إلى المدينة فسأل رسول الله ﷺ ردّها عليهما فقال رسول الله ﷺ: إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما. انتهى.

وفيه وقال الزهري: فكان جميع من لحق بالمشرّكين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت أبي أمية بن المغيرة أخت أم

سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبد بن عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بن عبد ود، وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل، وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة. انتهى.

قوله (واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا) أي: لكم أيها المؤمنون أن تطلبوا ما أنفقتم من مهر من لحقت بالكفار من نسائكم، وللکفار أن يطلبوا مهر من لحقت بكم من نسائهم.

قوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أي: ذلكم الحكم قضاء الله يفصل به بينكم. قوله (والله عليم حكيم) الإظهار للتعظيم، والعليم صفة مبالغة في العلم، والحكيم مبالغة في معرفة الحكمة بما يقضي ويقدر.

وفي مناسبة الآية ذكر في المجمع عن ابن عباس: صالح رسول الله ﷺ بالحديبية مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم ولم يردوه عليه، وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه، فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي ﷺ بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم - وقال مقاتل: هو صيفي بن الراهب - في طلبها وكان كافرا فقال: يا محمد أردد علي امرأتي، فإنك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا، وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم

المؤمنات مهاجرات من دار الكفر إلى دار الاسلام فامتنحنوهن)، قال ابن عباس: امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماس دنيا، وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله ﷺ ما خرجت بغضا لزوجها، ولا عشقا لرجل منا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام، فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك، فأعطى رسول الله ﷺ زوجها مهرها، وما أنفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب، فكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن ويعطي أزواجهن مهورهن. انتهى.

قال تعالى ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءُ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتهم فاتوا الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا) الفوات تعذر إدراك الشيء، وتتكير (شيء) لتحقيقه ويراد به المهر، والأزواج أريد بهن النساء الملتحقات بالكفار، والمعاقبة الوصول إلى عقبي الشيء، ويراد به إصابة الغنيمة من عقبي الغزو.

والمعنى: تشريع حكم من لم ترد إليه نفقة مهر الزوجة الملتحقة بالمشركون، فله أن يعطى أجر ما أنفق مما أصاب من الغنيمة.

قوله (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) أي: واجتنبوا معصية الله ومخالفة حكمه، والإتيان بالموصول وصلته لتعليل الأمر بالتقوى، فإن التقوى من أثر الإيمان.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن) خطاب تشریف للرسول ﷺ بصفة النبوة لبيان تشريع بيعة النساء المؤمنات، لخصوص ما اشترط عليهن مما يخص شؤونهن دون الرجال كتدبير المنزل وحفظ النسب، ولخصوصية طبيعة مبايعة النساء من دون مماسة بالأيدي، فهي تختلف عن حال بيعة الرجال التي تتم بالمصافحة.

وحرف الجر (على) دال على الفرض والإيجاب، والشروط الواجبة عليهن كلها مما يحفظهن ويحفظ بهن وحدة المجتمع وتماسكه، وأولها الامتناع عن عبادة غير الله، فمعنى (أن لا يشركن بالله شيئاً) ترك عبادة الأصنام والأوثان، وثانيها: (ولا يسرقن) أي: يسرقن من أزواجهن، أو من غيرهم،

ثالثها: (ولا يزنين) أي: لا يخن أزواجهن في الفراش باتخاذ الأخدان ويزنين، ورابعها: (ولا يقتلن أولادهن) وهي من مفسد الجاهلية أي: لا يقتلن أولادهن بالوآد أو بقتل الأجنة، وخامسها: (ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن) أي: لا يدعين على أزواجهن ولدا ليس له، يفتريه عليه، بسبب حملهن سفاحا، فيُلحِقن به ما ليس منه، والظرف (بين أيديهن وأرجلهن) كناية عن الاستيلاء، لأن الولد إذا وضعته أمه سقط بين يديها ورجليها، وسادسها: (ولا يعصينك في معروف) أي: يلتزم بالعمل بسنتك ولا يعصين لك أمرا، وسماها معصية لما أن مخالفة الرسول ﷺ معصية لله، وعلى هذه الشروط الواضحة المفصلة كان الجزاء في جملة الأمر بالفاء الرابطة (فبايعهن)، والبيعة عقد بين المبايع والنبي ﷺ وتتم مع الرجال بالمصافحة، ومع النساء كما ذكر بوضع اليد في الماء من دون مماسة وقراءة ألفاظ البيعة على الشروط المذكورة ليقبلها الرسول ﷺ، وكان من ضمن من بايع النبي ﷺ من النساء هند في مكة، - كما في الكافي وغيره - ولما وصل إلى قوله: (ولا يقتلن أولادهن) أجابته: أما الولد فقد ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا. أ هـ.

قوله (واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم) الأمر من آثار البيعة، وهو طلب الرسول لهن المغفرة من الله تطهيرا لنفوسهن، وعمله بكثرة غفران الله لعباده المذنبين وشدة رحمته بهم، وإظهار لفظ الله في موضع إضماره لتربية المهابة في النفس، ولإمضائه مثلا مستقلا سائرا راسخا في الأذهان.

وفي تفصيل بيعة النساء جاء في تفسير السمعاني والطبرسي: وروي أن النبي ﷺ بايعهن وكان على الصفا، وكان عمر أسفل منه، وهند بنت عتبة متنفذة متنكرة مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله ﷺ، فقال: أبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا، فقالت هند: إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيالك أخذته على الرجال، وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط، فقال ﷺ: ولا تسرقن، فقالت هند: إن أبا سفيان رجل ممسك، وإني أصبت من ماله هنات، فلا أدري أيحل لي أم لا، فقال أبو سفيان: ما أصبت من مالي فيما مضى، وفيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله ﷺ، وعرفها فقال لها: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالت: نعم، فاعف عما سلف يا نبي الله، عفا الله عنك، فقال ﷺ: ولا تزنين، فقالت هند: أو تزني الحرة؟ فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية، فقال ﷺ: ولا تقتلن أولادكن، فقالت هند: رببناهم صغارا، وقتلتموهم كبارا، وأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتله علي بن أبي طالب الكليلا يوم بدر، فضحك عمر حتى استلقى، وتبسم النبي ﷺ، ولما قال: ولا تأتين ببهتان، فقالت هند: والله إن البهتان قبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، ولما قال: ولا يعصينك في معروف، فقالت هند: ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء. انتهى.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ

يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) نداء المؤمنين بصفة الإيمان للالتفات إلى تكليفهم بالأوامر والنواهي كما هي عادة الأسلوب القرآني، والنهي عن التولية نهى عن الاتباع والانقياد، وتكثير (قوما) دال على النوعية يراد بهم قوم معروفون بعينهم، ودل عليهم بصفته لبيان علة النهي عن موالاتهم، وهو غضب الله عليهم، وغضبه تعالى مجاز لعقابه فيهم، والمراد بهم اليهود، بدليل ذيل الآية، وبذلك الصفة عرّفهم القرآن في غير موضع كقوله تعالى (وباؤوا بغضب من الله) [البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢]، وقوله (فباؤوا بغضب على غضب) [البقرة: ٩٠]، وقوله (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) [المجادلة: ١٤].

قوله (قد يؤسوا من الآخرة كما يؤس الكفار من أصحاب القبور) أي: اليهود قد يؤسوا من ثواب الآخرة لشدة عنادهم وقتلهم لأنبيائهم وعدم رجائهم مغفرة ربهم، كما يؤس الكفار بالله المنكرون للمعاد أصلا من بعث الموتى من قبورهم.

وفي لفظ الآخرة حذف بمعنى: ثواب الآخرة، وفي (أصحاب القبور) حذف يراد به: من بعث أصحاب القبور، وهم الموتى المدفونون، و(من) الأولى للتعدية، والثانية ابتدائية، وتعريف (الكفار) للعهد يراد بهم كفار مكة، وفي الكلام نوع إدماج بين اليهود اليائسين من رحمة الله في آخرتهم وبين المشركين المنكرين لبعث المقبورين أصلا، يراد به تفضيع موالة كليهما،

فقد افتتحت السورة بالنهي عن موالاة المشركين واختتمت بالنهي عن موالاة اليهود، لأن خطرهما واحد ونتيجتهما الخسران.

سورة الصف

مدنية، وهي أربع عشرة آية

غرض السورة تحريض المؤمنين على القتال في سبيل الله ودعوتهم إلى الثبات فيه، وأن ينطبق قولهم على عملهم لأجله، فوعدتهم بإتمام الله لدينه وبعجز الكافرين عن إطفاء نوره، وضربت لهم الأمثلة في فضل نبيهم ﷺ، لحملهم على طاعته، فحذرتهم من إيذائه كما آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام، ونبهتهم إلى التأسي بحواري عيسى عليه السلام حين انتدبهم إلى نصره الله، ووعدت الآيات على امتثالهم لنبيهم بالوعد الجميل والفتح القريب، ومضامين السورة تشهد بأنها مدنية.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ



قوله (سبح لله ما في السموات وما في الأرض) التسبيح كما مر تنزيه الله عن كل نقص، وهو من المعاني القرآنية الجديدة، وكون كل شيء في السموات والأرض يسبح له تعالى سواء بلسان الحال أو المقال فإن ذلك مقتضاه وجوب طاعتهم له تعالى لأنهم من ضمن مصنوعاته أوجدها بفضله، وارتبط وجودهم بوجوده سبحانه، فعليهم دوام الالتزام بنواهيه

وأوامره التي ينزلها على لسان رسله، ومن هنا ارتباط الافتتاح بمضمون السورة، وتوبيخ المؤمنين على إيدائهم للرسول ﷺ.

قوله (وهو العزيز الحكيم) أي: وهو الله الموصوف بالعزة فلا يغلبه غالب ولا يمتنع عليه مانع، وهو الحكيم المتقن لما يفعل.

قال تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾

نداء المؤمنين بصفة إيمانهم لإفادة الحجة بأن عليهم أن يقولوا ما يفعلون لا أن يقولوا ما لا يفعلون، واللام في (لم) للتعليل، و(ما) استفهامية حذفت ألفها للتخفيف، والسؤال دال على توبيخهم لوهم عزيمتهم بقرينة الآيات بعدها، لأن الذي يقول ما لا يفعل صفة المنافقين عامة، ولكن بقرائن الأحوال في الآيات اللاحقة دل الكلام على أن المراد لوم المتصفين بالإيمان وتوبيخهم بسبب تخلف بعضهم عن القتال وتباطئهم عن الإنفاق وتجهيز الجند، فتخلف القول عن الفعل في الآية يراد به إطلاقه لا خصوص صفة المنافقين، وإن كان ذلك أظهر خصائصهم.

قال تعالى ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٣﴾

الفعل (كبر) بمعنى: عظم، مجاز لشدة إنكار العمل وهو تخلف قولهم عن فعلهم، وفاعله جملة (أن تقولوا) ومصدره الصريح بمعنى: كبر هذا القول، والمقت شدة البغض، استعمل مجازاً لعدم قبوله تعالى أعمال المخاطبين، ونصبه على التمييز، والظرف (عند الله) لبيان تفضيع المقت.

قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ
بُيُوتٌ مَرصُوصٌ ﴾ ﴿٤﴾

قوله (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) الكلام تعليل لكبر المقت
عند الله، وهو لأن الله تعالى يرضى عن الذين يطابقون قولهم عملهم
فيقاتلون في سبيل دينه وإعلاء كلمته في حال من الاصطفاف والتهيئة.

وفعل الحب مجاز لرضاه سبحانه، والمضارع لتجدده بتجدد أعمالهم
المرضية، والهاء في (سبيله) أي: في سبيل دينه، وجهاد أعدائه، والصف
مصدر أريد به اسم الفاعل أي: صافين أنفسهم منتظمين، ونصبه على
الحال، فإن في صف أنفسهم للقتال تهيئة بدنية له، واستعدادا نفسيا عاليا
يبعد كل تهاون واستئثار.

قوله (كانهم بنيان مرصوص) جملة التشبيه محلها الحال، أي: مشبهين في
حال صفهم ببنيان مبني بالرصااص لشدة اتصالهم وثباتهم، وعلى هذا فالله
تعالى يحب الذين إذا وعدوا بالقتال ثبتوا عليه كأنهم بنيان مرصوص، فلا
ينهزمون، ويبغض الذين يعدون بالثبات ثم يهزمون.

قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ لِي تَوْدُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٥٠﴾

قوله (واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني) صلة التعلق الظرفي بما قبله من صلة بيان المصداق في شناعة أذى الرسول ﷺ بعدم الالتزام بطاعته قولاً وعملاً، لأن لازم المصداق في أذى بني إسرائيل لنبيهم موسى ﷺ وما ترتب عليه من إزاعة الله لقومه النهي عن إيذاء الرسول ﷺ ، والكلام في معنى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً) [الأحزاب: ٧٠].

ومما ذكرت آيات الكتاب بعض ما أؤذي فيه النبي ﷺ قوله تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) [التوبة: ٦١]، وقوله (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) [الأحزاب: ٥٣]، وقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة) [الأحزاب: ٥٧].

والأذى الذي تعنيه الآيات الأذى النفسي بالقول وبالاقتراء عليه أو بالطعن فيه مما لا يليق بمكانة النبوة وكرامة المنزلة، والسؤال في قوله (لم تؤذونني) سؤال عتاب وتوبيخ من موسى ﷺ لقومه.

قوله (وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء، أي: في حال علمكم علماً قطعياً أني رسول الله إليكم، وعلى يدي أجرى الله معجزاته فأهلك عدوكم وأنجاكم من الغرق.

والحرف (قد) لتحقيق العلم، وصيغة فعل المضارع للدلالة على استمراره لأجل التشديد على طاعة نبيهم موسى عليه السلام.

قوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) الفاء للتفريع على ما سبق، والزيغ الميل عن طريق الحق إلى الباطل، وإزاغة الله لقلوبهم على سبيل مجازاتهم بسبب تلبسهم بالانحراف، والفعل مجاز من رفع لطفه تعالى عنهم وتخليتهم لأنفسهم وشياطينهم، فإن ذلك الإضلال بعينه، وذكر القلوب على سبيل لغة العرب في تسمية النفوس وإدراكاتها الباطنية بذلك.

قوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) تذييل لما سبق وتعليل، والإظهار للفظ الجلالة للتعظيم، ووضع لفظ الفاسقين موضع ضميرهم لإفادة تعليل نفي هدايته تعالى لهم، والفسق الخروج عن زي العبودية والطاعة.

قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٦﴾

قوله (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم) العامل في (إذ) محذوف تقديره: واذكر، وذكر النبي عيسى عليه السلام دائما مع أمه لبيان أن وجوده وحده من دون أب معجزة لنبوته، وللدلالة على من زعم أنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، والنداء بصيغة (يا بني إسرائيل) لاستمالة قلوبهم لما دعاهم إليه، فعيسى عليه السلام بعث بالنبوة إلى بني إسرائيل

لتجديد شرعتهم والتخفيف عنهم مما عوقبوا به، وليكون وسيطا بينهم وبين نبي آخر الزمان الرسول محمد ﷺ الذي بشر به وذكره بالاسم، ومن هنا مناسبة ذكر عيسى عليه السلام بعد ذكر موسى عليه السلام لتعظيم رسالة النبي ﷺ وتذكير الناس بلزوم طاعته وعدم إيدائه بمخالفته في القول والعمل.

قوله (مصدقا لما بين يدي من التوراة) نصب (مصدقا) على الحال، والتصديق الإيمان، أي: إن دعوته عليه السلام لا تناقض ما في شريعة التوراة بل تصدقها وتجدد بعض أحكامها بنسخها تيسيرا لهم، قال تعالى (ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) [آل عمران: ٥٠]

قوله (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) وهو الغرض الثاني من بعثة عيسى عليه السلام التبشير بالنبي ﷺ ، الذي عين زمنه واسمه، والتبشير القول للغير بما يدخل السرور على النفس، وكون النبي ﷺ مُبشرا به للناس جميعا ومنهم بنو إسرائيل لأن رسالته رحمة إلهية وشريعته تحقق السعادة الكاملة في الدارين، قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [الأنبياء: ١٠٧].

وزيادة حرف الجر في شبه الجملة (من بعدي) لبعد البعثة بين عيسى عليه السلام والنبي محمد ﷺ ، والتصريح باسمه (أحمد) لقطع معذرة كل معتر عن إنكار نبوته وعدم الإيمان به، والنبي ﷺ معروف باسمه هذا في الإنجيل الذي حرفه المحرفون، كما حرف علماء اليهود صفته في التوراة، قال تعالى (الذين يتبعون النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة

والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم) [الأعراف: ١٥٧]، ولعل أظهر دليل على التحريف تصديق العلماء الصالحين من أهل الكتاب ببعثة النبي ﷺ واللاحق به، وفي ذلك قوله ﷺ: إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسوف أنبئكم تأويل ذلك، أنا دعوة إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاء له قصور الشام. ذكر في الدر المنثور. انتهى.

وروي في عيون أخبار الرضا ﷺ بإسناده إلى صفوان بن يحيى صاحب السابري قال: سألتني أبو قرّة صاحب الجاثليق أن أوصله إلى الرضا ﷺ فاستأذنته في ذلك، قال: أدخله علي، فلما دخل عليه قبل بساطه وقال: هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف أهل زماننا، ثم قال: أصلحك الله، ما تقول في فرقة ادعت دعوى فشهدت لهم فرقة أخرى معدلون؟ قال: الدعوى لهم، قال: فادعت فرقة أخرى دعوى فلم يجدوا شهودا من غيرهم؟ قال: لا شيء لهم، قال: فإننا نحن ادعينا أن عيسى روح الله وكلمته فوافقنا على ذلك المسلمون، وادعى المسلمون أن محمدا نبي فلم نتابعهم عليه، وما أجمعنا عليه خير مما افترقنا فيه، فقال أبو الحسن ﷺ: ما اسمك؟ قال: يوحنا، قال: يا يوحنا إنا آما بعيسى روح الله وكلمته الذي كان يؤمن بمحمد ويبشر به ويقر على نفسه أنه عبد مربوب، فإن كان عيسى الذي هو عندك روح الله وكلمته ليس هو الذي آمن بمحمد وبشر به ولا هو الذي أقر الله بالعبودية

فنحن منه براء فأين اجتمعنا؟ فقام وقال لصفوان بن يحيى: قم، فما كان أغنانا عن هذا المجلس. انتهى.

ولفظ (أحمد) اسم منقول من الفعل المضارع، أو من اسم التفضيل، أصله الحمد والثناء، وبه عرف بين الناس، كما عرف باسم محمد ﷺ، قال عمه أبو طالب عليه السلام في قصيدته الشهيرة:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وفيها:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وإخوته دأب المحب المواصل

ومنها:

فأصبح فينا أحمد في أرومة تقصر عنه سورة المتطول

وقال مصرحا باسم محمد ﷺ:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا نبيا كموسى خُطَّ في أول الكتب

قال السيد في الميزان معلقا على قول أبي طالب: ويستفاد من البيت أنهم عثروا على وجود البشارة به ﷺ في الكتب السماوية التي كانت عند أهل الكتاب يومئذ ذاك. انتهى.

قوله (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الفاء للتفريع، وفاعل فعل المجيء عائد إلى (أحمد)، وضمير النصب لبنى إسرائيل يهود زمان النبي

ﷺ، ونصاراهم، وشبه الجملة (بالبينات) محلها الحال، والباء للملابسة،
والبيّنات الدلائل والبراهين الواضحة الدالة على صحة نبوته، وأولها
معجزة القرآن، والبشارة، وسائر دلائل النبوة، ولفظ الإشارة للذي جاء به
أحمد، و(سحر مبین) أي: سحر ظاهر، وسموا آيات النبوة سحرا لصرف
الناس من حال الكفر إلى الإيمان، كما يصرف السحر الناس من الحقيقة
إلى تصديق الوهم.

وجاء في تفسير القمي أنه: سأل بعض اليهود لعنهم الله رسول الله ﷺ: لم
سميت أحمد ومحمدا وبشيرا ونذيرا؟ فقال: أما محمد فإني في الأرض
محمود، وأما أحمد فإني في السماء أحمد مني في الأرض، وأما البشير
فأبشر من أطاع الله بالجنة، وأما النذير فأنذر من عصى الله بالنار. انتهى.

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) الاستفهام إنكاري ردا على
قولهم (هذا سحر مبین)، والمعنى: لا أحد أظلم ممن افترى على الله الكذب
وقال إن آيات النبوة سحر مبین.

قوله (وهو يدعى إلى الإسلام) جملة موقعها الحال من الضمير في اسم
الموصول (من)، أي: ينكر آيات النبوة في حال دعوته إلى النجاة والإسلام.

قوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي: والله لا يهدي القوم الذين شأنهم الظلم لحق الله ولأنفسهم.

قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾

قوله (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) فعل (يريدون) أهل الكتاب ومن ظاهرهم من الكفار والمنافقين، وفعل الإرادة دال على العزم الشديد والرغبة الأكيدة، وصيغة مضارعه لاستمراره وتجددته، وتعدية الفعل باللام في (ليطفئوا) مزيدة لتأكيد قصد السبب الموصول إلى إطفاء نور الله، والإطفاء النفخ على نار الشمعة لإخماد نورها، و(نور الله) استعارة تصريحية لتشبيه دينه بالنور بجامع الهداية لمن آمن به، والباء في (بأفواههم) للاستعانة، وذكر لفظ الأفواه للإشعار بقلّة فهمهم وسذاجة أوهامهم، لأنهم تصوروا آيات الله ودينه سحرا يمكن إبطاله بافتراءهم، كما تصوروا سهولة إطفائه بأفواههم كما يطفئون نور الشمعة، أو يمكن أن يكون التشبيه لتمثيل حال التعجيز أي: حالهم وهم يقدحون بدين الله وبراهينه بحال من يريد إطفاء نور الشمس بفيه.

قوله (والله متم نوره ولو كره الكافرون) أي: والحال أن مشيئته تعالى قضت بإتمام دينه كاملا بالغا منتهاه بإعلاء كلمة التوحيد، ولو في حال كره

الكافرين، أي: إرغاما لهم، وسموا بالكافرين أي: الكافرين بنبوة محمد ﷺ من أهل الكتاب وغيرهم.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ٩

قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) الكلام تقرير مؤكد لإتمام نوره تعالى وتعليل له، أي: هو الله الذي أرسل رسوله محمدا ﷺ بالهدى الذي هو القرآن والآيات البينة، ودين الإسلام الذي هو دين الحق.

وبين (أرسل ورسوله) محسن بديعي من نوع الجناس الاشتقائي، وشبه الجملة (بالهدى) محلها الحال، والباء للملابسة، أي متلبسا بالهدى، والهدى أي القرآن الهادي إلى الدين الموصوف بالحق.

قوله (ليظهره على الدين كله) جملة غائية للإرسال، والإظهار التغليب والإعلاء، وفاعل فعله الله، دال على تغلبه ونصرته لنبيه ﷺ، و(على) لمجاز التمكين، وتعريف الدين للجنس، والمعنى: ليعلي شريعة محمد ﷺ على الشرائع كلها، بنسخها وتجديدها.

وفي المجمع: وروى العياشي في تفسيره بالإسناد عن عمران بن ميثم، عن عباية، أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، أظهر بعد ذلك؟ قالوا:

نعم، قال: كلا فو الذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية، إلا وينادى فيها بشهادة أن لا إله إلا الله بكرة وعشيا. انتهى.

قوله (ولو كره المشركون) الواو للحال، أي: يظهره الله في حال إرغام المشركين، وخص المشركين بالذكر مع أن غيرهم من الأديان يكرهون ظهور دين الإسلام إدماجا لذكر الفريقين الكارهين لظهور دين الإسلام.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠﴾

نداء أمة الإسلام بصفة الإيمان من أكثر النداءات القرآنية التي ميزت أمة محمد ﷺ عن غيرها من الأمم، فالنداءات الجماعية في الخطاب القرآني كثيرة ليس فيها من هذه الصفة كنداء: يا أيها الناس، يا بني إسرائيل، يا بني آدم، وهو لا ريب فيه نداء حجة، أو نداء عتب أو الإشعار بتحمل ثقل هذه الصفة، كما تقدم في السور غير مرة.

والسؤال في قوله (هل أدلكم على تجارة) سؤال تشويق لإفادة تطلع الأسماع إلى معرفته، و(أدلكم) بمعنى: أرشدكم وأهديكم، وفعل الدل يتعدى بـ (على) دائما، والصفة في جملة (تنجيكم من عذاب أليم) زادت السؤال تشوفا وتشوقا، وسماها تجارة باعتبار عود النفع الذي ينشده المتعامل بها، وتكثير اللفظ للتعظيم والنوعية، وقيد التجارة بكونها منجية من عذاب أليم أي: عذاب يوم القيامة، إذ ليس كمثل هذا الربح المنتظر ربح، لأن النجاة

في ذلك اليوم تعني لازمه وهو الفوز بالجنة منتهى آمال المؤمنين، وإسناد التنجية إلى التجارة من المجاز العقلي للمبالغة.

ومجمل معنى الكلام في الآية نظير قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) [التوبة: ١١١].

قال تعالى ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قوله (تؤمنون بالله ورسوله) الفصل لأنه بمنزلة الإجابة عن السؤال الناشئ مما تقدم بتقدير: ما هذه التجارة؟ ف قيل: كذا، والإخبار في الجواب مضمونه الإنشاء بمعنى: آمنوا وجاهدوا.

ومعنى (تؤمنون بالله ورسوله) مع أنهم خاطبوا بصفة الإيمان للإشعار بما يطلب من الإيمان الحقيقي الذي من آثاره الجهاد بالأموال والأنفس.

والإيمان بالله غير الإيمان بالرسول، لأن الأول يعني الإيمان بتوحيده في عبادته، وأما الإيمان بالرسول فهو الإيمان بصحة الرسالة والمعجزة القرآنية والالتزام بطاعته، ولذا جاء عطف الرسالة على الألوهية.

قوله (وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) وهو الغرض مما قدم له لأنه الأثر الحقيقي للإيمان بالله ورسوله، وسبيل الله دينه القويم الموصل إلى النجاة والسعادة في الدارين، ولفظ الأموال تطلق على كل ما ينفق من العتاد وتجهيز الخيل والأعيان النقدية ونحوها، والجهاد بالأنفس تعريضها للموت بالسيف دفاعاً عن دين الله ورسوله.

قوله (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) لفظ الإشارة للبعيد لتفخيم ما تقدم من الإيمان والجهاد بالأموال والأنفس، ولفظ الخيرية لمطلق الخير، والشرط لتهييج أنفسهم على الإيمان والجهاد، لأنهم إن كانوا من أهل العلم بفضل ذلك أقبلوا عليه وقدروا جائزته.

قال تعالى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (يغفر لكم ذنوبكم) جزم الفعل (يغفر) لأنه بمنزلة جواب الشرط أو الأمر المتضمن في الإخبار المتقدم، أي: آمنوا يغفر لكم ذنوبكم، وهو من وعد الله الجميل للمؤمنين المجاهدين.

والغفران أصله الستر، ويراد به التجاوز والصفح، وفعله يتعدى باللام، والذنوب مطلق المعاصي.

قوله (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن) العطف من جملة مكافأة الله لهم، وتأخرها لأن جناته تعالى طاهرة لا

يدخلها إلا الذين تنزهت نفوسهم من أدران المعاصي، لذلك يغفر الله لهم أولاً ثم يدخلهم جناته العظيمة الموصوفة بكثرة الأنهار وجريان الماء.

والعطف في (ومساكن طيبة) بمعنى: ويدخلكم مساكن طيبة، زيادة في التشويق في طلبها بالعمل الصالح والجهاد في سبيله في الدنيا، والمسكن مكان السكن والاستقرار، ووصفها بأنها طيبة لأنها آمنة ليس على المقيمين فيها من تنغيص، و(في) للتلبس الظرفي، و(جنات عدن) من إضافة الموصوف إلى صفته للمبالغة وهو كثير في القرآن، دالة على الاستقرار والثبات.

قوله (ذلك الفوز العظيم) لفظ الإشارة للبعد لتفخيم الفوز بالجنات، ووصفه بالعظمة لأنه لا مثيل له.

قال تعالى ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيَسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾

قوله (وأخرى تحبونها) أي: ونعمة أخرى غير نعمة المغفرة وإدخال الجنات تحبونها، فلفظ (أخرى) صفة قامت مقام الموصوف، وجملة (تحبونها) محلها صفة ثانية للموصوف المقدر، والخطاب في الفعل للمؤمنين، تشويق لهم بما يعدهم ربهم من فتح ترغب إليه النفس في وقوعه.

قوله (نصر من الله وفتح قريب) تفسير لـ (أخرى) أي: وهي نصر من الله وفتح قريب، وتتكير (نصر وفتح) للتفخيم، و(من) ابتدائية، ولفظ الجلالة

لتعظيم النصر، ولفظ الفتح كناية عن تحرير مكة من الشرك، وتوصيفه بالقرب لأنه معجل زمانا.

قوله (وبشّر المؤمنين) أي: وبشر المؤمنين المجاهدين بكل ما تقدم من النعم لا خصوص النصر والفتح.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَكَأَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) خطاب المؤمنين مرة بعد مرة نوع إلهاب لإيمانهم، فمرة بإثارة ما تتطلع إليه نفوسهم في سؤالهم (هل أدلكم) ووعدهم الوعد الجميل بالغفران وإدخال الجنات والنصر القريب، والآن في الآية بخطاب الأمر في أن يكونوا أنصار الله، والإضافة إلى لفظ الجلالة للتعظيم، كما يقال: بيت الله، والأمر بفعل الكون بمعنى ليكن شأنكم ذلك ووجودكم كله نصرة لله، ونصرة الله بمعنى نصرة رسوله وطاعته بدليل التشبيه بحواري عيسى عليه السلام.

قوله (كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله) الكاف للتشبيه و(ما) مصدرية بمعنى: كقول عيسى، والإتيان بالتشبيه لإفادة تأسي المؤمنين بحواري عيسى، لأنهم قالوا بالنصرة وثبتوا على ما قالوا، ومن هنا محل الشاهد.

والحواريون أصحاب عيسى عليه السلام الأصفياء الاثنا عشر الذين سلكوا سبيله في طاعة الله وأخلصوا نفوسهم لعبادته تعالى، ومفرده حواري وقيل: إن اللفظ معرب من النبطية مأخوذ من نصارى الحبشة.

واسم الاستفهام (من) حقيقي للتمييز، و(أنصاري) جندي وأتباعي، وحرف الجر (إلى) استعارة تبعية بمعنى: ذاهبين ملتجئين إلى الله بالطاعة ونصرة الدين.

قوله (قال الحواريون نحن أنصار الله) أي: نحن أنصار دين الله وأنصار أوليائه، وإنما لم يجيبوه: نحن أنصارك، لأنهم فهموا من سؤاله نصرة الله بنصرة نبيه ودينه، فضمنوه نصرة عيسى عليه السلام، لأنه الداعي إلى الله سبحانه.

قوله (فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) الفاء للتفريع، والمعنى: أن بني إسرائيل انقسمت زمن عيسى عليه السلام فرقتين، فصدقت فرقة منهم بعيسى عليه السلام وكفرت أخرى به وحدثت نبوته.

قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) الفاء تفريع بعد تفريع، أي: فنصر الله المؤمنين بعيسى عليه السلام ودعوته على عدوهم، وإنما قال بالإفراد: عدوهم، وليس: أعدائهم، لأنه اسم جمع يستعمل للمفرد والجمع.

قوله (فأصبحوا ظاهرين) الفاء للتفريع، أي: فأصبح الحواريون بفضل تأييد الله لهم ظاهرين غالبين بعد أن كانوا مستخفين مضطهدين، وغلبة أصحاب عيسى عليه السلام على بني إسرائيل ظهرت بعد حين وأصبحوا حكاما فيهم.

وفي التمثيل بحواريي عيسى عليه السلام تلويح إلى أمة محمد ﷺ ، كما قال السيد في الميزان: يجري فيهم ما جرى في أمة عيسى عليه السلام تؤمن منهم طائفة وتكفر طائفة، فإن أجاب المؤمنون استنصاره - وقد قام هو تعالى مقامه في الاستنصار إعظاما لأمره وإعازا له - أيدهم الله على عدوهم، فيصبحون ظاهرين كما ظهر أنصار عيسى والمؤمنون به. انتهى.

والقول من عيسى عليه السلام أعني المحكي عنه في قوله تعالى (من أنصاري إلى الله) ذكر في سورة آل عمران [الآية ٥٢] حين أحس من بني إسرائيل الكفر به، ولا تنافي في خطابه هنا إلى أنصاره، لأنه أراد في الحاليين تمييز من يقوم بعده مقامه في نصرته الحق وإخلاص النفس للدين.

سورة الجمعة

مدنية، وهي إحدى عشرة آية

افتتحت السورة بتسبيح الله تعالى والثناء عليه، لما منّ على الأميين ببعثة رسول منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم بتطهير نفوسهم من أدران الشرك، وحذرتهم من أن يسلكوا سبيل اليهود في ترك العمل بأحكام القرآن، فكانوا كالحمار يحمل أسفاراً لا يجني منها سوى المشقة والتعب، وكان ذلك المثل وما تقدمه كالتمهيد إلى غرض السورة، وهو حثهم على الالتزام بصلاة الجمعة، وترك كل ما يشغلهم عنها من علائق الدنيا، فالآيات تعرض توبيخ الله للمؤمنين المنفضين عن النبي ﷺ في حال خطبته قائماً واعظاً لهم، ونبهتهم إلى خطأ ما فعلوا، وأرشدتهم إلى أن الخير الحقيقي الذي لأجله تركوا الرسول ﷺ عند الله، لا في اللهو والتجارة.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾

قوله (يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض) أي: ينزه الله ويقده كل مخلوق في مملكة الله العريضة في السماوات والأرض، لأنه الكامل المستحق للتنزيه عن كل نقص، والخالق المالك الذي تجب عبادته، فكل موجود بفضله وإليه ينتهي وجوده.

وصيغة المضارع في (يسبح) للتجدد والاستمرار، واللام في (الله) للاختصاص، و(ما) اسم موصول يشمل العاقل وغير العاقل.

قوله (الملك القدوس العزيز الحكيم) أسماء الله العلى دالة على كماله تعالى الموجب للتسبيح من كل ما خلق، ومقتض لطاعته فيما أرسل من رسل وشرع من شرائع، فهو الملك المختص بالملك وحده، الحاكم المطلق في مخلوقاته، وهو القدوس المنزهة ساحة قدسه عن كل نقص واحتياج، فإذا أمر بعبادته فلأجل عباده لا لاحتياج منه إليهم، وهو العزيز الغالب على أمره، لا يعجزه أهل العصيان عن طاعته وطاعة رسله، ولكن مشيئته اقتضت المجازاة على العمل، وهو الله الحكيم في وضع الأمور موضعها، فلا اعتباط في أفعاله ولا مصادفة، والافتتاح بالتسبيح توطئة لما بعده.

قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾



قوله (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم) الكلام من آثار ما ذكر من صفاته تعالى في الملك والتقديس والعزة والحكمة، سيق مساق الامتنان.

وفعل البعث معناه الإرسال، وتعديته بحرف الجر (في) دون (إلى) لإفادة أن المبعوث من جنس قومه ملازم لهم، يعرفهم ويعرفونه، ولفظ الأميين كناية عن العرب، سموا بذلك نسبة إلى أم القرى مكة، أو نسبة إلى الأم،

أي: إنهم لا يملكون كتابا سماويا يجتمعون حوله فيقرؤون ويكتبون، كما تملك الأمم الأخرى كأمة اليهود والمسيح، قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله بعث محمدا ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

ويؤيد هذا المعنى ما نقل عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية: كانوا يكتبون ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله ولا بعث إليهم رسول فنسبهم الله إلى الأميين. ذكر القمي في تفسيره. انتهى.

ولفظ (رسولا) صفة للموصوف المبعوث محمد ﷺ، وتنكيره لرفعة شأنه، وشبه الجملة (منهم) محلها صفة ثانية، و(من) بيانية، والضمير عائد إلى الأميين، أي: من جنس العرب وقوميتهم نظير قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) [التوبة: ١٢٨].

ولا يعني بعث الرسول ﷺ في الأميين اختصاصهم به في الرسالة، فلا تنافي في أن يكون مبعوثا أول أمره إلى الأميين ثم يتوسع في رسالته إلى العالمين، فذلك من مقتضيات الحكمة.

قوله (يتلوا عليهم آياته ويزكيهم) الجملة محلها صفة أخرى للرسول الأمي، أي: يقرأ على الأميين آيات الله ويظهر نفوسهم من أدران الكفر والشرك.

وفعل التلاوة بمعنى القراءة المستمرة، وحرف الجر في (عليهم) لتمكين التلاوة من أسماعهم، و(آياته) أي: آياته تعالى في القرآن الكريم، والتزكية أصلها النماء، استعملت مجازا لتربية النفوس والوصول بها إلى مراتب

الطهارة من الكفر وأدران الشرك، ولذا قدمت على التعليم، فالمراد: تخليص نفوسهم من الشرك والمعاصي، ثم تعليمهم، وصيغة الفعل المضارع في (يتلو ويزكي) دالة على الاستمرار.

قوله (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أي: ويفهمهم أحكام الشريعة، ما أحلت وما حرمت، ويعلمهم الحكمة من حقيقة التشريع لاجتناب مخالفتها.

وفي الدعاء المحكي عن لسان إبراهيم عليه السلام قوله تعالى (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم) [البقرة: ١٢٩]، تقدم التعليم على التزكية لمقام الدعاء وكما ذكر السيد في الميزان: والعلوم والمعارف أقدم مرتبة وأرفع درجة في مرحلة التحقق والاتصاف من الزكاة الراجعة إلى الأعمال والأخلاق. انتهى.

قوله (وإن كانوا من قبل لفی ضلال مبين) الجملة محلها الحال، أي: يعلمهم ويزكيهم في حال كونهم في ضلال مبين، و(إن) مخففة من الثقيلة، و(من) مزيدة للتأكيد، وبناء الظرف (قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة أي: من قبل البعث، واللام في (لفي) واقعة في خبر (إن) للتأكيد، و(في) للملابسة الظرفية، أي منغمسين في ضلال لا شبهة فيه، والضلال إضاعة الصواب والحق، وتنكيره لتحويله.

قال تعالى ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣﴾

قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) العطف على (الأميين)، لإفادة دخولهم في البعث، و(من) في (منهم) للتبويض، وضمير الجمع راجع إلى الأميين، و(لما) لنفي المستقبل القريب، والمعنى: بعث في الأميين وفي آخرين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون.

ولفظ الآخرين يفيد الغيرية، أي: من غير العرب، وإنما وصفهم بأنهم منهم - أي من العرب الأميين - باعتبار أنهم إذا أسلموا صاروا منهم، وروي أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية، ف قيل له: من هؤلاء؟ فوضع يده على كتف سلمان وقال: لو كان الإيمان في الثريا لناله رجال من هؤلاء. ذكر في الصحاح والتفاسير. انتهى. وقيل يراد بهم التابعون وهو بعيد.

قوله (وهو العزيز الحكيم) أي: وهو الله الموصوف بالعزة فلا يغلبه غالب، وهو الحكيم المتقن لأفعاله.

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ



قوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) اسم الإشارة للبعيد لتفخيم المشار إليه وهو بعث الرسول ﷺ، والفضل الإحسان، وإضافته إلى لفظ الجلالة للتعظيم، والإيتاء الإعطاء، وخضوعه لمشئته الله لاختصاصه تعالى في حكمة من يصطفي لرسالاته.

قوله (والله ذو الفضل العظيم) إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار
للتعظيم، والإخبار بأنه صاحب الفضل العظيم أي صاحب المنّ الموصوف
بالعظمة، ومنه بعثه محمدا ﷺ بالنبوة.

قال تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا)
المثل المشبه، وأمثال القرآن من ابتكاراته التي يجيء فيها وجه المشبه هيأة
منتزعة من صفات متعددة في كل طرف أو في طرف المشبه به، وكل
صفة فيه تصلح أن تكون تشبيها، و(الذين حملوا التوراة) طرف المشبه
الذي يراد تبيينه، وهم اليهود علّمهم نبيهم موسى ﷺ شرعة التوراة
واحكامها ثم لم يحملوها، أي: لم يعملوا بها، وفعل الحمل مرتين استعارة
مكنية، شبهت تكاليف العمل بأحكام التوراة بثقل، ثم حذف المشبه به،
وأشير إليه مما يخصه وهو الحمل، وكذلك القول: (لم يحملوها)، وما بين
فعلي الحمل محسن بديعي وهو التجنيس الاشتقاقي.

وأما طرف المشبه به الذي أتى به لتوضيح حال المشبه فهو صورة الحمار
الذي يحمل على ظهره كتبا نافعة لا يجني منها غير المشقة والتعب، ومن
بديع النظم تكرار فعل الحمل ثلاث مرات في قصيدة واضحة إلى توجيه

الأسماع والأبصار إليه، واختيار لفظ الأسفار، ومفرده السفر - بكسر السين - وهو الكتاب الذي يسفر عن الحقائق، وأما وجه الشبه بين الطرفين فهو معناه حمل الشيء النافع من دون الاستفادة منه، فقد شبه اليهود في حال تركهم العمل بشريعة التوراة مع تعليمهم بها بحال الحمار الذي يحمل على ظهره أسفارا نافعة لا يجني منها غير المشقة والتعب.

قوله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) جملة ذم، وتمييزه محذوف تقديره: بئس مثلاً، وما بعده أعني قوله (مثل القوم) هو المخصوص بالذم، وجملة الموصول لبيان علة ذمهم، وهو تكذيبهم لآيات الله وإنكارهم لها.

قوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) الإظهار للفظ الجلالة لإفادة استقلال الجملة، وتسييرها مثلاً راسخاً في الأذهان، والإتيان بلفظ القوم ثم توصيف قوميتهم بالظلم لإفادة رسوخ الصفة في طباعهم، فضلاً عما يحمل التركيب من تعليل لنفي هدي الله لهم، والظلم إنقاص حق الغير، وهم ظالمون لأنهم بخسوا حق دينهم ونبيلهم وأنفسهم.

وأما وجه اتصال المثل بما سبق وما سيأتي في السورة فهو لتحذير المؤمنين من أن يكونوا كاليهود، يحملون علم القرآن وأحكامه ثم لا يعملون به.

قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُواْ إِن زَعَمْتُمْ أَنكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلّٰهِ مِن دُونِ

النَّاسِ فَتَمَتَّوْاْ أَلْمُوتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾

قوله (قل يا أيها الذين هادوا) الأمر بـ (قل) للنبي ﷺ لتعليمه ما يكذب زعم اليهود ويبطل زيف ادعائهم، وأما خطابهم بالتهود ففيه تعريض بهم لأنهم حرفوا دينهم من الالتزام بالتسليم لله إلى عصبية الالتزام بتعاليم اليهودية ونفي ما عداها.

قوله (إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت) الإتيان بالشرط لفائدة بيان جوابه المبطل لزعم اليهود، فإن قولهم بأنهم (أولياء الله من دون الناس) بهذا الإطلاق من دون تقييد زعم من دون دليل، ادعوا فيه اختصاصهم بالله كزعمهم بأنهم أبناء الله وأحبائه، قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبائه) [المائدة: ١٨]، وأنهم لا يعذبون كغيرهم، وحكاة قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) [البقرة: ٨٠]، وزعموا أن الجنة خالصة لهم لا يشاركون فيها أحد، قال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا) [البقرة: ١١١]، والزعم قول من دون علم، قال الراغب: الزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب، ولهذا جاء في القرآن في كل موضع ذم القائلون به نحو: (زعم الذين كفروا - بل زعمتم - كنتم تزعمون - زعمتم من دونه). انتهى.

والفاء في جملة (فتمنوا الموت) واقعة في جواب (إن) الشرطية، وتمني الموت طلبه بقوة، وهو إشارة إلى ترك التعلق بالدنيا وملذاتها، وطلب اللجوء إلى لقاء الله والاختصاص بدار كرامته في الجنة، والمعنى: أستم تزعمون أنكم تحبون الله فاطلبوا لقاءه بطلب الموت، لأنه السبيل القسري في الانتقال إلى العالم الآخر.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط لتعجيز اليهود، أي: إن كنتم صادقين في دعواكم بأنكم أولياء الله لا أعداؤه.

قال تعالى ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ﴾

قوله (ولا يتمنونه أبدا) جملة النفي لإبطال مزعمهم بولايتهم لربهم، بنفي أن يمتنوا الموت، وتأبيد النفي ثقة بياسهم من رحمة الله، لأنهم في الحقيقة أعداء الله لا أولياؤه.

قوله (بما قدمت أيديهم) أي: بسبب ما عملوا في حياتهم الدنيا، من قتل للنبيين، وتحريف للدين، وجحود لمنن الله عليهم، وظلم للعباد.

والباء في (بما) تفيد السبب، و(ما) موصولية، والتكنية عن أعمالهم بالتركيب (قدمت أيديهم) لأن الأعمال تسبق مجترحها المكلف للمثول بين يدي ربها يوم القيامة للحساب، وإسناد التقديم إلى الأيدي على سبيل المجاز العقلي، وذكر الأيدي دون غيرها على سبيل المجاز المرسل، وهذا من بدیع المجازات أن يذكر المجازان معا في تركيب واحد.

قوله (والله عليم بالظالمين) الإخبار في مضمونه الوعيد الشديد، ولفظ العليم مبالغة في كثرة العلم، وصرح عنهم بلفظ الظالمين لتسجيل شناعة عاقبة الظلم عليهم، والكلام في الآيتين نظير قوله تعالى (قل إن كانت لكم الدار

الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين) [البقرة: ٩٥].

والميل إلى علائق الدنيا أهم أسباب كراهة الموت، نقل عن الصادق عليه السلام قوله: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: يا أبا ذر ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون أن تنتقلوا من عمران إلى خراب. ذكر في الكافي. انتهى.

قال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ أُلْمُوتَ أَلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قوله (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) إخبار ووعد لليهود، لأنهم في حقيقتهم طلاب دنيا فضلوا العاجلة على الآجلة، لذلك فعلوا ما فعلوا، فتوعدهم الله بأن الموت الذي يهربون منه ملاقيهم لا محالة، لأن ذلك سبيل كل حي في عالم الدنيا، فالفرار من سبب الموت يزيده قربا منه، وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام في قوله: كل امرئ لاق ما يفر منه في فراره، والأجل مساق النفس، والهرب منه موافاته. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

وجملة الموصول محلها الصفة، والفاء في (فإنه) واقعة في تقدير الجزاء، لأن جملة (إن) الموصوفة بالموصول بقوة الشرط، وجملة (ملاقيكم) اسم فاعل أضيف إلى معموله دال على الاستقبال.

قوله (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) العطف بـ (ثم) لفائدة التراخي
الرتبي في الكلام، والرد الرجوع، و(إلى) لانتفاء الغاية من وجودهم في
دار التكليف، والكناية عن الله تعالى بالقول (عالم الغيب والشهادة) لما فيه
من وعيد ضمنى لليهود بسبب أعمالهم في السر والعلن، ومحاسبتهم عليها
يوم القيامة.

قوله (فبينكم بما كنتم تعملون) الفاء للتفريع، والإنباء الإعلام والإخبار
وفيه دلالة إخرائهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، لأنه إنباء يراد به ما
بعده من حساب وتعرية لزيغ أعمالهم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر
الله) خطاب للمؤمنين لإفادة تكليفهم، واستعمال أسلوب الشرط من دون
الأمر المباشر، لبيان تفصيل التكليف، وفعل النداء رفع الصوت للأذان
بدخول الصلاة، واللام المقترن بالصلاة بمعنى الغاية، أي: لأجل الصلاة،
وتعريف اللفظ للعهد، وشبه الجملة (من يوم الجمعة) بدل أو تفسير للصلاة،
وهي الصلاة التي شرعها الإسلام للناس مجتمعين يوم الجمعة، وتكفل
بتفصيلها الفقه، وحرف الجر (من) للتبويض، لأن صلاة الجمعة جزء من
الأعمال العبادية لهذا اليوم، ويمكن أن يكون بمعنى (في) كما في قوله

تعالى (أروني ماذا خلقوا من الأرض) [فاطر: ٤٠، الأحقاف: ٤]، أي: في الأرض، ويوم الجمعة سماه الإسلام كذلك لأنه يجمع الناس للصلاة، وقيل: بل سماه كعب بن لؤي، وكان قبل ذلك يسمى العروبة، وهو لا شك من خصوصيات مجتمع الإسلام.

والفاء في (فاسعوا إلى ذكر الله) واقعة في جواب (إذا) الشرطية، والسعي أصله الجري، استعير لبيان شدة الاهتمام في القصد إلى الشيء، و(إلى) لانتهاؤ الغاية، و(ذكر الله) كناية عن الصلاة بقرينة الحال والمقام، لأن لفظ الذكر أكثر استعماله في آيات الكتاب للإشارة إلى القرآن، وسميت الصلاة بالذكر لأن في مجملها دعاء وتضرعا إليه تعالى كما في قوله سبحانه (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) [العنكبوت: ٤٥].

قوله (وذروا البيع) أمر تشريعي للمؤمنين بترك كل ما يشغلهم عن إقامة صلاة الجمعة، والفعل (ذروا) ترك للشيء بكراهة، والبيع يقال للشراء وبالعكس، وأصله إعطاء المثلث وأخذ الثمن، وإنما ذكر البيع لأنه أظهر مصاديق الاشتغال عن الصلاة ولذا جيء به على إطلاقه، فقد ذكر في سبب النزول أنه أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رآه قاموا إليه بالبيع خشية أن يسبقوا إليه، فلم يبق مع النبي ﷺ إلا رهط، فنزلت الآية، فقال: والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لا يبقى أحد منكم لسال بكم الوادي نارا. ذكر في التفاسير. انتهى.

قوله (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) الفصل للتعليل، ولفظ الإشارة لحكم ترك مطلق الاشتغال عن صلاة الجمعة، ولفظ الخيرية يراد به الإطلاق لا التفضيل، وجملة الشرط لبيان جهل المخاطبين لأنهم لو علموا ما في صلاة الجمعة من خير لما انفضوا عنها إلى لهو الدنيا.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) الفاء الأولى للتفريع والثانية للجزاء، وقضاء الصلاة انتهاءؤها، وتعريفها للعهد أي صلاة الجمعة، والأمر بالانتشار كناية عن جواز التفرق لأداء الأعمال الحياتية، و(في) للتلبس الظرفي، وتعريف الأرض للجنس أي في بلادكم.

قوله (وابتغوا من فضل الله) الجملة تقابل الأمر بترك البيع في وقت صلاة الجمعة، أي: واطلبوا من مطلق عطايا الله، في الرزق من البيع والشراء، أو من الأجر والثواب في صلة رحم أو عيادة مريض، أو طلب علم.

والابتغاء شدة الطلب، و(من) ابتدائية، والفضل الإحسان، لأن كل ما يكون من الله فضل منه لا استحقاق للعبد فيه على ربه، وإضافته إلى لفظ الله للتعظيم.

قوله (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) لفظ الذكر يقال لمطلق الحضور، أي: راعوا حق الله في أعمالكم ولا تغفلوا عن استحضاره في أذهانكم، لأنه في ذلك ظفركم بسعادة الدارين الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله (وإذا رأوا تجارة أو لهو أنفضوا إليها وتركوك قائما) الالتفات في إخبار النبي ﷺ لتوبيخ المؤمنين غير ملتزمين، والترديد بين التجارة واللهو لأنهما من مظاهر التعلق بالدنيا، كلاهما يشغلان عن ذكر الله، والإشارة بالضمير إليهما في (إليها) لأن اللهو يصلح للتذكير والتأنيث، وقيل: إن العير لما وردت المدينة ضربوا بالدف والطبل لإلفات أسماع الناس.

والانفضاض من الفض وهو الكسر، استعير لشدة التفرق، وجملة (وتركوك قائما) حالية، والخطاب للرسول ﷺ، ونصب (قائما) على الحال، أي: في حال قيامك على المنبر وقت موعظتهم وإرشادهم.

قوله (قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة) أي: أخبر المؤمنين أيها النبي ﷺ بخطأ ما فعلوا ونبههم إلى أن الخير الحقيقي عند الله، فعنده الثواب الدائم لا ما يتوهمونه في اللهو والتجارة.

قوله (والله خير الرازقين) الإظهار في موضع الإضمار للتعظيم، أي: والله
خير الرازقين يرزقكم وإن لم تتركوا الخطبة والجمعة.

سورة المنافقون

مدنية، وهي إحدى عشرة آية

غرض السورة بيان أحوال المنافقين وفضح أخلاقهم الفاسدة، وكشف ما أضمرت نفوسهم المريضة، بغية تحذير المؤمنين من خبت أفعالهم، أو التأثير بآثار نفاقهم، وفي السورة توثيق لبعض أحداث المنافقين ينطبق عليها سبب النزول، وأنها من السور المدنية.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾

قوله (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) (إذا) ظرف شرطي لما يستقبل من الزمان، استعمل لتفصيل أحوال المنافقين، والخطاب للرسول ﷺ عناية من الله بنبيه، والمجيء في معناه حضور المنافقين في مجلس الرسول ﷺ، وهم طبقة ذات نفوذ في مجتمع المدينة ظهرت بعد الهجرة، وكشف القرآن في آياته أحوالهم وعرفهم بأنهم يظهرون الإيمان ويستبطنون الكفر، وعاملهم النبي ﷺ على ظاهرهم ولكنه حذر منهم من دون أن يسمي أكثرهم حفاظا على وحدة مجتمع الإسلام.

وجملة (قالوا) محلها الحال، أي: قائلين، والشهادة في مضمونها القسم، وحرف النسخ ولام الخبر مؤكدات لتحقيق معنى الرسالة لأنهم متهمون في حقيقة إيمانهم فيدفعون التهمة عن أنفسهم بكثرة الأيمان.

قوله (والله يعلم إنك لرسوله) جملة حالية اعتراضية لتثبيت صحة الرسالة المحمدية، ولإفادة كذب ادعاء المنافقين في إيمانهم بالرسالة والإسلام.

قوله (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أي: والله يشهد إن المنافقين لكاذبون في انطباق صحة اعتقادهم على قولهم، لا في نفس الرسالة، وإظهار لفظ الجلالة في موضع إضماره لبيان علة الحكم.

وظاهر الآيات يؤيد سبب نزولها، فقد ذكر في تفسير القمي قوله: نزلت في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة، وكان رسول الله ﷺ خرج إليها، فلما رجع منها نزل على بئر وكان الماء قليلا فيها، وكان أنس بن سيار حليف الأنصار، وكان جهجاه بن سعيد الغفاري أجيرا لعمر بن الخطاب فاجتمعوا على البئر فتعلق دلو سيار بدلو جهجاه فقال سيار: دلوي، وقال جهجاه: دلوي، فضرب جهجاه على وجه سيار، فسال منه الدم، فنادى سيار بالخزرج، ونادى جهجاه بقريش، وأخذ الناس السلاح وكاد أن تقع الفتنة، فسمع عبد الله بن أبي النداء فقال: ما هذا؟ فأخبروه بالخبر، فغضب غضبا شديدا، ثم قال: قد كنت كارها لهذا المسير، إني لأذل العرب، ما ظننت أني أبقي إلى أن أسمع مثل هذا فلا يكن عندي تغيير، ثم أقبل على أصحابه فقال: هذا عملكم أنزلتموهم منازلكم

وواسيتموهم بأموالكم ووقيتموهم بأنفسكم وأبرزتم نحوركم للقتل، فأرمل
نساؤكم وأيتم صبيانكم ولو أخرجتموهم لكانوا عيالا على غيركم، ثم قال:
لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، وكان في القوم زيد بن
أرقم وكان غلاما قد راهق، وكان رسول الله ﷺ في ظل شجرة في وقت
الهجرة وعنده قوم من أصحابه من المهاجرين والأنصار، فجاء زيد
فأخبره بما قال عبد الله بن أبي، فقال رسول الله ﷺ: لعلك وهمت يا غلام،
قال: لا والله ما وهمت، قال: فلعلك غضبت عليه؟ قال: لا والله ما غضبت
عليه، قال: فلعله سفه عليك، فقال: لا والله، فقال رسول الله ﷺ لشقران مولاه:
أحرج فأحرج راحلته وركب وتسامع الناس بذلك، فقالوا: ما كان رسول الله
ﷺ ليرحل في مثل هذا الوقت، فرحل الناس ولحقه سعد ابن عبادة فقال:
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال: وعليك السلام، فقال:
ما كنت لترحل في مثل هذا الوقت، فقال: أو ما سمعت قولا قال صاحبكم؟
قال: وأي صاحب لنا غيرك يا رسول الله؟ قال: عبد الله بن أبي زعم أنه إن
رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فقال: يا رسول الله فإنك
وأصحابك الأعز، وهو وأصحابه الأذل، فسار رسول الله ﷺ يومه كله لا
يكلمه أحد، فأقبلت الخرج على عبد الله بن أبي يعذلونه، فحلف عبد الله أنه
لم يقل شيئا من ذلك فقالوا: فقم بنا إلى رسول الله حتى نعتذر إليه فلوى
عنقه، فلما جن الليل سار رسول الله ﷺ ليله كله فلم ينزلوا إلا للصلاة،
فلما كان من الغد نزل رسول الله ﷺ ونزل أصحابه وقد أمهدهم الأرض
من السفر الذي أصابهم، فجاء عبد الله بن أبي إلى رسول الله ﷺ فحلف

عبد الله له أنه لم يقل ذلك، وأنه يشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك لرسول الله، وإن زيدا قد كذب علي، فقبل رسول الله ﷺ منه وأقبلت الخرج على زيد بن أرقم يشتمونه ويقولون له: كذبت علي عبد الله سيدنا، فلما رحل رسول الله ﷺ كان زيد معه يقول: اللهم إنك لتعلم أنني لم أكذب على عبد الله بن أبي فما سار إلا قليلا حتى اخذ رسول الله ﷺ ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي، فثقل حتى كادت ناqqته أن تبرك من ثقل الوحي، فسري عن رسول الله ﷺ وهو يسكب العرق عن جبهته، ثم أخذ بأذن زيد بن أرقم فرفعه من الرحل ثم قال: يا غلام صدق قولك ووعى قلبك وأنزل الله فيما قلت قرآنا، فلما نزل جمع أصحابه وقرأ عليهم سورة المنافقين: (بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - ولكن المنافقين لا يعلمون) ففصح الله عبد الله بن أبي. انتهى.

قال تعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله (اتخذوا أيمانهم جنة) أي: جعل المنافقون أقسامهم بالله وقاية يدفعون بها تهمة الشرك عن أنفسهم فلا يؤاخذون.

ولفظ الأيمان جمع يمين، وهو القسم، سمي بذلك على سبيل الاتساع في الاستعمال، وأصله من البيع ينعقد بالقسم باليد اليمين، ولفظ الجنة معناه الترس، استعير لما يتقى به، وتنكيره للنوعية.

قوله (فصدوا عن سبيل الله) الفاء للتفريع، وفعل الصد يحتمل معنيين، الأول: أن يراد به الإعراض، أي: إعراض أنفسهم عن الإيمان الحقيقي، والثاني: أن يراد به الصرف، أي: صرف عامة الناس عن الإيمان بالله ورسوله، أو النهي عن الإنفاق لأجل الدين بالتشكيك بأصل الرسالة والنبوة. و(سبيل الله) دينه القويم الموصل إلى السعادة في الدارين، وإضافته إليه تعالى لتعظيمه.

قوله (إنهم ساء ما كانوا يعملون) جملة ذم لقبح ما عمل المنافقون، وفعل المضارع دال على استمرار فعل النفاق منهم لحين نزول السورة.

قال تعالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ



قوله (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا) الفصل لتعليل سبب إصرارهم على النفاق ومساءة عملهم، وهو ما أشير إليه مختصرا بلفظ الإشارة، والباء في (بأنهم) للسبب، وأريد بالإيمان إيمانهم الظاهري على اللسان من دون انعقاده في الجنان، أي: مجرد لقلقة اللسان بالشهادتين، و(ثم) للتراخي الذكري، ولذلك نزلوا منزلة الكافرين نظير قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) [البقرة: ١٤]، إذ لا يختلفون عن أهل الشرك والردة في شيء، بل هم أشد خطورة على أهل الإسلام.

قوله (فطُبع على قلوبهم) الفاء لتفريع النتيجة على السبب، أي: أن الطبع على قلوبهم نتيجة نفاقهم، لأنه مجازاة من الله على أفعالهم، والطبع استعارة لمنع وصول الأثر الإيماني إلى نفوسهم، وهو من الاستعارات القرآنية التي تكررت مرارا في صفة المنافقين، وحرف الجر (على) للتمكين والاستعلاء، وذكر القلوب يراد به الإدراكات النفسية.

قوله (فهم لا يفقهون) جملة النفي نتيجة متفرعة على الطبع، أي: فهم بسبب الطبع لا يعلمون التمييز بين الحق والباطل، ولا يهتدون إلى الإيمان.

قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مِّنْ سَنَدَةٍ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) الكلام في صفة المنافقين، والخطاب لكل راء وسماع، والمراد التحذير من ظاهر المنافقين، فهم على صباحة من الأشكال، وجسامة في الهيآت، متأنقون في ملبسهم، يغرون في مرآهم، وقد كان رأس المنافقين عبد الله بن أبي وبعض أصحابه ممن يوصف بذلك.

قوله (وإن يقولوا تسمع لقولهم) صفة أخرى من أحوال ظاهرهم، فأقوالهم تغري السامع بتصديقها لأنها فصيحة بليغة، وإلى هذه المعاني في صفة المنافقين قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: لهم بكل طريق صريع، وإلى كل قلب شفيع، ولكل شجو دموع، يتقارضون الثناء، ويتراقبون

الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عذّلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا، قد أعدوا لكل حق باطلا، ولكل قائم مائلا، ولكل حي قاتلا، ولكل باب مفتاحا ولكل ليل مصباحا، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم، يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون، قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق. انتهى.

قوله (كأنهم خشب مسندة) التشبيه لتوضيح حقيقتهم، أي: كأنهم أشباح بلا أرواح، ولفظ الخشب جمع خشبة، وهو من الجمع النادر، كبدن وبدنة، ويراد بها النخرة المتأكلة في داخلها، وصفة التسنيد إذا أميلت إلى حائط ونحوه، لأنها إذا لم ينتفع بها في سقف أو شد جدار تسند إلى الحائط، لطولها وظاهر قوتها، لذلك شبه المنافقون بها.

قوله (يحسبون كل صيحة عليهم) كشف آخر لأحوالهم، وهو اضطراب نفوسهم، وجبنهم لئلا يكتشف أمرهم، فقد كانوا على وجل من أن يظهر الله ما سترُوا فيبيح دماءهم.

وفعل الحسابان بمعنى الظن، والصيحة كناية عن التنادي بالمكروه، و(عليهم) أي: واقع ضررها فيهم، والتركيب من بديع الكشف النفسي للمنافقين، وهو كمثل القائل: كاد المريب يقول خذوني.

قوله (هم العدو فاحذرهم) ضمير الفصل للقصر، وكذا تعريف العدو، ولفظ العدو مستعمل للمفرد والجمع، والفاء لتفريع الأمر على القصر، والمعنى:

هم الأعداء الحقيقيون لك - أيها النبي ﷺ - وللمسلمين فيتوجب عليك الحذر منهم دائماً، لأنه لا أشد عداوة ممن يظهر الوداد ويضمر الشر.

قوله (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالموت مقتولين في الدنيا، وملعونين في الآخرة، ولفظ المقاتلة دون القتل لما فيه من المبالغة والشدة.

قوله (أنى يؤفكون) جملة الاستفهام موقعها الحال، و(أنى) بمعنى: من أين أو كيف، ويفيد التوبيخ والتعجيب من صرف نفوسهم عن الحق إلى الباطل مع وضوح الدلائل.

قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۝﴾

قوله (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) الكلام يعرض حالة بعد حالة من أحوال مفاصد المنافقين بطريقة (إذا) الشرطية، والمعنى: أنهم إذا ظهرت لهم خيانة أو جناية ونصحهم المؤمنون بأن يسألوا الرسول ﷺ الاستغفار لهم من ربهم لووا رؤوسهم.

وجزم (يستغفر) لأنه جواب الأمر (تعالوا)، وذكر الرسالة بطريق الإضافة إلى لفظ الله لبيان علة طلب الاستغفار، وإتيان الرسول ﷺ، ولي الرؤوس إمالتها استكباراً، كناية تصويرية عن شدة إعراض المنافقين عن سؤال الرسول ﷺ الاستغفار، واستهزائهم به.

قوله (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) أي: ورأيتهم يعرضون عن القائل أو الاستغفار، وهم في حال من الاستعلاء.

قال تعالى ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿٦﴾

قوله (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) الكلام للرسول ﷺ، لبيان اليأس من إيمان المنافقين، فالاستغفار متساو في نفي الفائدة لهم سواء حصل من النبي ﷺ أو لم يحصل.

قوله (لن يغفر الله لهم) الفصل لأنه بمنزلة الإجابة عن سؤال ناشئ مما تقدم بتقدير: لماذا يتساوى الاستغفار لهم وعدمه، فأجيب بأنه: لن يغفر الله لهم، والغفران أصله الستر، ويراد به التجاوز عن المعصية.

قوله (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) تعليل للنفي، وهو إن هدايته تعالى مرفوعة عن القوم الموصوفين بالخروج عن زي عبوديته.

والإتيان بلفظ القوم ثم توصيفه بالفسق لبيان رسوخ الصفة فيهم، وتوصيف المنافقين بالفسق لبيان علة نفي الهداية.

قال تعالى ﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾

قوله (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) لا يخلو الاستئناف من تعليل لفسق المنافقين أو نفي المغفرة لهم، وضمير الفصل واسم الموصول للتأكيد على قبح أفعال المنافقين وأقوالهم، والقول منهم بالنهي عن الإنفاق من بعض الصد المار في قوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله)، والمعنى: يقولون لأمثالهم لا تعطوا الفقراء الملازمين للرسول ﷺ حتى ينفقوا عنه فلا يتحكم علينا، ويبدو أن القائل هو عبد الله بن أبي بن سلول، وضمير الجمع لرضا قومه المنافقين بمقاله.

والإتيان بالظرف (عند رسول الله) لبيان الفئة المخصوصة من الفقراء المعوزين الذين يلزمون صحبة النبي ﷺ، والتسمية بالرسول ﷺ في قول المنافقين لمكرهم فظاهر قولهم التخفيف عن النبي ﷺ من الإنفاق على الفقراء، وباطنه تفريقهم عنه حتى لا يتقوى بهم.

قوله (ولله خزائن السموات والأرض) الكلام رد من الله على نهي المنافقين عن الإنفاق، والتقديم للقصر، واللام المقترن بلفظ الله للملك والاختصاص، والخزائن جمع خزينة وهي ما يختزن فيها من معادن ثمينة وأموال، واللفظ

استعارة لما وهب الله في السماوات والأرض من خيرات لا تعد ولا تحصى، فله وحده اختصاص الإعطاء والمنع بحسب حكمته، التي يمتحن بها من يشاء.

قوله (ولكن المنافقين لا يفقهون) الاستدراك بمعنى: ولكن المنافقين لا يفهمون معنى خزائن السماوات والأرض بيده تعالى يعطي من يشاء ويمنع عن من يشاء، وليس لأحد ذلك حتى يمنع فقيرا، إذ لو شاء الله أغنى الفقراء.

قال تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ



قوله (يقولون لننرجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) أي: يقول المنافقون مقسمين مؤكدين متوعدين بإخراج النبي ﷺ من المدينة، والقائل هو عبد الله بن أبي، وضمير الجمع لأن قومه رضوا مقاله، فنسب إلى جميعهم، ولفظ الأعز كناية عن نفسه، والأذل إشارة إلى النبي ﷺ.

قوله (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) الكلام رد من الله تعالى على قول المنافقين بتهديد النبي ﷺ بالإخراج والإذلال، وتقديم (لله) لقصر العزة فيه تعالى وفي رسوله وفي المؤمنين، فلا عزة إلا لهم، وتبقى الذلة لغيرهم من المنافقين وأضرابهم.

قوله (ولكن المنافقين لا يعلمون) الاستدراك بعد القصر أقرب إلى أسلوب الذم بما يشبه المدح، لأن (لكن) يتوقع منها أن يستدرك على معنى ما تقدم، ففوجئ السامع بأن وسم المنافقين بما يذمهم بصفة الجهل ونفي العلم.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) انتقل بالكلام من فضح أفعال المنافقين إلى توجيه المؤمنين بعدم التلهي بما يشغل عن مطلق ذكر الله كالصلاة وسائر العبادات، لأن ذلك يفضي إلى نسيان العبد لربه والانغماس في زينة الحياة الدنيا.

وذكر الأموال والأولاد لأنها أظهر مصاديق التعلق بالانشغال بأحوال الدنيا عن الذكر، وهي مما يورث النفاق، وإسناد اللهو إليها من دون المؤمنين على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، وللاشارة إلى أن الأموال والأولاد من طبعها الإلهاء.

قوله (ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) الشرط لبيان التحذير الشديد بعد النهي، ولفظ الإشارة للتلهي بالدنيا عن الدين، وضمير الفصل وأل الخاسرين لقصرهم في الخسران، أي: البالغون منتهى الخسران، حيث باعوا الكثير الباقي بالقليل الفاني.

قال تعالى ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ



قوله (وأنفقوا مما رزقناكم) أمر بالإنفاق في وجوه البر عامة ويدخل فيه الإنفاق الواجب كالزكاة والكفارات ونحوها، وتقنيده بشبه الجملة (مما رزقناكم) للإشارة إلى أن الأمر ليس عطية مما يملكون، وإنما هو مما ملكهم ربهم وخولهم في التصرف فيه، من دون أن يستقلوا فيه على وجه الحقيقة.

قوله (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) أي: من قبل أن ينقطع تصرفكم في الإنفاق قسرا بالموت.

و(من) مزية للتأكيد، وتقديم المفعول (أحدكم) للاهتمام، والتركيب أعني (يأتي أحدكم الموت) من الابتكارات القرآنية، والمعنى: يأتيه سبب الموت ومخايله.

قوله (فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب) الفاء من عطف التفرع، أي: يقول متمنيا داعيا ربه لولا أمهلتني إلى أمد قريب الوقوع كي أستطيع الإنفاق، وإنما تقيد الأجل بالقریب إشارة إلى قناعته بالتمديد القليل، وهو من الجهل لأن كل أجل حتمي الوقوع قريب، وإلى ذلك قول النبي ﷺ:

كل ما هو آت قريب، وقول الإمام علي عليه السلام: كل متوقع آت، وكل آت قريب دان.

قوله (فأصدق وأكن من الصالحين) الفاء لترتيب النتيجة على السبب، وهو التصديق والإنفاق لاكتساب الأجر والثواب ليعد من جملة الصالحين، وربما كان من جملة مصاديق الصلاح الحج ففي المجمع عن ابن عباس قال: ما من أحد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته وأطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت، قالوا: يا ابن عباس اتق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال: أنا أقرأ به عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآية - يعني قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم - إلى قوله - من الصالحين) قال: الصلاح هنا الحج، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام. انتهى.

وأصل (فأصدق): فأتصدق، حذف التاء لتيسير النطق، ونصب الفعل لأنه جواب للتمني، وجزم الفعل (أكن) لأنه معطوف على محل (فأصدق) لأنه في معنى جواب الشرط بتقدير: إن أمهلتني أصدق وأكن من الصالحين، قال في المجمع: ومثل ذلك قوله تعالى (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم) لما كان (فلا هادي له) في موضع فعل مجزوم حمل (ويذرهم) عليه. انتهى. أقول: هذا الحمل على قراءة من جزم (يذرهم).

قال تعالى ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

قوله (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) النفي التأييدي تأييس من الله تعالى لاستجابة دعائهم وتمنيهم الإمهال، لأن قبض الأنفس حين موتها من الأجل المسمى في قضائه تعالى الذي لا يتغير ولا يتبدل نظير قوله تعالى (وإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) [يونس: ٤٩].

قوله (والله خبير بما تعملون) أي: والله عليم بما عملتم وسيجازيكم بها، ومن علمه تعالى أنكم لا تتوبون، فلم يستجب لكم في إمهالكم.

سورة التغابن

مدنية، وهي ثماني عشرة آية

افتتحت السورة بالتسبيح لله تعالى، وصنفت خلق الله العقلاء كافرين ومؤمنين باختيارهم، ورغبت في أن يكونوا مؤمنين كلهم لما أنهم مملوكون له سبحانه، فأمرتهم بطاعة الله وطاعة رسوله ووعدتهم بالوعد الجميل يوم القيامة، وتوعدت المنكرين الجاحدين بالعذاب الأليم، حتى وصلت السورة إلى غرضها في الحث على الإنفاق في سبيل الله، ورغبت فيه وسمته قرضاً حسناً، ووعدت برده في الدنيا مضاعفاً وفي الآخرة بالمغفرة والجنة، والسورة تشبه سورة الحديد في افتتاحها وغرضها، وهي بعد مدنية شهد سياق آياتها بذلك.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾

قوله (يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض) صيغة المضارع دالة على دوام التسبيح لنفس السموات والأرض ومن فيها وما فيها، والتسبيح تنزيه الله تعالى عن كل نقص وشين، واللام المقترن بلفظ الجلالة للاختصاص.

قوله (له الملك وله الحمد) فصل الجملة لوقوعها علة للتسبيح، وتقديم شبه الجملة (له) لقصر مطلق الملك فيه تعالى وحده، لأن كل شيء قائم به منته وجوده إليه تعالى، وكذا قصر مطلق الحمد، لأن حمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده.

قوله (وهو على كل شيء قدير) التقديم للاهتمام، ولفظ القدير مبالغة في القدرة، وعموم القدرة على كل شيء، لأنه - كما قيل - نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

قوله (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) القصر بمعنى: هو الله وحده الذي أوجدكم ومع ذلك افترقتم فبعضكم كافر مختار للكفر على خلاف فطرته، وبعضكم الآخر مؤمن مختار للإيمان حسب خلقته، وكان حريا بكم أن تكونوا جميعا مؤمنين، متوافقين للفطرة التي فطركم الله عليها، وتقديم الكفر لأنه مناسب لمقام التوبيخ، ولغلبة أهله على الإيمان.

قوله (والله بما تعملون بصير) أي: والله بما تعملون عليم يجازيكم بها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فاختاروا الخير على الشر.

قال تعالى ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ

الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾

قوله (خلق السماوات والأرض بالحق) أي: أوجدها في حال من التلبس بالحق، لأنها جارية إلى غاية مقصودة، ولم تخلق عبثًا باطلا كما يدعي الوثنيون، وتلك الغاية هي تحقيق العدل والحساب للمكلفين يوم القيامة، قال تعالى (وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين، ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون) [الدخان: ٣٨ - ٣٩].

قوله (وصوركم فأحسن صوركم) التصوير إعطاء الصورة والهيئة، والخطاب لعموم الناس، والحسن هنا بمعنى الإجادة، أي أجاد في تجهيز صوركم بما أودع فيها من كمالات وصفات لغاية وجودها المعلوم.

قوله (وإليه المصير) التقديم لقصر المعاد إليه تعالى، والمصير المنقلب والمآل.

قال تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾

قوله (يعلم ما في السماوات والأرض) لما ذكر مصير الخلق إلى الله تعالى وحده، أكد بسعة علمه تعالى وإحاطته بكل شيء ومنه تفرق الأبدان في الأرض، وذلك لأن المشركين كانوا يحتجون باستحالة جمع الأشلاء وبعثها

خلقا من جديد بعد تحللها في الأرض، وقد حكى الله شبهتهم في قوله (وقالوا إذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد) [السجدة: ١٠].

قوله (ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ولسعة علمه تعالى يعلم خطراتكم وما تضمرون وما تعلنون، والأفعال المضارعة في الكلام للتجدد.

قوله (والله عليم بذات الصدور) جملة تقرير، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار لبيان علة الحكم، وإفادة استقلال الجملة مثلا في الألسن والأذهان.

ولفظ العليم مبالغة في العلم، وذات الصدور: مضمرات النفس، على طريقة العرب في تسمية النفس بالقلوب أو الصدور، والجملة الإسمية لتحقيق المعنى.

قال تعالى ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قوله (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) الخطاب للمشركين، والاستفهام لتوبيخهم وتقريعهم، والمعنى: ألم تتعظوا بأخبار الأمم البائدة التي سبقتكم في العناد والكفر كأمة نوح وعاد وشمود كيف عاقبها الله واستأصل وجودها.

قوله (فذاقوا وبال أمرهم) الفاء للتفريع، وفعل الإذاقة استعارة لما شملهم من عذاب الإفناء، ولفظ الوبال العاقبة الوخيمة، والمراد بـ (أمرهم) كفرهم وما تبعه من إصرار على الفسق والجحود.

قوله (ولهم عذاب أليم) أي: ولهم في الآخرة عذاب موصوف بالألم، زيادة على عذاب إفنائهم في الدنيا.

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا ۖ وَأَسْتَغْنَىٰ اللَّهُ وَلِلَّهِ غَنًى حَمِيدٌ ۖ ﴾

قوله (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) الفصل لتعليل ما سبق، ولفظ الإشارة لعذاب الكافرين في الدنيا والآخرة، والباء في (بأنه) للسبب، وجملة (تأتيهم) دالة على استمرار إرسال الرسل إليهم وإلقاء الحجة عليهم قبل إنزال العذاب، وشبه الجملة (بالبينات) محلها الحال، أي: متلبسين بالحجج البينة الواضحة على صحة الإرسال ودعوة التوحيد.

قوله (فقالوا أبشر يهدوننا) الفاء للتفريع، والاستفهام منهم للإنكار والاستهزاء أن يكون للبشر فضل هدايتهم، لأنهم ينكرون إمكان بعثة البشر أنبياء كما تقدم مرارا، وإنكارهم للنبوة هو الذي جرهم إلى إنكار الوجدانية والمعاد، ولفظ البشر تقال للمفرد والجمع، واستعملت هنا في الآية للجمع بدليل (يهدوننا)، وتنكيرها للاحتقار.

قوله (فكفروا وتولوا) الفاء لترتيب الأثر على السبب، وهو كفرهم وإعراضهم عن دعوة الأنبياء التي كانت تأتيهم.

قوله (واستغنى الله) استغناء الله كناية عن إظهار غناه بإنزال عذابه على الكافرين، فالله تعالى مستغن بذاته غير محتاج إلى أحد من خلقه.

قوله (والله غني حميد) جملة مقامها التعليل، والإظهار للفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم وإفادة استقلال الكلام ليجري مجرى المثل، أي: والله تعالى غني في ذاته محمود في فعاله.

قال تعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧﴾

قوله (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) أكثر استعمال فعل الزعم في إلقاء الدعوى من دون دليل، فهي تقارب كذب القول، والمراد بالذين كفروا الوثنيون أهل مكة وما جاورها، وكان إنكارهم بعثهم من القبور أحياء بعد موتهم من أكثر ما سجله القرآن عليهم، لأن إنكارهم للمعاد إنكار لأصل التبليغ والإنذار من حساب يوم القيامة، ونفي لعدالة الله في خلق الخلق والعالم، جل سبحانه عن أن يخلق شيئاً بغير حق.

قوله (قل بلى وربي لتبعثن) تلقين من الله تعالى لنبيه للرد على إنكار الكافرين لبعثهم، الذي قابله بقوة تحقيق المعنى، فالقسم ولام الجواب ونون التأكيد كلها من أدوات تأكيد المعنى الذي ينكره المشركون المخاطبون.

والقسم بالربوبية للإشارة إلى أن البعث من جملة تدبيره تعالى في الانتقال من دار إلى دار ومن عالم إلى عالم، وأن ذلك من شؤون ربوبيته التي لا تنفصل عن الألوهية كما يزعم الوثنيون.

قوله (ثم لتنبؤن بما عملتم) العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي، واللام المقترن بفعل الإنباء للقسم، ونون الفعل للتأكيد، والمعنى: لتعلمن بما عملتم في حياتكم الدنيا من كفر وإنكار للمعاد لتحاسبوا عليه، لأن ذلك غاية خلقكم وبعثكم.

قوله (وذلك على الله يسير) أي: وذلك البعث والإنباء بالأعمال على الله أمر يسير لإحاطته تعالى بكل شيء، والتصريح بلفظ الله لإفادة علة الحكم.

ومما ذكر أن أمر النبي ﷺ في الآية بالقسم بربه على تحقيق المعاد ثالث الأقسام التي ذكرت في القرآن العظيم، فقد سبقتها آيتان في قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي) [يونس: ٥٣]، وقوله سبحانه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم) [سبا: ٣].

قال تعالى ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ



قوله (فآمنوا بالله ورسوله) الفاء للتفريع على مضمون ما سبق من تأكيد البعث والإنباء بالأعمال، والأمر لعموم المشركين، أي: فآمنوا بالله إلها واحدا لا شريك له، وآمنوا برسالة رسوله ونبوته.

قوله (والنور الذي أنزلنا) أي: وآمنوا بالقرآن، ولفظ النور استعارة تصريحية بجامع الوضوح والهداية إلى السبيل الآمن، وجملة الموصول لتعظيم القرآن وتأكيد شهادة صحة نزوله منه تعالى، ولهذا عدل في الكلام من الغائب إلى ضمير التكلم.

وآيات الكتاب تسمى القرآن نورا كقوله تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) [الأعراف: ١٥٧]، وقوله (وأنزلنا إليكم نورا مبينا) [النساء: ١٧٤]، وقوله (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا)، كما سميت التوراة نورا في قوله تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس) [الأنعام: ٩١].

قوله (والله بما تعملون خبير) إخبار في مضمونه الوعيد لمن لم يؤمن، والوعد لمن آمن.

قال تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

قوله (يوم يجمعكم ليوم الجمع) الظرف متعلق بقوله (لتبعثن)، أو بفعل محذوف تقديره: واذكر، وفعل الجمع يراد به بعث الأولين والآخرين من

قبورهم وحشرهم للحساب، واللام بمعنى الغاية، ويوم الجمع يوم الحساب، وبينه وبين (يجمعكم) محسن بديعي اسمه الجنس الاشتقاقي.

قوله (ذلك يوم التغابن) لفظ الإشارة للتهويل، ويوم التغابن من أسماء القيامة التي ذكرها القرآن للإشارة إلى مضامينها، ومثلها يوم التناد ويوم التلاقي، ويوم الحسرة، وقد أشار إليها الصادق عليه السلام.

والتغابن تفاعل من الغبن، وهو أن تنقص حق الغير بنوع من الخفاء، وأصله من المبيعات والمعاملات، واستعير ليوم القيامة، لأن في ذلك اليوم يظهر الغابن والمغبون، فيتمنى كل أحد ألا يكون قد نقص من حظه شيئاً، فالمؤمن يرجو لو أنه لم يترك شيئاً من ثواب الأعمال الصالحة في دار التكليف، والكافر يتمنى لو أنه لم يبيع كثير الآخرة بقليل الدنيا، ولأهل التفسير وجوه كثيرة في قلب لفظ التغابن، ومنها ما قيل إن: يوم التغابن غبن أهل الجنة أهل النار، فقد روي في الصحاح والتفاسير عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره قوله: ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً، وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة. انتهى.

قوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) الكلام ترغيب في الإيمان بالله وعمل الصالحات بعد الوعيد بيوم التغابن، وتقديم التكفير عن السيئات لأن الجنة مقام الطاهرين، يزيل الله عنهم أدران الخطايا بالغفران

عنهم، ثم يدخلهم جناته الخضراء الجارية الأنهار في حال من الخلود في نعيمها لا ينقصهم عليها منقص.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١٠)

الكلام يقابل الذي سبق، وفيه وعيد شديد بالمجازاة على الكفر والتكذيب بآيات الله، وصحبة النار يراد بها ملازمتها وأنهم غير مبارحيها في حال من دوام البقاء في عذابها، وساء المصير مصيرهم.

قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١١)

قوله (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) القصر بالنفي والاستثناء لتحقيق المعنى، وهو أن المصائب التي تضرب الناس إنما تكون برخصة منه، لا باستقلال عن إرادته، وتلك الرخصة التي عبر عنها بالإذن إنما تحصل بتخليّة الله للعبد للحوادث، وعدم منعها منه لحكمة قضتها مشيئته تعالى، والكلام توطئة للغرض الذي سيق المعنى لأجله وهو الترغيب في الإنفاق.

و(من) مزيدة لتقوية نفي العموم، والمصيبة تقال لما يكره وقوعه، وجملة (بإذن الله) محلها الحال، ويراد به سماحه للمصيبة أن تقع.

قوله (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) ارتباط الجملة بما قبلها يقتضي أن يكون أن من يؤمن بالله يتوجب عليه الإذعان لحكمة الله في نزول المكروهات والصبر عليها كالمرض والموت ونحوها، ومن مصاديقه اللجوء إلى الله والاسترجاع وهو أن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، لأن في معناه الإقرار بقدر الله والإذعان لقضائه، وفي نهج البلاغة، سمع علي عليه السلام رجلا يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عليه السلام: إن قولنا: إنا لله إقرار على أنفسنا بالملك، وقولنا: وإنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك. انتهى.

قوله (والله بكل شيء عليم) جملة تقرير لمعنى ما تقدم، لأن الإيمان بعلم الله بكل شيء يطمئن المؤمن أنه بعينه وحفظه، وأن وقوع المصيبات جرى بإذنه ولم تنزل مستقلة من نفسها، وأنها نزلت لحكمة يجهل وقوعها العبد، فما عليه إلا أن يسأل ربه الصبر على البلاء، أو يبادر إلى دفعها كالاعتداء على النفس أو العرض أو المال، أما المصيبات غير الاختيارية كالمرض ونحوه فلا سبيل إلا الدعاء لكشفها.

قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (١٢)

قوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) تكرار فعل الأمر بالطاعة لتغاير الطاعتين، فطاعة الله بتوحيده، وطاعة رسوله باتباعه ولزوم الأخذ بأوامره ونواهيه، وقد جاء الأفراد في الأمر بالطاعة خمس مرات في سور القرآن

العظيم في النساء [النساء، الآية: ٥٩]، وفي المائدة الآية ٩٢، وفي النور الآية ٥٤، وفي سورة محمد الآية ٣٣، وأخيرها هنا في سورة التغابن، وأما بعطف الرسالة على الألوهية من دون تكرار فلإشارة إلى أن طاعته من طاعة الله وتعويلا على فهم اختلاف الطاعتين، وقد جاءت في ثلاثة مواضع في سورة الأنفال مرتين الآية: ١، ٤٦، وفي سورة المجادلة الآية ١٣.

قوله (فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) الفاء للتفريع، وفي مضمون الشرط وجوابه التهديد والوعيد، والتولي الإعراض عن الطاعة، وأقيمت جملة القصر بـ (إنما) مقام جواب الشرط لإفادة تحقيق معنى كون الرسول مبلغا لا ضامنا أو مكرها لكم على الإيمان، وفيه تلويح بالتهديد ولذلك التفت في الخطاب من الغيبة إلى ضمير التكلم في (رسولنا)، إشارة إلى واجب طاعته.

قال تعالى ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾



قوله (الله لا إله إلا هو) فصل الجملة لوقوعها علة للأمر بطاعة الله ورسوله، وذلك لأن جوهر العبودية طاعة الإله المدبر لأمر مولاه، ولذلك أمره بالتوكل عليه وتفويض شؤونه إليه.

قوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) التقديم للقصر، أي عليه وحده دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً، وإظهار لفظ الجلالة لبيان علة الأمر بالتوكل، والفاء المقترن بفعل أمر التوكل لمعاملته معاملة الجزاء، لأن في تقديم شبه الجملة قوة الشرط.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) أي: يا أيها الذين آمنوا إن من بعض أزواجكم وبعض أولادكم عدوا لكم، وهم عدو على سبيل التشبيه لأنهم السبب في أن يحملوا المؤمنين على ترك واجب الإنفاق في سبيل الله أو اللحاق بركب المجاهدين، أو ارتكاب المحرمات لأجل إرضائهم، فهم كالعدو الذي يريد إيقاع الشر بالآخر من هذا الجانب أي بما أنهم متصفون بالإيمان.

وحرف الجر (من) تفيد التبعية، والأزواج تقال للذكور والإناث بما أنهم مقترنون بالزوجية، ولفظ العدو تقال للمفرد والجمع.

قوله (فاحذروهم) الفاء لتفريع الحذر من الوقوع في معاصي الله تعالى بسبب الإفراط في الميل إلى الأزواج والأولاد.

قوله (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) ترغيب للمؤمنين بدليل جواب الشرط في أن يعفوا عن أزواجهم وأولادهم ويصفحوا عنهم ويغفروا لهم وألا يمنعوا صلتهم عنهم، فقد ذكر في التفاسير أن ناسا من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم، وقالوا تنطلقوا وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا في الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم، فزين لهم العفو، وقيل: قالوا لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم، وقالوا: لنن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير، فلما هاجروا ومنعهم الخير حثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة.

وألفاظ العفو والصفح والغفران ظاهر معانيها التجاوز عن الذنب غير أن بينها فروقا دقيقة، فالعفو القصد إلى إزالة الذنب، والصفح ترك التثريب، وربما عفا الإنسان ولم يصفح، ولفظ المغفرة معناه ستر الذنب تمهيدا لعدم إنزال العقاب.

قال تعالى ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

قوله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) الكلام تقرير لمعنى ما تقدم من أمر الحذر من الإفراط في الميل إلى الأزواج والأولاد على حساب طاعة الله،

ولفظ الفتنة البلاء والامتحان، لأنهما أظهر زينة الحياة الدنيا التي يجذب إليها الإنسان وينسى بها ربه، فيخلد إليهما ناسيا غايته الأسمى وهي رضى الله.

ولا يصغى إلى ما ذكر في كتب التفسير من بكاء الحسن عليه السلام أو تعثر الحسين عليه السلام بثوبه وأن الرسول ﷺ قطع خطبته أو نزل من منبره بسبب ذلك وقال الآية مثبتا فتنتهما له.

قوله (والله عنده أجر عظيم) إخبار في مضمونه الترغيب في طاعته تعالى لا طاعة للملهيّات عنه، فالله الذي يملك الثواب الجزيل في الآخرة التي هي الغاية لا زينة الدنيا.

قال تعالى ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٦)

قوله (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا) أمر متفرع على ما سبق، وتقوى الله مخافته من كل معصية، و(ما) مصدرية، أي: اتقوه قدر ما أمكنكم ووسعته طاقتكم والأمر في معنى قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) [آل عمران: ١٠٢]، قال العلامة الطباطبائي: وليست الآية ناظرة إلى نفي التكليف بالاتقاء فيما وراء الاستطاعة وفوق الطاعة كما في قوله (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) [البقرة: ٢٨٦]. انتهى.

وفي هذا المعنى نقل ابن شهر آشوب أن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته)، قال: والله ما عمل بها غير أهل بيت رسول الله ﷺ ، نحن ذكرنا الله فلا ننساه ونحن شكرناه فلا نكفره، ونحن أطعناه فلا نعصيه، فلما أنزلت هذه الآية قالت الصحابة: لا نطبق ذلك فأنزل الله: (فاتقوا الله ما استطعتم). انتهى.

قوله (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) الأمر بالإنفاق غرض السورة، وما سبقه بمنزلة التمهيد له، ونصب (خيرا) لأنه مفعول لأجله، واللام في (لأنفسهم) للعلة، أي: لأجل أنفسهم، وهو لتهوين مشقة الإنفاق على النفس بالإشعار إلى أن عود نفعه على النفس.

قوله (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي: ومن جنبه الله عموم شح النفس فأولئك البالغون منتهى الظفر والفلاح، والشح أشد البخل.

وفي تفسير القمي: حدثني أبي عن الفضل بن أبي مرة قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام يطوف من أول الليل إلى الصباح وهو يقول: اللهم وقني شح نفسي فقلت: جعلت فداك ما رأيته تدعو بغير هذا الدعاء، فقال: وأي شيء أشد من شح النفس؟ إن الله يقول: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون). انتهى.

قال تعالى ﴿إِنْ تَقْرَضُوا أَللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

وَأَللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾

قوله (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) الشرط وجزاؤه للترغيب في الإنفاق، وسماه الله قرضا وجعل نفسه مقترضا مع أنه المالك الحقيقي للطفه تعالى وحضه على الإنفاق، والقرض الحسن القرض الذي لا منة فيه، والمضاعفة الزيادة على المثل.

قوله (ويغفر لكم والله شكور حلیم) أي: وفوق مضاعفة رد القرض يغفر الله لكم لأن الله شكور حلیم، ولفظ الشكور مبالغة لكثرة الشكر، مجاز لكثرة إثابته تعالى على إنفاق المنفقين، والحليم مبالغة لكثرة الصبر.

قال تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

قوله (عالم الغيب والشهادة) صفة ثالثة لله، أي: الذي يستوي عنده الغيب والحضور، وذلك لكمال إحاطته بالأشياء.

قوله (العزیز الحکیم) أي: الموصوف بالعزة فلا يحتاج أحدا، والحكيم المتقن لأفعاله.

سورة الطلاق

مدنية، وهي اثنتا عشرة آية

غرض السورة بيان أحكام الطلاق بيانا كلياً، فعرضت لأحكام عدة النساء المطلقات، وأوصت بحفظ حقوقهن وأمرت بمعاملتهن بالمعروف في حال الإمساك أو التسريح، وتخللتها آيات من الوعظ والتحذير والتبشير.

وذكر في الدر المنثور عن أبي سعيد الخدري قوله: نزلت سورة النساء القصرى بعد التي في البقرة بسبع سنين. انتهى. وهو يريد بها سورة الطلاق، سميت بذلك لما ذكرت من أحكام طلاق النساء وعدتهن.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

قوله (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الخطاب للنبي ﷺ لما أنه قائد الأمة، إذا نودي وخطب خطاب الجمع كانت أمته داخلة في ذلك الخطاب كما قيل، والشرط على تقدير محذوف أي: إذا عزمتم على

طلاق النساء، إذ لا معنى لتحقيق الطلاق بعد وقوعه، فهو في معنى قوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا) [المائدة: ٦]، ولفظ النساء على نحو الجنس، لأن الحكم لغير معين، والمقصود بهن اللواتي في قيد الزوجية، واللام في (لعدتهن) أي: ليعتدّن، وعدة النساء حبس المرأة نفسها عن زوجها بعد التطليق حتى تنقضي أقرأوها حسب ما فصل الشرع، على أن يكون يوم التطليقة في طهر لا واقعة فيه ولا في محيض.

والطلاق من أكثر المباحات المكروهة في أحكام الإسلام، فمما رواه الإمام علي عليه السلام عن النبي ﷺ قوله: تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش. ذكر في كنز العمال وغيره. انتهى. وفيه: قال النبي ﷺ: لا تطلقوا النساء إلا من ربيّة، فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات [يعني السريعي النكاح السريعي الطلاق]. انتهى.

والتشدد في هذا المباح - أعني الطلاق - لأنه مظنة هدم للأسرة التجئ إليه لأنه آخر الحلول، ولذلك يقع على شروط مشددة، قال في المجمع: الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع، ويشهد رجلين عدلين على تطليقه، ثم هو أحق برجعته ما لم تمض ثلاثة قروء، فهذا الطلاق الذي أمر الله به في القرآن وأمر به رسول الله ﷺ في سنته، وكل طلاق لغير مدة فليس بطلاق، وعن جرير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن طلاق السنة، فقال: على طهر من غير جماع بشاهدي عدل، ولا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة، وهو قوله (فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة) الآية. انتهى.

قوله (وأحصوا العدة) أي: واحسبوا أيام العدة واضبطوها، وهي الأقراء الكوامل التي تستحق فيها الزوجة قبل انقضائها النفقة والسكنى، وللزوج في خلالها حق ردها، وتفصيل الأمر يراجع في كتب الفقه.

قوله (واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن) أي: واتقوا الله في تطويل مدة العدة للإضرار بهن، والإتيان بوصف الربوبية للتأكيد في وجوب الاتقاء.

وجملة (لا تخرجوهن من بيوتهن) بدل من أمر الاتقاء، أي: ولا تخرجوهن من بيوتهن قبل انقضاء العدة، وأضيفت البيوت إلى ضمير أنفسهن لا إلى ضمير أنفس المخاطبين لتأكيد النهي عن حرمانهن من سكناهن كأنه من أملاكهن.

قوله (ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي: ولا يخرجن أنفسهن قبل انقضاء عدتهن إلا في حال أن يفعلن ما يوجب الإخراج كالزنا والبذاء وسب أهل الزوج، وهو ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

قوله (وتلك حدود الله) أي: وتلك الأحكام المذكورة حدود الله التي يحرم تعديها وتجاوزها، والحد استعارة للحرمة المشرعة فيما ذكر من أحكام الطلاق، وإضافتها لله لتعظيم شأنها.

قوله (ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه) أي: ومن يتجاوز ما حرم الله فيما ذكر من أحكام فقد عصى ربه، وإظهار (حدود الله) في موضع الإضمار

للتأكيد ولبیان استقلال الجملة لتجري مجرى الأمثال، وللاشعار بعله الجواب.

قوله (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) الفصل لتعليل الشرط، والخطاب للمتعدى لا للنبي ﷺ، أي: لا تدري أيها المتعدى لعل الله يحدث لك بعد طلاق العدة أمرا يغير رأيك فيعيد إليك الحنين بالرجوع إلى سابق الحال.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢٠ ﴾

قوله (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف) الكلام متفرع على ما سبق، والمعنى: إذا شارفن على انتهاء عدتهن فأنتم مخيرون أما أن تبقوا عليهن زوجات تعاملوهن بالمعروف، أو تباينوهن بما يحفظ لهن حقوقهن وكرامتهن.

وضمائر التأنيث راجعة إلى النساء المطلقات، وفعل البلوغ بمعنى الوصول والانتهاء، والأجل المدة، والمراد به انتهاء زمان عدتهن، والإمساك كناية عن الرجوع إلى الزوجية، والظرف (بمعروف) محله الحال، ولفظ المعروف لفظ جامع لمعاني الخير، و(أو) حرف للتخيير، وفعل المفارقة بمعنى الترك والمباينة.

قوله (وأشهدوا ذوي عدل منكم) أي: وأحضروا لشهادة الطلاق رجلين معروفين بصلاح السيرة والعدالة من المؤمنين، لأن (من) في (منكم) تفيد الجنس.

قوله (وأقيموا الشهادة لله) الخطاب للشهود، وفعل الإقامة للإشارة إلى أداء الشهادة على أصولها وتمامها، ومن تمامها أن تكون خالصة لوجه الله يقصد بها التقرب إليه، وليس فيها مdahنة أو مجاملة لطرف على حساب طرف آخر.

والشهادة حضور الشاهد للإقرار على وقوع الواقعة معاينة أو كتابة، واللام في (لله) بمعنى: لأجل وجه الله.

قوله (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اسم الإشارة وضمير الجمع فيه لتعظيم ما أشير إليه وهو الحث على الإشهاد والإقامة، والوعظ النصيح بما هو خير للمنتصح، وخص به المؤمن بالله واليوم الآخر لأنه الأجدر بالانتفاع بالوعظ.

قوله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) جملة تذييل أريد لها أن تكون مستقلة في المبنى والمعنى لذلك أظهر لفظ الجلالة ولم يضمّر، والمعنى: ومن يتق الله فيما أمر به ونهى عنه يجعل الله له مخرجا من نوب الدنيا والآخرة، واللام في (له) بمعنى الغاية، ولفظ المخرج مصدر ميمي استعارة للفرج من الكرب والمصيبات، وتكثيره للنوعية، وروي عن الرسول ﷺ أنه: قرأ (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) فقال: من شبهات الدنيا، ومن غمرات

الموت، ومن شدائد يوم القيامة. ذكره الثعلبي في تفسيره. انتهى. وعنه عليه السلام قال: من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب. ذكر في المستدرک والکنز. انتهى. وفي نهج البلاغة: وقد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق ورحمة الخلق فقال: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين). انتهى.

قال تعالى ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾

قوله (ويرزقه من حيث لا يحتسب) الواو للعطف على (يجعل)، ولذلك جزم فعل مضارع الرزق، أي: ويرزقه أنواع الرزق مما فقد من الزوج والمال، أو مما يكمل به طيب العيش.

و(من) ابتدائية، أي: من طريق لا يتوقعه، والفعل (يحتسب) مبالغة في الحسبان والظن، وحذف مفعوله للإيجاز، وأصله: لا يحتسبه، عائد إلى ما يفهم من الحرف (حيث).

وقيل في سبب نزول الآية كما ذكرته التفاسير عامة: إنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أسر العدو ابنا له، فأتى النبي عليه السلام فذكر له ذلك، وشكا إليه الفاقة، فقال له: اتق الله واصبر، وأكثر من قول (لا حول ولا قوة إلا

بأنه) ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه، وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلا، وجاء بها إلى أبيه، فذلك قوله (ويرزقه من حيث لا يحتسب).

وروى أبو ذر الغفاري عن النبي ﷺ قوله: إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم: (ومن يتق الله) الآية، فما زال يقولها ويعيدها. ذكر في تفسير الثعلبي، والمجمع، والقرطبي وغيرهم. انتهى.

قوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي: ومن يفوض أمره إلى الله ويسند إليه ما يحتاج فهو كافيه أمر الدنيا ولن يحتاج غيره، لأنه تعالى مسبب الأسباب، وفي الحديث: ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. ذكر في تحف العقول وغيره. انتهى.

والتوكل أن تجعل غيرك وكيلا عنك في أمرك، فهو كناية عن التفويض، و(على) حرف مجاز للتمكين، أي: على أمر الله وحسن تدبيره، والحسب الكفاية والغنى.

قوله (إن الله بالغ أمره) الجملة تعليل للشرط وجوابه، وإظهار الله علة للحكم، و(بالغ أمره) من باب إضافة العامل إلى معموله، أي: ينفذ ويبلغ ما أراد من تدابير على ما أراده، ولا يفوته مراد، ولا يمنعه أحد.

قوله (قد جعل الله لكل شيء قدرا) تعليل لوجوب التوكل على الله، لأنه - كما قيل - إذا كان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى فلا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل عليه.

قال تعالى ﴿ وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝٤﴾

قوله (واللائي يسِّن من المحيض من نساكنكم) الواو لعطف حكم على آخر، والكلام في حكم طلاق المنقطع عنها الحيض، و(اللائي) اسم موصول لجمع الإناث، واليأس من المحيض كناية عن انقطاع الطمث عن المرأة عند بلوغها سنا متقدمة كالستين فصاعداً، و(من) الثانية للتبعيض، أي: من بعض زوجاتكم.

قوله (إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر) وجملة (إن) الشرطية اعتراضية بمعنى: إن شككتكم في انقطاع الحيض لعارض أم لبلوغ سن اليأس، والفاء في (فعدتهن) واقعة في الجزاء لجملة الشرط، ولجملة الموصول لأنه عومل معاملة الشرط لقوته.

قوله (واللائي لم يحضن) في الكلام حذف تقديره: واللائي لم يحضن بعد لصغر سنهن فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر.

قوله (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) أي: وذوات الأحمال كناية عن النساء التي في بطونهن الأجنة، والمعنى: والنساء الحوامل اللائي طلقن أقصى مدة عدتهن عند وضع حملهن، وأما المتوفى عنها زوجها فتنتظر أبعد الأجلين، أي: أربعة أشهر وعشرة أيام.

قوله (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي: ومن يعمل بتقوى الله ومخافته فيلتزم أوامره ونواهيه يسهل عليه ما يستقبل من أمور الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿ ذَلِكْ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ ﴿٥٠﴾

قوله (ذلك أمر الله أنزله إليكم) اسم الإشارة لاختصار ما تقدم من أحكام العدة للمرأة، و(أمر الله) حكمه وقضائه، وجملة الإنزال محلها الصفة للفظ الأمر، وإسناد الإنزال إلى المؤمنين المخاطبين على سبيل المجاز العقلي لأنه منزل أولا إلى النبي ﷺ بالوحي.

قوله (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته) ترغيب من الله للمؤمنين في العمل بتقواه سبحانه لما فيه من وقاية من عذابه وصيانة للنفس، ومن تقواه عدم مخالفة أحكامه تعالى في الطلاق والعدة.

قوله (ويعظم له اجرا) أي: ويجزل له الثواب يوم القيامة وهو الجنة، وتنكير (أجرا) للتعظيم.

قال تعالى ﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَى حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ

فَاتَوْهِنَّ أَجُورَهُنَّ وَاتَمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتَرْضَعْنَ لَهُنَّ أُخْرَىٰ



قوله (أسكنوهن من حيث سكنتم) الفصل لأنه جواب ناشئ عن سؤال العمل بالتقوى بشأن المعتدات فأجيب عنه بقوله: أسكنوهن من بعض مكان سكناكم.

قوله (من وجدكم) بدل تفسير لقوله (من حيث سكنتم) أي: من وسعكم ومما تطيقونه، والوجد والوجدان والجدة السعة والغنى.

قوله (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) نهي بعد أمر لحفظ كرامة المرأة المعتدة، أي: ولا تعاملوهن بما يوقع الضرر بهن، فتقصروا عن تلبية حاجاتهن، لتضيقوا عليهن في سعة السكنى والإنفاق.

قوله (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يرضعن حملهن) استعمال أسلوب الشرط كثير في تفصيل الأحكام، والمعنى: إن الله أوجب على الزوج الإنفاق على طليقته المعتدة الحامل حتى تضع وليدها.

قوله (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) أي: فإن أرضعن أولادكم لأجلكم فآتوهن أجر الرضاعة، لأن ذلك من نفقة الولد على الوالد.

قوله (واتمروا بينكم بمعروف) الائتثار أصله أن يأمر بعضهم بعضاً، وهو كناية عن التشاور بين الرجل والمرأة بشأن رضاعة الولد، بما لا يعسر

على الرجل بسبب زيادة الأجر، ولا يبخس حق المرأة بإنقاصه، ولا يضر الولد بنقص مدة تغذيته.

قوله (وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى) أي: وإن أراد كل من الرجل والمرأة ما فيه عسر للآخر فليسترضع الوالد امرأة أخرى للولد.

والتعاسر مبالغة في افتعال العسر، دال على المشاركة، والسين في (فسترضع) حرف استقبال، ولفظ (أخرى) صفة لموصوف محذوف تقديره: مرضع أخرى.

قال تعالى ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا



قوله (لينفق ذو سعة من سعته) أمر من الله للرجال الموسرين المطلقين للترغيب في الإنفاق على نسائهم المطلقات المرضعات أولادهم.

والسعة التوسعة في الإنفاق وبذل المال، و(ذو سعة) صفة لموصوف محذوف تقديره: رجل ذو سعة، أي: رجل موسر، و(من) بيانية.

قوله (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) تقدير الرزق تضيقه على المرزوق، ويكون المعنى: ومن ضاق عليه رزقه فلينفق على قدر ما أعطاه الله وأمكنه.

قوله (لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها) جملة النفي لتعليل الأمر بالإنفاق كثيره أو قليله، وفي الكلام تطيبب لنفس المعسر برفع الحرج عنه، وتشجيع على بذل الوسع بالوعد الجميل، والجملة مؤكدة بالقصر بالنفي والاستثناء، وتتكير (نفسا) لإفادة العموم.

قوله (سيجعل الله بعد عسر يسرا) مضمون جملة الاستقبال دال على التسلية والبشارة بتغيير الحال من عسر إلى يسر عاجلا أو آجلا.

قال تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۝﴾

قوله (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا) أي: وكم من أهل قرية خرجت على شريعة ربها وأنكرت رسله فحاسبناها على فعلها في الدنيا حسابا شديدا.

ولفظه (كأين) كما قيل: أي دخلت عليها الكاف، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، ولفظ القرية مجاز يراد به أهلها، والعتو النبو استعارة للاستكبار على طاعة الله وعبادته، واتباع رسله، والفاء في (فحاسبناها) للتفريع، والمحاسبة الاستقصاء في المناقشة في كل شاردة وواردة، واشتقاق (حسابا) من الفعل على سبيل المفعولية المطلقة للتأكيد، ووصفه بالشدة لإيلامه.

قوله (وعذبناها عذابا نكرا) والعذاب النكر المنكر، ويراد به عذاب الدنيا الذي استأصل أصل وجودهم وأفناهم عن بكرة أبيهم، ولا داعي لتقدير أن يكون الكلام من عذاب الآخرة كما ذكر في التفاسير عامة، فليس التعذيب من اختصاص الآخرة فقط.

والالتفات في الكلام من الغيبة في (أمر ربها) إلى ضمير التكلم في (حاسبناها، وعذبناها) لإفادة إسناد العظمة إليه تعالى في المحاسبة والتعذيب.

قال تعالى ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۝٩ ﴾

قوله (فذاقت وبال أمرها) الفاء للتفريع، أي: فذاقت القرية عاقبة كفرها بربها وبرسله، وهو عذاب استئصالها في الدنيا.

قوله (وكان عاقبة أمرها خسرا) جملة تقرير، أي: وكان عاقبة كفرها خسرانا في الدنيا والآخرة.

قال تعالى ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ ﴾

قوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) وهو العذاب الأخروي كما إن العذاب الأول عذاب الدنيا، والفصل إجابة لما نتج من ذكر عاقبة خسرانهم فقليل: ما كان خسرهم؟ فأجيب بأن أعد الله لهم يوم القيامة عذابا شديدا.

قوله (فاتقوا الله يا أولى الألباب) الفاء لتفريع نصح المؤمنين بأن يتقوا الله ويتعظوا بغيرهم حتى لا تكون عاقبتهم خسرا، وخطبوا بأولي الألباب لأنهم الأجدى للأخذ بالأمر بالتقوى.

قوله (الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا) جملة الموصول صفة للمنادى، ومحلها النصب على تقدير: أعني الذين آمنوا، وجملة التحقيق لتعليل الأمر، والذكر هو القرآن، وتنكيره لتعظيمه، والمعنى: فاتقوا الله يا أصحاب العقول أيها المؤمنون فقد أنزل الله إليكم قرآنا يذكركم بتقواه ويعظكم مرة بعد مرة.

ويحتمل أن يكون لفظ الذكر كناية عن النبي ﷺ، وأن فعل الإنزال مجاز من بعثه وإظهار نبوته، كما قال تعالى (وأنزلنا الحديد) [الحديد: ٢٥]، وقد فسرهُ الرضا عليه السلام بذلك فقال بعد أن قرأ الآية: فالذكر رسول الله ونحن أهله. ذكر في تفسير البرهان. انتهى بتصرف.

قال تعالى ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۝﴾

قوله (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) نصب (رسولا) بتقدير: أرسل رسولا، ويجوز أن يكون صفة للفظ (ذكرا) بعدها كناية عن النبي ﷺ،

وقيل يراد به جبريل، وأن التلاوة عليهم بمعنى التلاوة على النبي ﷺ بما أنه المبلغ عن الله.

وجملة التلاوة محلها النعت لـ (رسولا)، والتلاوة القراءة المتتابعة، و(آيات الله) آياته النازلات في كتابه العزيز، ووصفها بـ (مبينات) لأنها الموضحات لمقاصد الشريعة الدالات على كمال وحدانيته تعالى، ونصب اللفظ على الحال، والتكثير للتعظيم.

قوله (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) الكلام علة للتلاوة والإنزال، وهو أن يخرج المؤمنين العاملين للأعمال الصالحات من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

ولا ريب في أن تقدير جملة الموصول أنه تعالى: يخرج من قدر له أن يؤمن من الضلالة إلى الهدى، إذ بغير هذا التقدير لا معنى لتوصيفهم بالإيمان ثم الإخبار عنهم بإخراجهم من الظلمات إلى النور.

قوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) الأفراد في الضمائر الثلاثة لـ (يؤمن، ويعمل، ويدخله) باعتبار ظاهر لفظ اسم الشرط (من)، والجمع في لفظ (خالدين) المنسوب على الحال أخذ فيه معنى الجمع في (من).

قوله (قد أحسن الله له رزقا) جملة التحقيق محلها الحال من مفعول (يدخله) أو من الضمير في (خالدين) بطريق التداخل بين المعنيين، والأفراد في (له) باعتبار ظاهر لفظ (من)، وتكثير لفظ (رزقا) دال على التعظيم

والتعجيب، فهو يعني رزق الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والجنة في الآخرة.

قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾

قوله (الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن) الكلام تأكيد لخلق الله السماوات والأرض لبيان علة وجوب طاعته وقدرته على بعث الرسل وإنزال الذكر، وإثابة من أطاعه وعقاب من عصاه.

والخلق الإيجاد والتدبير كما مر غير مرة، والسماوات السبع طبقاتها السبعة، سماء فوق سماء، ومثلية الأرض للسماء يراد بها - والله أعلم - في العدد لا في الكيفية، والآية الوحيدة في القرآن التي قالت بأن الأرضين سبع مثل السماوات، وقد ذهب في تفسيرها المفسرون مذاهب شتى، بعضها لا يؤيده العقل لمن رغب في الرجوع إليها.

قوله (يتنزل الأمر بينهن) فعل التنزل مبالغة في النزول سماء بعد سماء حتى يصل العالم الأرضي، وهو مجاز لأمر الله من مقام العلو، ولفظ الأمر بمعنى آثاره تعالى فيما يأمر وينهى ويمثله قوله (كن) كالإماتة والإحياء والإعطاء والمنع، والإعزاز والإذلال، والضمير في (بينهن) للسماوات والأرض.

قوله (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير) جملة تعليل، لتحصيل العلم اليقيني بقدرته تعالى على كل شيء حتى تتقى مخالفته وتتوجب طاعته.

قوله (وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) العطف تعليل ثان، وهو حصول العلم بأن الله تعالى محيط بكل شيء لا يفوت علمه شيء.

وإظهار لفظ الجلالة للتعظيم ولتربية المهابة في النفس، وفعل الإحاطة استعارة للإدراك والعلم، ونصب (علما) على المصدر لأن (أحاط) بتقدير: علم كل شيء علما.

سورة التحريم

مدنية، وهي اثنتا عشرة آية

غرض السورة بيان منزلة النبي ﷺ، فافتتحت بالتعريض ببعض أزواجه لما كن سببا في تحريم ما أحل الله له، وبينت خطأ ما وقعن فيه من سوء التهذيب معه والتظاهر عليه، واختتمت بضرب المثل من النساء للكفار، ومثل منهن للمؤمنين، وفي خلال آيات السورة أمرت النبي ﷺ بمجاهدة الكفار والمنافقين، وحذرت المؤمنين من أن يكونوا وأهليهم وقودا لنار جهنم.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

قوله (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) خطب النبي ﷺ ثلاث عشرة مرة بصفة النبوة أربعة منها فيما أهمه خاصة كالآية التي نحن فيها، وقوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك) [الأحزاب: ٢٨]، وقوله (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك) [الأحزاب: ٥٠]، وقوله (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك) [الأحزاب: ٥٩]، والباقي فيما أهم شؤون أمته، بينما خطب بصفة الرسالة مرتين، كليهما في شؤون ما أرسل إليه.

والسؤال في (لم) سؤال إنكار وعتاب، والإتيان بجملة الموصول أعني قوله (ما أحل الله) لبيان علة السؤال الإنكاري، ومعنى تحريمه ما أحل الله: الحلف على الترك حلفا تسبب بحرمة على نفسه، وليس معناه تشريعه على نفسه فيما شرع الله له فيه الحلية فليس له ذلك، كما قال السيد في الميزان.

قوله (تبتغي مرضات أزواجك) الجملة بدل من فعل التحريم أو حال من فاعله، والابتغاء الطلب، و(مرضاة) مصدر ميمي كالرضا، وفي الكلام دلالة مضمرة على لوم أزواج النبي ﷺ وعتابهن أكثر مما يبدو في ظاهر الكلام، لأن مضمر المعنى: تبتغي مرضاة أزواجك وهن أحق بطلب مرضاتك منك، قال الشيخ الطبرسي في المجمع: وليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه، صغير أو كبير، لأن تحريم الرجل بعض نسائه، أو بعض الملاذ لسبب أو لغير سبب ليس بقبيح، ولا داخلا في جملة الذنوب، ولا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له، إذ بالغ في إرضاء أزواجه وتحمل في ذلك المشقة. انتهى.

قوله (والله غفور رحيم) أي: والله غفور كثير الغفران لعباده رحيم مبالغ في الرحمة بهم.

ولنزول الآية كما يبدو مناسبة، وإن اختلفت الأقوال في ذلك غير أنها مجمعة على أن بعض نسائه كالسيدة عائشة وحفصة تظاهرتا عليه غيرة من بعض أزواجه كمارية وزينب بنت جحش، فقد ذكر في المجمع وغيره: إن رسول الله ﷺ كان إذا صلى الغداة يدخل على أزواجه امرأة امرأة،

وكان قد أهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عُكَّة من عسل [أي وعاء أصغر من القربة]، فكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ حبسته وسقته منها، وإن عائشة أنكرت احتباسه عندها، فقالت لجويرية حبشية عندها: إذا دخل رسول الله على حفصة فأدخلي عليها فانظري ماذا تصنع، فأخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وأرسلت إلى صواحبها فأخبرتهن وقالت: إذا دخل عليكن رسول الله فقلن: إنا نجد منك ريح المغافير، وهو صمغ العُرْفُط كريه الرائحة، وكان رسول الله يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة، لأنه يأتيه الملك، قال: فدخل رسول الله على سودة، قالت: فما أردت أن أقول ذلك لرسول الله ثم إنني فرقت من عائشة، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الريح التي أجدها منك أكلت المغافير؟ فقال: لا ولكن حفصة سقتني عسلا، ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك، فدخل على عائشة فأخذت بأنفها، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أجد ريح المغافير أكلتها يا رسول الله؟ قال: لا بل سقتني حفصة عسلا، فقالت: جرت إذن نحلها العُرْفُط، فقال: والله لا أطعمه أبدا، فحرمه على نفسه. وقيل: إن التي كانت تسقي رسول الله العسل أم سلمة، عن عطاء بن أبي مسلم. وقيل: بل كانت زينب بنت جحش، قالت عائشة: إن رسول الله كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواطأت أنا وحفصة أيتنا دخل عليها النبي فلتقل: إني أجد منك ريح المغافير، أكلت مغافير، فدخل على إحداها فقالت له ذلك، فقال: لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود إليه، فنزلت الآيات. وقيل: إن رسول الله قسم الأيام بين نسائه، فلما كان

يوم حفصة قالت: يا رسول الله، إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره، فأذن لها، فلما خرجت أرسل رسول الله إلى جاريته مارية القبطية، وكان قد أهداها له المقوقس، فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها، فأنت حفصة، فوجدت الباب مغلقا، فجلست عند الباب، فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقا، فقالت حفصة: إنما أذنت لي من أجل هذا، أدخلت أمتك بيتي، ثم وقعت عليها في يومي، وعلى فراشي، أما ما رأيت لي حرمة وحقا، فقال: أليس هي جاريته قد أحل الله ذلك لي، أسكتي فهو حرام علي، ألتمس بذلك رضاك، فلا تخبري بهذا امرأة منهن، وهو عندك أمانة، فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة، فقالت: ألا أبشرك إن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية، وقد أراحنا الله منها، وأخبرت عائشة بما رأت، وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواجه، فنزلت: (يا أيها النبي لم تحرم) فطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوما، وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير، عن قتادة والشعبي ومسروق. وقيل: إن النبي خلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم مارية القبطية، فوقفت حفصة على ذلك، فقال لها رسول الله: لا تعلمي عائشة ذلك، وحرم مارية على نفسه، فأعلمت حفصة عائشة الخبر، واستكتمتها إياه، فأطلع الله نبيه على ذلك، وهو قوله (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) يعني حفصة، عن الزجاج، قال: ولما حرم مارية القبطية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر، ثم عمر، فعرفها بعض ما أفشت من الخبر، وأعرض عن بعض إن أبا بكر وعمر يملكان بعدي،

وقريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي جعفر عليه السلام إلا أنه زاد في ذلك، إن كل واحدة منهما حدثت أباهما بذلك، فعاتبهما رسول الله في أمر مارية، وما أفشتا عليه من ذلك، وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر. انتهى.

ولا يخفى ما في بعض الرواية من ريبة، إذ ما معنى إخبار السيدة حفصة أو عائشة بتولي أبيهما من بعد الرسول ﷺ، وما معنى التعريف ببعض والإعراض عن بعض.

قال تعالى ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ



قوله (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فعل الفرض بمعنى الإيجاب، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، والتحلة مصدر بمعنى التحليل، والأيمان جمع يمين، أي: قد أوجب الله تعالى الكفارة لدرء الحنث باليمين.

قوله (والله مولاكم وهو العليم الحكيم) أي: والله متولي أموركم، وهو العليم بما ينفعكم والحكيم المتقن لما يشرع لأجلكم.

قال تعالى ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا
 قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

قوله (وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا) العامل في (إِذ) الظرفية فعل
 مقدر بمعنى: واذكر حين، والإسرار إفشاء سر الحديث إلى الغير
 والإيضاء بعدم إفشائه، والمراد ببعض أزواجه حفصة، وإنما أعرض عن
 التصريح لأن ذلك من الأدب القرآني في الانتباه إلى غرض التهذيب في
 التعامل مع النبي ﷺ لا إلى الاسم، ولهذا لم يكن من التهذيب إفشاء أسرار
 الزوجية والتظاهر على النبي ﷺ بحجة الإفراط في الغيرة.

قوله (فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض)
 الفاء للتفريع، والمعنى: فلما أخبرت حفصة بالسر وأطلع الله نبيه على
 الإنباء عرف النبي ﷺ حفصة بعض الحديث الذي أفشته وأعرض عن
 بعض ما ذكرت فلم يخبرها لكرم أخلاقه، والتعافل من خلق الكرام.

وفي الكلام ضمائر غائبة على كثرتها لم تخل بالمعنى، فكما توضح:
 ضمير التأنيث في (نبأت) عائد إلى المذكور من بعض أزواجه، والهاء في
 (به وأظهره وعليه وبعضه) راجع إلى السر، وفاعل (عرّف وأعرض)
 عائد إلى النبي ﷺ.

قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) الفاء للتفريع، والمعنى: فلما نبأ النبي ﷺ حفصة بإفشاءها السر قالت من أنبأك هذا الغيب.

قوله (قال نبأني العليم الخبير) أجابها النبي ﷺ أخبرني الله العليم الذي يعلم كل شيء، الخبير بما تضرع النفوس.

قال تعالى ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

قوله (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) الخطاب لمؤمنين هما حفصة وعائشة زيادة في اللوم والعتاب، والفاء في (فقد) واقع في الجزاء وفي معناه السبب، أي: تحقق منكما ما يوجب السبب إلى التوبة، فأذى النبي ﷺ من الكبائر، وهما تظاهرتا عليه بالادعاء الكاذب لتتغيره من بعض نسائه غيرة منهن كمارية أو زينب بنت جحش على اختلاف الروايات، وفعل الصغو يراد به الميل إلى الباطل، ولفظ القلوب أريد به النفوس، والجمع في اللفظ مع أنهما اثنان لجواز ذلك في العربية، ولخفته.

قوله (وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أي: وإن تتظاهرا، فحذف تاء المضارعة لخفة النطق، وتعدية الفعل بحرف الاستعلاء (على) لتضمنه معنى الانتصار والتعاون، وإقامة جملة (إن) مقام الجزاء لإفادة استقرار المعنى وثباته، والمعنى: وإن تنتصرا عليه فإنه مؤيد

بالله وجبريل وصالح المؤمنين، ومن أمانة تأييده أن أظهر الله لنبيه سوء تهذيبهما معه في أمر الإفشاء.

وجبريل هو الروح الأمين ورئيس الملائكة، و(صالح المؤمنين) من إضافة الموصوف إلى صفته، أصله المؤمنون الصالحاء، ذكر الجمع وأريد به الواحد، وهو على ما أكدته الروايات علي بن أبي طالب عليه السلام، ومنه ما ذكر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله: لقد عرف رسول الله ﷺ عليا عليه السلام أصحابه مرتين أما مرة فحيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأما الثانية فحيث نزلت هذه الآية (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) الآية، أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام فقال: أيها الناس، هذا صالح المؤمنين. نقل في شواهد التنزيل للحسكاني. انتهى.

قوله (والملائكة بعد ذلك ظهير) أي: وجميع ملائكة الله بعد ذلك التأييد ظهير مساعد، وإفراد اللفظ (ظهير) مع أن (الملائكة) جمع للإشارة إلى أنهم متحدون صفا واحدا في نصر النبي ﷺ.

ولا ريب في أن الإطناب في ذكر خلق الله في التولية بعد ذكر توليته تعالى للمبالغة في تعظيم منزلة النبي ﷺ، لأن توليته تعالى لنبيه وحدها كافية مغنية عن غيرها.

وفي سياق الجمل في الآيات تقرير بين لبعض أزواج النبي ﷺ، استدل عليه بطريقة تعظيمه تعالى لنبيه ﷺ ونصره على من يتظاهر عليه، وفي

الالتفات في الخطاب لبيان خطأ ما وقعت فيه المخاطبتان، وتخييرهما بين التوبة أو تحمل عاقبة من ينتصر على النبي ﷺ.

قال تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٗٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبَدِّلَهُٗٓ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكَنَّ مَسَلَمَتٍ مَّا تَكُنَّ مَعَهُ ۚ وَكَانَ وَجْهُهُ مُسَوَّمَةً لِّرَبِّهِ ۚ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّكَ عَلَىٰ عَيْنِ ذِي الْحِجَابِ ۚ﴾

قوله (عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منكن) الفعل (عسى) من أفعال الرجاء، وأسلوب الخطاب لبيان سوء ما اقترفن مع النبي ﷺ، وفي جملته معنى الاستغناء عنهن، في حال تطليقهن بإبدالهن بزوات أفضل منهن، لأن شرف زوجيتهن بالنبي ﷺ ليست بأكرم على الله من تقواه، قال تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا، ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما) [الأحزاب: ٣٠ - ٣١].

قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) صفات للأزواج البديلات لإفادة التعريض بأسلوب بيان الفارق، لأن دلالة تعداد الصفات أن المعلومات يفتقدنها، أي: يفتقدن لزوم الطاعة للنبي ﷺ واستمرارهن عليها وتجنب أذاه، وأن الكرامة عند الله لمن يتصفن بهذه الصفات لا لمجرد الاقتران بالنبي ﷺ، ولذلك ضرب المثل في نهاية السورة بنساء صالحات كمريم وامرأة فرعون، وطالحات كامرأة نوح ولوط اللتين لم تنفعهما اقترانهما بزوجة النبوة من دون الإيمان بالله.

وخلو الصفات من العاطف لاتحادها في المعاني، بينما توسطه بين لفظي الثيبات والأبكار لتنافرهما وتضادهما، ذكره الزمخشري في الكشف. أه.

قال تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) الآية في تسلسل سياقها بعد الفراغ من تأديب نساء النبي ﷺ بمنزلة العام بعد الخاص، فالخطاب لعامة المؤمنين بالانتهاء عن فعل الأفعال التي لها آثار سيئة عليهم، ومنها إدخال النار حيث لا يعصم من ذلك مجرد الإيمان.

والوقاية المنع، والخطاب بلفظ (أنفسكم) على سبيل تغليب المخاطبين، أي: قوا أنتم وأهلكم أنفسكم، والأمر بوقاية الأنفس والأهلين النار الموصوفة مجاز في تجنب الأعمال التي تفضي إلى إدخالهم النار يوم القيامة، وفي ضمنها إيذاء النبي ﷺ، والاستخفاف بمنزلته، ولفظ الأهلين يدخل فيه خاصة الأهل كالزوجات والأولاد، وتتكير (نارا) للتهويل، وجملة (وقودها الناس والحجارة) محلها الصفة للنار، أي: متقدة بنفس الناس والحجارة التي كانوا يتخذونها أصناما للعبادة.

قوله (عليها ملائكة غلاظ شداد) أي: وكل الله على النار الموصوفة ملائكة صفتهم الغلظة في التعامل، والشدة في قوة الأخذ، ونفي العاطف للمبالغة في اتحاد الصفتين.

قوله (لا يعصون الله ما أمرهم) جملة مفسرة لما قبلها، ونفي العصيان نفي مخالفة ربهم في أوامره ونواهيه، لأنهم مكلفون بالطاعة فقط، لا خيرة لهم في العصيان، و(ما) أما مصدرية، والجملة بعدها بدل من (الله) بمعنى: أمره، أو مجرورة على نزع الخافض بمعنى: فيما أمرهم.

قوله (ويفعلون ما يؤمرون) أي: شأنهم الدوام على تنجيز أوامر الله، والجملة ليست مكررة عن الأولى، لأنها ناظرة إلى عمل ما خلقوا لأجله وهو التزام طاعته سبحانه دائما وأبدا.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

قوله (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) انتقال بالكلام إلى خطاب عموم الكافرين، لتأييسهم من النجاة من نار العذاب يوم القيامة، وذلك أنهم حين تعرضهم الملائكة على النار يتوسلون ربهم قبول التوبة ويعتذرون من كفرهم في الدنيا وإنكارهم لآياته، فيخاطبون بالنهي عن ذلك، والنهي عن الاعتذار في معناه نفي صلاحية التوبة في هذا اليوم المعهود، يوم الجزاء،

لأنه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: وإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) القصر لتعليل النهي، وهو أن جزاءهم اليوم من جنس ما عملوا في دار التكليف.

واتصال الآية بما قبلها مشعر بالتهديد الشديد، قال السيد في الميزان: وفي اتباع الآيات السابقة بما في هذه الآية من خطاب القهر تهديد ضمني، وإشعار بأن معصية الله ورسوله ربما أدى إلى الكفر. انتهى.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) رجوع بالكلام إلى خطاب المؤمنين، لحثهم على التزام التوبة النصوح، وهي التوبة الخالصة، التي لا رجعة فيها إلى عمل المعصية.

وتتكير (توبة) على المفعولية المطلقة لإفادة النوعية، ولفظ (نصوحا) صيغة مبالغة في النصح، وهو توخي قول الخير للآخرين، وتأتي بمعنى الإخلاص، وإسنادها للتوبة من الإسناد العقلي، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في معنى التوبة وهو يفصل في معنى الاستغفار: وهو اسم واقع على ستة معان: أولها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً، والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها، والخامس: أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت، فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول أستغفر الله. ذكر في نهج البلاغة. انتهى.

قوله (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) فعل الرجاء بالنسبة لمقام المخاطبين لا بالنسبة إليه تعالى، وهو من تفریع التعلیل على الأمر، وإنما لم يقطع بالأمر فقال بالرجاء حثا لهم على العمل وتجنباً للاتكال على عفوہ تعالى وسعة رحمته، وقال أبو السعود في تفسيره: ورود صيغة الإطماع للجري على سنن الكبرياء والإشعار بأنه تفضلُ والتوبة غير موجبة له، وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء، وإن بالغ في إقامة وظائف العباد. انتهى.

وتقديم التكفير على الإدخال، لأن المقام في جنات الله لا يسعه إلا التطهير من أدران السيئات، ولذلك يتقدم الغفران والتكفير على الإدخال إلى الجنات

في القرآن دائماً، كقوله تعالى (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات) [آل عمران: ١٩٥]، وقوله (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري) [المائدة: ١٢]، وقوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري) [التغابن: ٩] وقوله (يغفر لكم ويدخلكم جنات) [الصف: ١٢]، وأما تأخير التكميل وهي المرة الوحيدة في آيات الكتاب في قوله (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم) [الفتح: ٥] فهو من باب تعجيل المسرة للمؤمنين. قوله (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) الظرف متعلق بقوله الآنف (ويدخلكم) أي: لا يخزيهم بأن يحرمهم الله تعالى كرامته وما وعدهم من الوعد الجميل، بل يعزهم برضاه عنهم وجناته.

والمعية المقصودة معية الملائميين لطاعة النبي ﷺ في دار الدنيا، من غير مشاققة ومجادلة.

قوله (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) الجملة خبر لجملة الموصول، والنور الذي يتقدمهم نور إيمانهم يرشدهم يوم القيامة إلى السبيل الآمن، قال الصادق عليه السلام: يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة. ذكر في المجمع. انتهى.

وتقدم نظير الآية في قوله تعالى (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم) [الحديد: ١٢].

قوله (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا) الجملة محلها الحال، أي: قائلين سائلين ربهم إتمام ما نقص من نورهم، وذلك بان يغفر لهم ليكون سبيلا لدخول الجنة، واللام في (لنا) بمعنى الغاية.

قوله (إنك على كل شيء قدير) تذييل وتعليل من تنمة قول المؤمنين.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس الْمَصِيرُ ٩﴾

قوله (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين) الخطاب للنبي ﷺ لما أنه قائد الأمة، والمجاهدة بذل الجهد، دال على المفاعلة، وجهاد الكافرين يكون بدعوتهم إلى الحق فإن لم يؤمنوا فبالحرب والقتال، وجهاد المنافقين بالقول واستمالة قلوبهم ولم يؤمر النبي ﷺ بقتالهم.

قوله (واغلظ عليهم) أي: واستعمل الخشونة معهم جميعا فيما تجاهدما به، سواء في قتال الكافرين، أو في حجاج المنافقين.

قوله (ومأواهم جهنم وبئس المصير) لم يشفع الإيمان الظاهري للمنافقين فجعل الله منزلتهم بمنزلة الكافرين يوم القيامة، في مستقر جهنم، وبئس المصير مصيرهم.

قال تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ۝ ﴾

قوله (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) الضرب للمثل مجاز لإقامة المعاني فيه كأنها مشاهدة كما تضرب الخيمة، والتمثيل مضروب لأزواج النبي ﷺ تعريض بهن وليبان أن زوجيتهن بالنبي ﷺ لا تنفعهن في حال مخالفته، فالكرامة عند الله التقوى، وأن ملاك السعادة والشقاء الإخلاص لله ورسوله، فلا ينفع من دونه اتصال بالصالحين من عباده، ولا يضر بتحقيقه ارتباط بالكافرين بسبب.

ونصب (مثلا) لأنه مفعول ثان، واللام المقترن باسم الموصول بمعنى: لأجل حال الذين كفروا، والمفعول الثاني قوله (امرأة نوح) أي: مثل امرأة نوح وامرأة لوط، وأخرهما ليتصل به ما فصل فيه الشرح بعدهما، والمرأة في القرآن تقال للمقترنة بزوج، والتمثيل بهما لأنهما شملهما العذاب لكفرهما رغم اتصالهما بنبي.

قوله (كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين) بدل من المرأتين، يفيد بيان السبب الداعي إلى صلاحهما لا خيانتهم، والظرف (تحت) كناية عن الزوجية، والكناية عن نوح ولوط بلفظ (عبيدين) مع تنكيره لتفخيم شأنهما، و(من) بيانية، أي: من جملة عبادنا الموصوفين بالصلاح.

قوله (فخانتاهما) الفاء للتفريع، وخيانة المرأتين لزوجيهما خيانة في عهد الإيمان بالله ورسوله، لا خيانة العرض والزوجية، لأنهما كانتا منافقتين كافرتين.

قوله (فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) الفاء تفريع بعد تفريع، أي: فلم يغن النبيان عنهما شيئاً، فاتصالهما بالنبوة من دون الإيمان بالله لم يدفع عنهما العذاب شيئاً، يريد أن الأصل تقوى الله لا مجرد الاتصال والزوجية على شرفها.

قوله (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) وكان نتيجة ذلك أن كانت عاقبتهم يوم القيامة الأمر بإدخالهما النار مع جملة الداخلين الكافرين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام.

وفعل مضى القول في المبني للمجهول مع عدم وقوعه لأنه أنزل منزلة المتحقق وذلك لاحتمية حدوثه.

قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) مثل للمؤمنين بحال مؤمنتين نقيض حال الأوليين، وامرأة فرعون زوجه سمتها الروايات آسية بنت مزاحم.

قوله (إذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) الظرف متعلق بمعنى ما تقدم من التمثيل بامرأة فرعون، تفسيري لحالها، دال على كمال عبوديتها لله سبحانه، وأن دعاءها الواعي ليس وليد الساعة، وإنما هو تربية مستديمة للنفس، كان آخرها أن فضلت جوار الله على جوار فرعون، فلم يأخذها ترف القصور وما تشتهيه الأنفس.

والأمر في (ابن) مجاز من الجعل، واللام في (لي) للتأكيد والتخصيص، ويجيء بمعنى العلة، وتنكيره للتعظيم، والظرف المكاني (عندك) مجاز للقرب، ولذلك تقدم على المفعول، ولفظ البيت يراد به مكان الاستقرار، وتأکید الظرف بشبه الجملة (في الجنة) لكون الجنة دار القرب من الله تعالى.

قوله (ونجني من فرعون وعمله) الأمر بالفعل (نجني) في معناه الدعاء وفي دلالاته التبري من فرعون وقومه التابعين له، أي: وخلصني من تبعة ارتباطي بشخص فرعون كوني زوجته، ومن جنس عمله السيء.

قوله (ونجني من القوم الظالمين) أي: وخلصني من قومه القبط الذين شأنهم الظلم، وذكر أن امرأة فرعون ماتت مقتولة من غير شعور بألم بعد أن

استجاب الله دعاءها وأراها بيتها في الجنة، وقيل في تعذيبها أقاويل مختلفة ليست بعيدة عن ظلم فرعون.

قال تعالى ﴿وَمَرْيَمَ أَبْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَلِيلِ مِنَ الثَّغِيرِ﴾ ﴿١٣﴾

قوله (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها) العطف بمعنى: وضرب الله مثلا للمؤمنين مريم ابنة عمران، وإنما جيء بمريم مثلا لاستدامة طاعتها لله وقنوتها له، وجملة الموصول وما تفرع عليها تفسير لضرب المثل بها، وتحصين الفرج كناية عن عفتها وأنها لم يقربها رجل، وكثيرا ما تقرر العفة بذكر مريم في القرآن وذلك لتبرئتها مما بهتها اليهود نظير قوله تعالى (وقولهم على مريم بهتاننا عظيما) [النساء: ١٥٦]، ولهذا يذكر اسمها دائما من بين النساء المذكورات في آيات الكتاب.

قوله (فنفخنا فيه من روحنا) الفاء للتفريع، وفعل النفخ مجاز في خلق الروح والجنين داخل الروح، وحرف الجر في (فيه) للملابسة الظرفية، و(من) ابتدائية، وإضافة الروح إلى نون العظمة لأنه خلق بمعجزة الله، إشارة إلى خلق عيسى من دون واسطة أب.

قوله (وصدقت بكلمات ربها وكتبه) ثناء منه تعالى على إيمان مريم بعد ذكر عفتها، أي: وآمنت بصحف ربها وما أوحى إلى أنبيائه، وكتبه المنزل كالنورا والإنجيل.

قوله (وكانت من القانتين) ثناء ثالث، وهو دوام تبتلها لله واستمرارها على طاعته وعبادته، وأنها من جملة المطيعين لله المواظبين على عبادته، والتذكير على سبيل التغليب، وفي الإخبار بمثل مريم ودوام قنوتها تعريض بزوجي النبي ﷺ غير خاف.

وروي عن النبي ﷺ قوله: كُمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ. ذكر في المجمع. انتهى.

سورة الملك

مكية، وهي ثلاثون آية

افتتحت السورة بالثناء عليه سبحانه بتعظيم بركاته وصدور الخيرات منه، بوصفه الرحمن الذي تكرر أربع مرات في السورة، وعرضت شواهد من ملكه وتدبيره على كمال ربوبيته سبحانه، وفي معناها الاحتجاج لها، والامتنان الداعي إلى مقابلتها بالشكر لا الجحود، وعرضت الآيات لمعاني البعث والمعاد، والتخويف من العذاب وتفصيل أحوال أهل النار.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾

قوله (تبارك الذي بيده الملك) الكلام إخبار منه تعالى عن عظمته وكمال قدرته، وفعل البركة بمعنى كثرة الخيرات، وصيغة التفاعل للمبالغة، أي: تعاضمت خيرات الله وكثرت، ومن خيراته هذا الوجود، والإتيان بجملة الموصول من دون التصريح باسمه تعالى لبيان تحقيق الصلة.

ولفظ اليد مجاز مرسل باعتبار السبب لكمال ملكه وتصرفه فيما يملك، وتعريف الملك للجنس.

قوله (وهو على كل شيء قدير) الإخبار عن تناهي قدرته تعالى على كل شيء لازم لكمال تسلطه وملكه.

قال تعالى ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾

قوله (الذي خلق الموت والحياة) الكلام من أثر قدرته تعالى على كل شيء، لأن الخالق موجد مالك لما خلق، واسم الموصول بدل من (الذي بيده الملك)، ولفظ الموت والحياة معنيان متضادان من أدل مظاهر قدرته تعالى على المخلوق، وخلق الموت إيجاد أسبابه الموجبة على نفي القدرة على التصرف بالجسد، وهو في القرآن انتقال بين عالم التكليف إلى عالم الانتظار، وليس عدما كلياً كما يعتقد الوثنيون، وتقديمه على الحياة لكونه أدعى إلى عمل الإحسان، ومعنى خلق الحياة إظهار المخلوق بتلبس المادة بالروح، والمقصود هو المكلف المختار في هذا الخلق.

قوله (ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) جملة غائية للخلق، وهو ابتلاؤهم في عالم الدنيا لبيان أحسن العاملين منهم عملاً لإثابتهم خيراً.

وفي الجملة حذف تقديره: ليبلوكم ليعلم أيكم أحسن عملاً، واسم الاستفهام في (أيكم) مجرد من السؤال، لوقوعه مفعولاً، وصيغة (أحسن) اسم تفضيل، والحسن كمال الشيء، ونصب العمل على أنه تمييز، أي: أن الابتلاء من الله للإتيان بكمال العمل الحسن، لأن الأعمال منها حسن وأحسن، والمقصود الأحسن منها لترتب كمال الجزاء عليها، من غير إهمال ما هو دونها.

وفي المجمع: قال أبو قتادة: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى (أيكم أحسن عملا) ما عنى به؟ فقال: يقول: أيكم أحسن عقلا، ثم قال: أتمكم عقلا، وأشدكم لله خوفا، وأحسنكم فيما أمر الله به، ونهى عنه نظرا، وإن كان أقلكم تطوعا. انتهى.

قوله (وهو العزيز الغفور) إخبار بقصر العزة والمغفرة في ذاته تعالى، وفي مضمونه ترهيب وترغيب، لأن العزة معناها غلبته تعالى الدال عليها ملكه المطلق، وما أقدر أحدا على عصيانه إلا لسبب البلاء والأخذ بالعقاب بعد ذلك، ولفظ (الغفور) مبالغة في كثرة التجاوز عن ذنوب العباد.

قال تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۚ﴾

قوله (الذي خلق سبع سماوات طباقا) الجملة بدل من جملة الموصول السابقة، ويجوز أن تكون نعتا، والخلق الإيجاد كما تقدم مرارا، والسماوات مجموعة الأجرام التي يعلو بعضها على بعض، ولفظ (طباقا) صفة لـ (سماوات) أي: مطابقة بعضها فوق بعض، أو يشبه بعضها بعضا.

قوله (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) الجملة محلها صفة أخرى لـ (سبع سماوات)، أي: ليس في خلق السماوات اختلاف أو عدم تناسب بل مخلوقة بدقة وانتظام وإبداع دال على كمال تدبيره تعالى، فلا تفاوت فيها ولا اختلاف في صفاتها يوجب خروجها عن مقتضى الحكمة، قال العلامة

الطبائبي: رتب الله أجزاء الخلقة بحيث تؤدي إلى مقاصدها من غير أن يفوت بعضها غرض بعض، أو يفوت من بعضها الوصف اللازم فيه لحصول الغاية المطلوبة. انتهى.

ووضع الظاهر أعني قوله (خلق الرحمن) محل الضمير لإفادة تعظيمها، ولتعليل النفي، بأنها خلقت بقدرته القاهرة، وأن في خلقها نعمًا جليلة.

و(ما) نافية، والخطاب في (ترى) لكل مخاطب، و(من) مزيدة لتقوية نفي العموم، ولفظ التفاوت من الفوت وهو عدم إدراك الشيء، ويراد به الاختلاف في الصفات كما تقدم.

قوله (فارجع البصر هل ترى من فطور) الفاء للتفريع، والأمر بإرجاع البصر كناية عن طلب التدقيق والإمعان في النظر للتحقيق، والسؤال بـ (هل) يفيد التقرير، والخطاب لغير معين، و(من) مزيدة لتأكيد العموم، ولفظ الفطور أصله الشق والصدع، ويراد به الاختلال والوهن، واللفظ استعارة لنفي ضعف بناء السماوات السبع.

قال تعالى ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ ﴿٤﴾

قوله (ثم ارجع البصر كرتين) العطف بـ (ثم) للترتيب التعقيبي، وإعادة الأمر كناية عن التدبر والتفكر في خلق السموات ودقة نظامها الجاري، ولفظ الكرة أصلها العود، والتثنية للتكثير دالة على مطلق التكرير كما في سعديك ولبيك، ولهذا استعملت مكان لفظ مرة وتارة المقيدتين بتحديد العدد،

أي: أرجعه مرات هل فيه من فطور ووهي، لتتمعن وتؤمن بأن وراء هذا النظام السماوي تدبيراً إلهياً.

قوله (ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) جزم الفعل لأنه جواب الأمر، والانقلاب الرجوع، واستعماله حتى لا يلتبس بفعل الأمر (ارجع)، والخاسئ الخائب المهين، ونصبه على الحال، وجملة (وهو حسير) حال ثانية، أي: في حال من الحسر، والحسير يراد به المحسور أي الكليل المعيا الذي انكشفت قواه وتعب من كثرة التحديق في إيجاد ما يعيب، وتركيب الكلام كناية عن عجز الجاحد بآيات الله عن إيجاد خلل في بناء السماوات، ومهانته أمام دلائل العظمة في خلقها، ونفي إمكان إنكارها، فالآية تدعوه ليفتش في نظره عن عيب فيها يمكن به أن ينكر وجود تدبير رباني لها وأنها ليست مخلوقة من نفسها.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ٥١﴾

قوله (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح) الكلام عن بهاء السماء وحسنها دليل لكمال النظام الجاري للأجرام السماوية وخلوها من أي فطور، وتصديره بالقسم والتحقيق لمزيد العناية بمضمونه، وفعل التزيين بمعنى التجميل والتحسين، و(السماء الدنيا) أي: السماء القريبة من عالم أهل الأرض، والباء في (بمصابيح) للملابسة، ولفظ المصابيح جمع مصباح

استعارة تصريحية لتشبيه الأجرام المنتشرة في الفضاء العالي بها في حال إنارتها بفعل أشعة الشمس عليها، فتبدو لأهل الأرض ليلاً كأنها سرج معلقة في سقوف السماء بينما هي متباعدة فيها أشد الابتعاد.

قوله (وجعلناها رجوماً للشيطان) وهي الفائدة الثانية لنظام خلق الأجرام، أي: وجعلنا الأجرام السماوية المشبهة للمصابيح رجوماً ترمى بها الشياطين، والمراد شهب النار المنطلقة من نار الكواكب، لا الكواكب نفسها، فيما لو حاولت الشياطين الاقتراب لاستراق السمع من الملائكة، والكلام في معنى قوله تعالى (إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) [الحجر: ١٨]، وقوله (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) [الصافات: ١٠]، والرجوم جمع رجم وهو ما يرمى به المرجوم المطرود.

قوله (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي: وهياًنا للشياطين في الآخرة وادخرنا لأجلهم عذاب النار الموصوفة بشدة السحر والاشتعال.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

قوله (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم) أي: ولمطلق الكافرين بربوبية الله عذاب جهنم يوم القيامة، وإضافة لفظ الرب إلى ضمير الكافرين لبيان علة الحكم.

قوله (وبئس المصير) جملة ذم لمآل الكافرين بربهم، وتعريف المصير للعهد وهو المخصوص بالذم، أي: بئس المصير مصيرهم.

قال تعالى ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ ﴿٧﴾

قوله (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) حرف الشرط (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان، إخبار غيبي لحال الكافرين يوم القيامة، والإلقاء الرمي والطرح، و(فيها) أي: متلبسين في نار جهنم، وجملة (سمعوا) جواب الشرط، وتعدية الفعل باللام للتأكيد والتبيين أخص من تعديته بنفسه، والشهيق أصله صوت سحب النفس إلى الرئتين وضده الزفير، وهو كناية عن صوت جذب الكافرين الملقين فيها إلى قعرها كما يجذب نفس الهواء إلى الرئتين.

قوله (وهي تفور) جملة موقعها الحال، والفوران أصله غليان الماء وصعوده إلى الأعلى، أي: إن نار جهنم لشدة سعيها ترفعهم وتخفضهم.

قال تعالى ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ

نَذِيرٌ ﴾ ﴿٨﴾

قوله (تكاد تميز من الغيظ) تصوير لبيان شدة اشتعال نار جهنم، أي: تقارب أن تنفصل أجزاءها لشدة غضبها، والفعل (تميز) مخفف التاء، أي: تتميز، والتمييز التفريق والتجزئة، و(من) تفيد السبب، والغيظ أشد الغضب، وأورد الكلام على نحو من التصوير الاستعاري في تشخيص نار جهنم للمبالغة في زجر الكافرين.

قوله (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها) الاستئناف لبيان حال أهل النار بعد بيان حال نفسها، والحرف (كلما) مشبه للشرط لاحتياجه جملتين مرتبة إحداهما على الأخرى، وهو مركب من (كل) الدال على العموم، و(ما) المصدرية الظرفية، وهو يؤول مع الفعل الواقع بعده بمصدره، والأكثر فيه أن يعقبه فعل المضى لخفته.

والفوج الجماعة المارة السريعة، وتنكيره لفائدة العموم، أي: أي فوج من الأمم الكافرة، وهم يرمون أفواجا لأنهم أتباع ومتبوعون زمر بعد زمر، قال تعالى (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا) [الزمر: ٧١]، وقال تعالى (يوم نحشر من كل أمة فوجا) [النمل: ٨٣]، وقال تعالى (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم) [الأنفال: ٣٧].

وضمير الجمع في فعل السؤال باعتبار المعنى الجمعي للفظ الفوج، مثل قوله تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) [الحجرات: ٩]، والخزنة جمع خازن وهو الحافظ على الشيء المختزن، استعمل مجازا للملائكة الذين وكلهم الله على النار، ويسمون بالكروبيين، الذين يدبرون أنواع العذاب لأهل النار، قال تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد) [التحريم: ٦].

قوله (ألم يأتكم نذير) السؤال بهمزة الاستفهام يفيد التوبيخ والتقريع لأهل النار زيادة في عذابهم، وفعل الإتيان مجاز للتبليغ، أي: ألم يبلغكم نبي بعاقبة كفركم ولقاء يومكم هذا.

ولفظ النذير معناه المخوف من أمر مكروه، استعمل لمناسبته للمقام، وتنكيره للتعظيم والعموم.

قال تعالى ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾

قوله (قالوا بلى قد جاءنا نذير) الكلام من حكاية إجابة الكافرين سؤال خزنة النار، مقرين بالأحجة لهم، فأجابوا بنقيض النفي في السؤال لإثباته، أي: جاءنا نذير، وفي دلالاته وتأكيد الجملة بعده بحرف التحقيق وإعادتها إشعار بالمبالغة في الندم والحسرة.

قوله (فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) وفرعوا على الإجابة إقرارهم بتكذيب النذير المرسل، وزادوا على تكذيبهم بيان حال إصرارهم عليه بإنكار أن يكون الله أنزل لهم أي نذير من عنده.

والواو في جملة (وقلنا) عطف تفسير، وتنزيل الله مجاز لتبليغ آياته على السنة رسله، و(من) مزيد لتأكيد نفي العموم، و(شيء) مجرورة لفظاً منصوبة محلاً، وأصلها: شيئاً.

قوله (إن أنتم إلا في ضلال كبير) بحسب اتصال السياق، الأوفق أن يكون الكلام من تنمة قول الكافرين للمنذرين بكسر الهمزة، والخطاب الجمعي في (أنتم) باعتبار المعنى في لفظ النذير وحكاية إنكار الأمم لأنبيائها.

وأورد الكلام بصيغة القصر لبيان شدة ما كانوا عليه من الإصرار على الكفر بالله في عالم الدنيا، و(إن) بمعنى (ما) النافية، و(في) للملابسة الظرفية، ولفظ الضلال بمعنى إضاعة الصواب، وتنكيره للنوعية، وتوصيفه بالكبير لشدة بعده عن الحق.

وقيل: إن الكلام للملائكة خاطبوا به الكافرين، وقيل: هو من خطاب الرسل للكافرين حكته الملائكة عنهم، والأولى ما ذكرنا.

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

القول من الكافرين المعذبين زيادة ندم وتحسر منهم على ما فرطوا في حياتهم الدنيا، و(لو) للافتراض أداة امتناع لوجود، وفعل السمع مجاز في قبول نصح المنذرين وطاعتهم لأجل تجنب تعريض أنفسهم لعقاب الله، وفعل العقل بمعنى تفهم حقائق ما نزل الله من آيات، وتقديم السمع على العقل لأن من شأن العامة أن تسمع، والخاصة أن تعقل، أو لما أن مدار التكليف يتوقف عليهما.

وجملة النفي جواب (لو)، والمعنى: لو كنا في حياتنا الدنيا قبلنا بنصح الرسل المنذرين وأطعناهم وآمنا بالله، ما كنا اليوم متلبسين بنار جهنم المسعرة خالدين في ملازمتها.

قال تعالى ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

قوله (فاعترفوا بذنبهم) الفاء فصيحة على تقدير: وإذ قال الكافرون ما قالوا فقد اعترفوا بذنبهم، والاعتراف الإقرار بالذنب بعد معرفته، واعترافهم اعتراف يأس من النجاة، إذ لا ينفع اليوم اعتراف، والإفراد بلفظ الذنب باعتبار مصدريته.

قوله (فسحقا لأصحاب السعير) الفاء لتفريع النتيجة على الاعتراف، وهو الدعاء عليهم بالبعد عن رحمة الله، والسُّحْق بالضم البعد، ومنه السحيق، نحو قوله تعالى (أو تهوي به الريح في مكان سحيق) [الحج: ٣١]، أي: بعيد، ونصب اللفظ على المفعولية المطلقة أي: أسحقهم الله سحقا وإسحاقا، وتعديته باللام للتبيين والتخصيص كما يقال: ويل لهم، وأصحاب السعير أهل النار الملازمين لها الذين لا يبارحونها.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾



انتقال بالكلام إلى ذكر المؤمنين بعد الفراغ من بيان أحوال الكافرين لمقابلة الترهيب بالترغيب على عادة الأسلوب القرآني، والابتداء بالكلام بحرف التأكيد للعناية بتحقيق مضمونه، وأخذ من صفة المؤمنين خشيتهم ربهم لأن المقام مقام تخويف وإنذار، وليبيان صدق المعتقد وظهور أثره في الجوارح، وقيده في حال الغيب زيادة في صحة إيمانهم، وذلك كما قال السيد في الميزان: لكون ما آمنوا به محجوبا عنهم تحت حجب الغيب. انتهى.

وصيغة المضارع دالة على استمرارهم على الخشية، ومراعاة رضى ربهم، ولذلك امتدح الله هذه الصفة في المؤمنين دائماً نحو قوله (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) [الأنبياء: ٤٩]، وقوله (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه) [الأحزاب: ٣٩]، وقوله (نما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) [فاطر: ١٨]، وقوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) [الزمر: ٢٣]، وقوله (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) [ق: ٣٣]، وقوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) [البينة: ٨]، بل وجعلها من صفة العلماء، نحو قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر: ٢٨].

وتقديم شبه الجملة (لهم) للعناية والاهتمام، والمغفرة والغفران واحد، وهي ستر ذنوب العباد، للصفح عنها يوم القيامة، ولفظ الأجر الثواب وتنكير اللفظين للتعظيم، ووصف الأجر بالكبير لكثرتة، والإبهام من غير تحديده لقصور أن تتصوره الأفهام.

قال تعالى ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾

قوله (وأسروا قولكم أو اجهروا به) أي: أخفوا ما تتكلمون به أو أعلنوه، فعلمه تعالى واحد، سواء عنده الإخفاء والإعلان، ونظيره قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) [الرعد: ١٠].

قوله (إنه عليم بذات الصدور) تعليل للأمر، أي: لأنه عليم كثير العلم بأسراركم التي تضمرونها داخل الصدور، وخص ذكر ما خفي لأنه ادعى إلى العلم بما ظهر، وذكر إحاطة علمه تعالى بما يخفى ويعلن لبيان كمال قدرته تعالى الدالة على كمال ربوبيته لما خلق، فقد ذكر أن المشركين كانوا ينالون من النبي ﷺ فيوحى إليه ﷺ، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم، كيلا يسمع رب محمد، فنزلت الآية لبيان جهلهم بربوبية الله.

قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾

قوله (ألا يعلم من خلق) الاستفهام لإنكار إنكار الكافرين إحاطة علم الله بمن خلق، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة الإنكار، لأن الموجد مالك، يعلم دقائق ما خفي في المخلوق.

قوله (وهو اللطيف الخبير) جملة موقعها الحال، واللطيف الخبير العليم بما دق ولطف من أعمال العباد، والاسمان من أسماء الله العلى الدالين على كمال ذاته سبحانه.

قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ ﴿١٥﴾

قوله (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا) الآيات في بيان امتنانه تعالى على الخلق، ودلائل ربوبيته لهم، وتمام تدبيره، وفعل الجعل بمعنى الخلق،

واللام في (لكم) بمعنى الأجل، وتعريف الأرض للعهد، و(ذلولا) صفة مشبهة للمبالغة في الانقياد، واللفظ استعارة مكنية، تشبيها للأرض بالناقاة بجامع الانقياد والفائدة.

وقد جمع الله تعالى للأرض كمال الصلاحية لسكن الإنسان والعيش فيها فجعل خاصية الجذب للاستقرار، وجعل سطحها منبسطا، وأنهارها كثيرة، ونباتها وفيرا، وباطنها ثريا، وهواءها عذبا.

قوله (فامشوا في مناكبها) الفاء للتفريع، وفعل أمر المشي بمعنى: اسلكوا في فجاجها وطرقها، واسعوا في عمارتها وأنواع التصرف فيها، ولفظ المناكب جمع منكب وهو مجتمع ما بين العضد والكتف، استعارة بالكناية عن الاستقرار عليها كاستعارة الظهر إليها في قوله تعالى (ما ترك على ظهرها من دابة) [فاطر: ٤٥].

قوله (وكلوا من رزقه) الأمر للإباحة، وخص الأكل بكونه من رزق الله للإشعار بحليته وكونه مقدرًا لهم.

قوله (وإليه النشور) التقديم يفيد قصر النشور فيه تعالى وحده، والنشور البسط والكشف كناية عن إظهار الموتى من قبورهم وبعثهم أحياء استعداد لحشرهم ومثولهم بين يدي الله لتحقيق الجزاء فيهم.

قال تعالى ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ

قوله (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) الكلام لبيان التهديد والتخويف لمنكري الربوبية بعد إقامة الحجة عليهم، والاستنفهام للإنكار والتوبيخ، والأمن الاطمئنان من عدم وقوع المكروه، وضمير العاقل في اسم الموصول (من) بدلالة الصلة بعده راجع إلى الملائكة الموكلين بإيقاع الحوادث في الأرض، ولفظ السماء يراد به مقام العلو بالنسبة لأهل الأرض.

وجملة (أن) محلها النصب مفعول به ثان، والخسف شق الأرض بإحداث الزلزلة وتغييبهم فيها، والإفراد في الفعل باعتبار ظاهر اللفظ في اسم الموصول، وتعريف الأرض للجنس.

قوله (فإذا هي تمور) الفاء لتفريع التعقيب، و(إذا) حرف يفيد الفجاءة، ومور الأرض تردها في الذهاب رواحا ومجيئا، كناية عن شدة حركتها واضطرابها بفعل الخسف.

قال تعالى ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ

كَيْفَ نَذِيرٌ ﴿١٧﴾

قوله (أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) تفيد (أم) معنى: بل، وتقدير المعنى: بل أمنتم من في السماء، والإرسال الإطلاق، و(حاصبا) اسم فاعل صفة لموصوف محذوف تقديره: يرسل عليكم ريحا حاصبا، أي: ذات حصة وحجارة، نظير تلك التي حصبت قوم لوط في قوله تعالى (إنا

أرسلنا عليهم حاصبا إلا آل لوط) [القمر: ٣٤]، ولفظ الحاصب الرامي بالحصباء.

قوله (فستعلمون كيف نذير) الفاء لتفريع التهديد والوعيد يوم القيامة على كفر الكافرين بربوبية الله، واسم الاستفهام (كيف) معلق عن العمل لبيان الحال، والنذير التخويف، وإضافته إلى ياء الجلالة المحذوفة للتخفيف للتهويل.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (ولقد كذب الذين من قبلهم) القسم والتحقيق للعناية بمضمون المعنى، والمراد بضمير الجمع في اسم الموصول الأمم البائدة التي أهلكها الله لكفرهم، و(من) مزيدة للتأكيد، وضمير الجمع في (قبلهم) عائد إلى مشركي مكة، وفيه التفات من خطابهم إلى الغيب لإفادة تجاهلهم في عرض الشاهد على صدق التهديد في قوله (فستعلمون كيف نذير).

قوله (فكيف كان نكير) الفاء لتفريع سؤال التهويل، ولفظ النكير يراد به النعمة وتغيير النعمة، أو يراد به الإنكار بإفنائهم، وإضافته إلى ياء الجلالة المحذوفة للتهويل.

قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا

الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) الاستفهام يفيد الإنكار والتوبيخ، وفعل الرؤية للعيان، ونزل المخبر عنهم منزلة من لم ير لأنهم غفلوا عن التفكير في خلقه الطير لألفتهم منظره، فلم يصلوا إلى الإيمان بأن وراء ذلك الخالق المدبر.

والطير اسم جنس يقال للمفرد والجمع، واستعمل هنا مجموعا بدليل ضمائر الجمع في الكلام، وشبه الجملة (فوقهم) محلها الحال، أي: في حال كونها فوقهم، إشارة إلى طيرانه في الهواء، فإن ذلك من الأعاجيب، فالطير يمشي في الأرض ويطير في الهواء كأنه يسبح فيه.

والصف أصله كما قال في المجمع: وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم. انتهى. واللفظ (صافات) حال ثانية، اسم فاعل، معموله محذوف تقديره: صافات أجنحتهن، وذلك في حال الطيران يبسط جناحه فتظهر مقادير ريشه مصطفة، والعطف في جملة (ويقبضن) من عطف الفعل على الاسم، محلها النصب على الحال، والقبض ضد الصف المتضمن معنى البسط، ويكون بضم جناحه إلى جوانبه يحركه مرة بعد مرة للاستظهار به على الحركة والتغلب على جاذبية الأرض، ولذلك أوتر استعمال صيغة المضارع الدال على التجدد، فقل (يقبضن) ولم يقل: قابضات، كما في صافات، الدال على الثبات لأن الصف أكثر أحوال الطير عند الطيران، وكذلك حذف مفعول (يقبضن) كما حذف من صافات للإيجاز، وتعويلا على ما يفهم من تكرار رؤية الطير.

قوله (ما يمسكهن إلا الرحمن) جملة مبيّنة لجملة (أولم يروا)، أي: ما يمسك الطير من الوقوع على الأرض ويبقيها معلقة في الهواء إلا الرحمن، وخص الرحمن بالذكر في الآية خاصة وفي السورة عامة، لأن ذلك من آثار تدبيره ورحمته، ولأن المشركين أنكروا وجود الرحمن، قال تعالى (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) [الفرقان: ٦٠].

ولا يلغي نظام العلة الذي أوجده الله للعالم المصنوع انتهاءه إليه سبحانه، قال السيد في الميزان: وقرار الطير حال الطيران في الهواء من غير سقوط وإن كان مستندا إلى أسباب طبيعية كقرار الإنسان على بسيط الأرض، والسماك في الماء وسائر الأمور الطبيعية المستندة إلى علل طبيعية تنتهي إليه تعالى، لكن لما كان بعض الحوادث غير ظاهر السبب للإنسان في بادي النظر سهل له إذا نظر إليه أن ينتقل إلى أن الله سبحانه هو السبب الأعلى الذي ينتهي إليه حدوثه ووجوده، ولذا نبههم الله سبحانه في كلامه بإرجاع نظرهم إليها ودلالاتهم على وحدانيته في الربوبية. انتهى.

فالله عز وجل هو الذي جعل في الهواء خاصية التحريك والحمل، وخلق في الطير قابلية التحليق فجعل شكله مغزليا حتى يشق به الهواء، وعظامه جوفاء كي يخف وزنه، وأجنحته متناسقة في كبر الريش وصغرها للسيطرة على التوازن، كل ذلك وأكثر من أسبابه تعالى التي بنى بها نظامه، وهي غير مستقلة عنه تعالى لأنها غير موجدة لنفسها.

قوله (إنه بكل شيء بصير) جملة تعليل للقصر، أي: لأنه بكل شيء عليم شديد العلم بدقائق ما يحتاج كل مخلوق.

قال تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله (أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) الإدغام في (أمن) لأنه مكون من (أم) المنقطعة، واسم الاستفهام (من)، وأم: بمعنى: بل، للإضراب الانتقالي من غرض إلى آخر، ولا سبيل إلى تقدير الهمزة معها، لوقوع (من) الاستفهامية بعدها، واسم الإشارة، واسم الموصول وصلته للاحتقار يراد به الأصنام التي زعمها المشركون آلهة تعبد من دون الله، والمعنى: من هذا الذي يشار إليه، دلونا عليه، جند لكم ينصركم من دون الرحمن، فيدفع عنكم ضرا لو أراد الله بكم.

وفائدة الالتفات في الكلام من الغيب إلى الخطاب التوبيخ والتقريع، والاستفهام للإنكار، واسم الإشارة للمفرد القريب، ولفظ (جند) اسم جمع استعمل للمفرد، وعلى الجمع قوله تعالى (وهم لهم جند محضرون) [يس: ٧٥]، وقوله (إنهم جند مغرقون) [الدخان: ٢٤]، والجند هم العسكر المؤتمرون للنصرة دائما، لذلك جيء بجملتهم إسمية للإشارة إلى الثبات والدوام.

وجملة (هذا الذي هو جند لكم) محلها الصفة لاسم الاستفهام، وجملة (ينصركم) محلها الصفة لـ (جند)، وشبه الجملة (من دون الرحمن) محلها الحال.

قوله (إن الكافرون إلا في غرور) جواب من الله تعالى إذ لا جواب لهم على سؤاله، وهو أن الذي أُوهمهم بعبادة غير الله غرورهم وافتتانهم بالدنيا.

و(إن) بمعنى (ما) النافية، وأل الكافرين للعموم، و(إلا) أداة استثناء ملغاة، لفائدة القصر، و(في) للملابسة الظرفية، مبالغة في تلبس الكافرين بالغرور.

قال تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ



قوله (أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه) أي: بل من هذا الذي زعمتوه إلها يرزقكم إن منع الله رزقه عنكم.

قوله (بل لجوا في عتو ونفور) بل: للإعراض عن السؤال، لأنهم لا جواب لهم، فأجاب سبحانه بأنهم يعلمون ألا أحد يرزقهم من دون الله، لكنهم لا يريدون الاعتراف بالحق، فأصروا على اللجاجة والعناد لأجل الباطل استكبار على الحق وإعراضا.

واللجاجة الجدل على الباطل، وشبه الجملة محلها الحال، و(في) للتلبس الظرفي، والعتو النبو، ويراد به الاستكبار والاستعلاء، والنفور الإعراض، وتكثير اللفظين للتهويل.

قال تعالى ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢٢)

سياق الآيات على أسلوب واحد لبيان دلائل ربوبيته تعالى، والفاء للتفريع، وتقدم همزة الاستفهام للصدارة، وتفيد الإنكار، والمعنى: أفمن يمشي وهو يعثر في كل خطوة فيخر على وجهه أهدى إلى المكان الذي يقصده أم ذلك الذي يمشي معتدلاً سويًا يبصر طريقه فيصل آمناً، والتشبيه من باب التمثيل لحال الكافرين وهم في لجاجهم وعنادهم مع علمهم بحال الماشي ووجهه إلى الأرض يتخبط ويعثر كل حين، وهو لا يشبه السائر معتدلاً سويًا يبصر طريقه فيصل إلى غرضه بأمان.

والمكب الذي يتخبط في مشيه ويعثر فيسقط لوجهه كل حين، فهو ذا كب، ونصب (مكباً) على الحال، واللفظ استعارة للكافر الضال كاستعارة الظلمات له، وتعديته بحرف الجر (على) لتضمنه معنى السقوط، واسم التفضيل (أهدى) أي: أكثر هدياً في تبصر الطريق، والسوي المنتصب المعتدل، استعارة للمؤمن والصراط المستقيم الطريق اللاحب الأمن الخالي من العثار كناية عن سبيل التوحيد، ونظير الاستعارات قوله تعالى

(ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)
[المائدة: ١٦].

وفي الكافي بإسناده عن سعد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: القلب أربعة: قلب فيه نفاق وإيمان، وقلب منكوس، وقلب مطبوع، وقلب أزهر، فقلت: ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأما المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك، ثم قرأ هذه الآية (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم)، فأما القلب الذي فيه إيمان ونفاق فقوم كانوا بالطائف، فإن أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك، وإن أدركه على إيمانه نجى. انتهى. أقول: ذكره السيد في الميزان معلقا: المراد به الطائف الشيطاني الذي ربما يمس الإنسان. انتهى.

قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾

قوله (قل هو الذي أنشأكم) أسلوب الأمر بـ (قل) في الآية وما بعدها لتلقيين النبي ﷺ بما يقرع أسماع الكافرين من حجج التدبير وكمال الربوبية، والكلام مؤكد بالقصر للعناية بالمضمون، والإنشاء الإيجاد من عدم.

قوله (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أي: وجعل لأجل تدبيركم آلة السمع حتى تتعظوا بآياته تعالى، والأبصار كي تتفكروا بما تشاهدون،

والأفهام حتى تميزوا فيما تسمعون وتشاهدون، ولفظ الأئدة جمع فؤاد ويراد بها العقول، وما جهز الله الإنسان بآلات الحس والفكر شاهد على إنشائه على غير مثال سابق، فمادة التراب لا يتوقع منها ذلك، كما أن أطواره المادية الأولى لا تشبه نضوجه إنسانا سويا ذا مشاعر.

قوله (قليلًا ما تشكرون) نصب (قليلًا) على تقدير: تشكرون شكرا قليلا، و(ما) زائدة، والشكر الثناء على المنعم، والجملة دالة على الجحود.

قال تعالى ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله (قل هو الذي ذرأكم في الأرض) أي: هو الله وحده الذي خلقكم وكثركم متعلقين بعلائق الأرض والمادة، كي يمتحنكم فينظر أيكم أحسن عملا، والذراء الخلق والتكثير.

قوله (وإليه تحشرون) أي: وإليه تعالى وحده تحشرون يوم القيامة حين تبعثون من قبوركم في الأرض.

قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله (ويقولون متى هذا الوعد) القول من مشركي مكة، وصيغة المضارع لتكراره منهم، قاصدين به الإنكار والاستهزاء، واسم الإشارة للاستهزاء، وتعريف الوعد للعهد هو الوعد بحصول القيامة وتخويفهم بعذابها.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط من تنمة قول المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين أريد به التعجيز، أي: إن كنتم صادقين فيه فأتوا به.

قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٣٦﴾

قوله (قل إنما العلم عند الله) التلقين لإفادة الرد على قول المشركين، والقصر بـ (إنما) لنفي ما قبلها وإثبات ما بعدها، أي: ليس لي علم بوقت القيامة وإنما العلم بوقت حدوثها يعلمه الله وحده لم يطلع عليه أحدا.

وتعريف العلم للعهد، أي العلم بوقت القيامة والحشر، والظرف (عند) لخصوص الملك والعلم، نظير قوله تعالى (قل علمها عند ربي) [الأعراف: ١٨٧].

قوله (وإنما أنا نذير مبين) جملة مقررة لمضمون التي قبلها، وفيها قصر شأن النبي ﷺ على الإنذار والتبليغ فحسب، وليس من شؤون الإنذار العلم بوقت الساعة، لأنها من شؤونه تعالى وحده.

قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) الفاء فصيحة على تقدير ترتيب ما تقدم من حتمية وقوع القيامة بتقدير: فلما تم وعد الله وقامت القيامة ورأوه زلفة سيئت وجوه الكافرين.

والرؤية للعيان، واللفظ (زلفة) بمعنى: قريباً، مصدر نصب على الحال المقيدة للوعد المقدر على سبيل المبالغة، وجملة المساءة جواب (لما) الشرطية، وذكر الوجوه لأنها التي تبين على بشرتها المساءة من الرهق والذلة والاكتئاب، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة المساءة وتسجيل الكفر عليهم.

قوله (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) القيل لتذكير الكافرين بما كانوا يسألون ويستعجلون مستهزئين لتبكيتهم وزيادة تفريعهم، أي: وقيل لهم هذا اليوم يوم عذابكم الذي كنتم في أيام الدنيا تسألونه مستخفين.

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

قوله (قل أرايتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمتنا) أي: أخبرهم يا محمد: أخبروني إن أماتني الله والمؤمنين معي أو رحمتنا بتأخير آجالنا فإننا في جواره تعالى ننتظر إحدى الحسنيين.

والتعبير بالإهلاك على سبيل التنزل، لأن المشركين كانوا يدعون عليه وعلى المؤمنين بذلك.

قوله (فمن يجير الكافرين من عذاب أليم) الفاء للتفريع، لا للجزاء، قال في المجمع: قال أبو علي [أي الفارسي]: دخلت الفاء في قوله (فمن يجير) وقوله (فمن يأتكم) لأن (أرايتم) بمعنى: انتبهوا، أي: انتبهوا فمن يجير،

وانتبهوا فمن يأتيكم، كما تقول: قم فزيد قائم، قال: ولا يكون الفاء جواب الشرط، وإنما يكون جواب الشرط مدلول (أرأيتم) قال: وإن شئت كانت الفاء زائدة مثلها في قوله (فلا تحسبنهم) ويكون الاستفهام سادا مسد مفعولي أرأيتم، كقولهم: أرأيت زيدا ما فعل، وهذا من دقائقه. انتهى.

والاستفهام في (فمن) للإنكار، أي: لا أحد يجير الكافرين من عذاب أليم إن متنا أو بقينا، إذ لا ينفعكم بقاؤنا أو موتنا.

والإجارة المنع من وصول المكروه لمن يجار، ولذلك عدي الفعل بحرف الجر (من)، وإظهار لفظ الكافرين في موضع الإضمار لإفادة تعليل النفي المتضمن في اسم الاستفهام (من)، وتتكير (عذاب) للتهويل، وتوصيفه بالأليم للمبالغة بمعنى المؤلم.

قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْمَلُونَ مِمَّنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

قوله (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أي: قل هو الله الرحمن الذي أدعوكم إلى عبادته، وأنتم تدعونه علي وعلى من معي، مالك النعم كلها، آمنا به موحدين له، وعليه توكلنا.

وتأخير مفعول (آمنا) وتقديم مفعول (توكلنا) للتعريض بالمشركين، كأنه قيل: آمنا ولم نكفر كما كفرتم، ثم قال: وعليه توكلنا خصوصا، لم نتكل

على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم. قال الزمخشري في الكشاف. انتهى.

قوله (فستعلمون من هو في ضلال مبين) الفاء لتفريع التهديد، بمعنى: فستعلمون أيها الكفار من هو المتلبس في ضلال مبين، نحن أم أنتم؟

قال تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾

أي: أخبروني أيها الكافرون إن اذهب الله ماءكم وجعل أرضكم يبابا، فمن الذي يأتيكم بماء جار معين يحيي أرضكم.

وغور الماء مصدر يراد به الغائر، أي ذهابه ونضوبه في الأرض، و(من) اسم استفهام يفيد الإنكار، والإتيان بالماء إحضاره كناية عن إنزال الله المطر من السماء، ووصفه بالمعين أي: الجاري الصافي.

وفي شواهد التنزيل، روى الحاكم بإسناده: لما رأوا ما لعلي بن أبي طالب عليه السلام عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا. وفيه: وعن أبي جعفر عليه السلام : فلما رأوا مكان علي عليه السلام من النبي ﷺ سيئت وجوه الذين كفروا، يعني الذين كذبوا بفضله. انتهى. أقول: والأخبار لا تفسر الآية بل تورده المصاديق عليها، كما ذكر السيد الطباطبائي مثل ذلك.

سورة القلم

مكية، وهي اثنتان وخمسون آية

غرض السورة تطيب خاطر النبي ﷺ بسبب ما يرميه المشركون من جنون، وتعهده بالوعد الجميل بالتأييد والنصر، وتثني على خلقه العظيم، وتنهاه عن طاعة المكذابين نهيا بالغا، وتأمره بالصبر لحكم ربه وألا يكون حاله كحال صاحب الصوت في الغم وتعجل العذاب بقومه.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾

قوله (ن) افتتحت السورة بالحرف، وكباقي السور المبدوءة بحرف مُقَطَّع واحد لم يُعَد بذاته آية، بل انضم إلى ما بعده.

قوله (والقلم وما يسطرون) الواو تفيد القسم، والقلم مقسم به، آلة الكتابة المعروفة، وتعريفه للجنس، والواو الثانية قسم ثان، و(ما) مصدرية، و(يسطرون) كناية عن الكتابة، لأن الكلمات تكتب بصفوف ممتدة كسطر النخيل، وضمير الجمع عائد إلى أصحاب القلم دل عليه ذكره، والمعنى: وما يكتبون من أسطر.

وقسم الله بالكتابة وأداتها بوصفها نعمة عظيمة، هدى إليها الإنسان فاختص بها من دون مخلوقاته تعالى، مكنته من الإبانة بغير لسان، وهي بعد

ترجمان عقله وفكره، وذكر نظيره في قوله تعالى (عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عِلْمَ الْإِنْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمْ) [العلق: ٥].

وفي بعض التفاسير فسرت النون بنهر في الجنة، وفسر القلم بالنور، واللوح المحفوظ، والله أعلم.

وذكر الحاكم في المستدرک بإسناده عن الضحاك قال: لما رأت قریش تقديم النبي ﷺ عليا وإعظامه له نالوا من علي وقالوا: قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) قسم أقسم الله به، (ما أنت بنعمة ربك بمجنون، وإن لك لأجرا غير ممنون، وإنك لعلى خلق عظيم) يعني القرآن، إلى قوله (بمن ضل عن سبيله)، وهم النفر الذين قالوا ما قالوا، (وهو أعلم بالمهتدين) يعني علي بن أبي طالب. انتهى.

قال تعالى ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ﴿٢﴾

جملة النبي المؤكدة مقسم عليه، خوطب بها النبي ﷺ لتشريفه وتطيب نفسه عما رماه المشركون به من جنون، أي: ما أنت أيها النبي ﷺ في حال تلبسك بالنبوة بمجنون، أو ما أنت بسبب النبوة بمجنون.

وعلى هذا التفسير الذي اعتمدنا فيه تحليل النص تفيد الباء المقترنة بلفظ النعمة الملازمة، أو السبب، وأولت النعمة بمعنى النبوة، لأنها أعظم النعم على من يصطفيه الله لها، دالة على كمال العقل، وإبطال رمي النبي ﷺ بالجنون، وذكر نظيرها كثيرا في القرآن نحو قوله تعالى (فذكر فما أنت

بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون) [الطور: ٢٩]، وقوله (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) [مريم: ٥٨]، وإضافة النعمة إلى لفظ الرب في خطاب النبي ﷺ لأجل تشريفه ﷺ والعناية به.

والباء الثانية في (بمجنون) مزيدة لتقوية النفي، والمجنون الذي به مس من الجن فلا يعقل ما يقول، وكان ذلك مما قدح به مشركو مكة النبي ﷺ، لما يأتيهم به من آيات الغيب، أرادوا به نفي أن يكون نبيا مرسلا، وذكر الله افتراءهم هذا كثيرا ودافع عن نبيه، نحو قوله تعالى (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون) [الحجر: ٦]، وقوله (وما صاحبكم بمجنون) [التكوير: ٢٢]، وقوله (ويقولون أننا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) [الصافات: ٣٦]، وقوله (وقالوا معلم مجنون) [الدخان: ١٤].

قال تعالى ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ﴿٣﴾

العطف على جملة جواب القسم، أي: وأقسم إن لك أيها النبي لثوابا على أجر الرسالة كثير غير مقطوع.

وتقديم (لك) للعناية، واللام في (لأجرا) لتأكيد الخبر، والتأكيد للتكثير، و(غير ممنون) صفة للأجر.

قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾

الجملة ثناء من الله على نبيه، معطوفة على جواب القسم، وحرف النسخ للعناية بمضمون الإخبار، وحرف الجر مجاز استعلائي يفيد التمكين، والخلق سجايا النفس، وأكثر إطلاقه على الفضائل والملكات الممدوحة، وحقيقته كما قال الشيخ في المجمع: ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب، وإنما سمي خلقاً لأنه يصير كالخلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب، فإنه الخيم، فالخلق هو الطبع المكتسب، والخيم: هو الطبع الغريزي. انتهى.

وتنكير اللفظ ووصفه بالعظمة لتفخيم صدور أفعاله من النبي ﷺ، فالخلق العظيم يبدو أقرب إلى أن يكون متعلقاً بمسائل التعامل الاجتماعي كالصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح، والرفق والمدارة، وتحمل المكاره في الدعاء إلى الله سبحانه والتجاوز والعفو، وبذل الجهد في نصرة المؤمنين، وترك الحسد والحرص، ونحو ذلك، وقد سئلت عائشة عن خلقه ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن، ألسنت تقرأ القرآن: (قد أفلح المؤمنون). ذكره أبو السعود في تفسيره. انتهى.

ومن أحاديثه الأخلاقية ﷺ قوله: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

وقوله ﷺ: إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار.

وقوله ﷺ: ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن. روي عن أبي الدرداء.

وقوله ﷺ: عليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة. روي عن الرضا علي بن موسى عن آبائه عليهم السلام.

وقوله ﷺ: أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبراء العثرات. روي عن أبي هريرة. وذكرت الأحاديث في المجمع وغيره بتصرف. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَسْتَبْصِرْ وَتُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٥﴾

الفاء لتفريع التهديد على مضمون ما سبق من التلبس بالنبوة والوعد على الأجر والثناء على الخلق، والسين في فعل الإبصار دال على ما يتوقع من التأييد للنبي ﷺ، والمكروه للكافرين، وفعل الإبصار مجاز للعلم، ومفعول الفعلين محذوف تقديره: فستبصر - أيها النبي - نصر الله لك، ويبصر مشركو مكة ذلتهم.

قال تعالى ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾ ﴿٦﴾

الجملة محلها النصب يتنازعها فعلا الإبصار، أي: فستبصر ويبصرون من المفتون، بالجنون أنت أم هم؟

والباء في (بأيكم) مزيدة للتأكيد، والمفتون من الفتنة، أي: المبتلى بالجنون
وذهاب العقل، ويجوز - كما قيل - ان الباء بمعنى (في)، والمفتون مصدر
بزنة المفعول كالميسور، فيكون المعنى: فستبصر ويبصرون في أي
الفريقين الفتنة، أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين.

قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ



قوله (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) تعليل لمضمون ما سبق في
تمييز الضالين من المؤمنين، أي: إن ربك هو أعلم بالنفوس الضالة بطبعها
عن سبيله المؤدي إلى سعادة الدارين، لذلك زادها ضلالاً.

وضمير الفصل للقصر، واسم التفضيل (أعلم) لمطلق العلم، والضلال التيه
والضياع، وسبيل الله سبيل توجيهه المفضي إلى النجاة من العذاب في الدنيا
والآخرة.

قوله (وهو أعلم بالمهتدين) تكرار الضمير واسم التفضيل لزيادة التقرير،
والجملة تقابل التي سبقتها، أي: وهو تعالى أعلم بالنفوس المستعدة لقبول
الهداية فيجازيها بما تستحق.

قال تعالى ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

الفاء لتفريع النهي على العلم بضلال المشركين، والخطاب للنبي ﷺ، أي: لا تستجب لهم فيما يريدون لا بالقول ولا بالفعل، عبر عنه بنفي طاعتهم للمبالغة في النهي، وكانوا - على ما قيل - أرادوا المصالحة معه ﷺ على ألا يسفه عبادة آلهتهم مقابل ألا يؤذوه بالقول، وتعريف لفظ المكذبين للعهد سمي به المشركين لتعليل النهي، وتسجيل الكذب عليهم.

قال تعالى ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ ٩

قوله (ودوا لو تدهن) الجملة تعليل للنهي، خوطب النبي ﷺ بها كالتي قبلها، والمودة الرغبة القلبية الشديدة في الميل إلى الشيء، وضمير الرفع راجع إلى مشركين مكة، و(لو) للتمني، وتحتمل أن تؤول بالمصدر أي: ودوا إدهانك، وفعل الإدهان استعارة للملاينة في التعامل والمصانعة في الدين، منقول من الدهن، فشبه التليين في الدين بتليين الدهن.

قوله (فيدهنون) الفاء للتفريع، أي: فيقابلونك بالتليين، فلا يفتروا عليك بشتى التهم.

قال تعالى ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ ١٠

النهي من باب ذكر الخاص بعد العام، فإنه لما طلب من النبي ﷺ النهي عن مطلق إجابة الكافرين، فصل هنا في ذكر صفاتهم المذمومة لبيان حجة للنهي.

ولفظ الكل للعموم، ظاهره الأفراد، ومعناه الجمع، ولفظ الحلاف مبالغة في الحلف بالباطل، كناية عن الكاذب، المستخف بمن يقسم به، وتقديمه على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الردع، ولفظ المهين نعت لـ (حلاف) مشتق من الفعل مهن، ومعناه الذليل الحقير، وهي صفة مشبهة بمعنى الفاعل.

وقيل أريد به الوليد بن المغيرة، كان عرض على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه، وقيل يعني الأخنس بن شريق، أو الأسود بن عبد يغوث.

قال تعالى ﴿ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾

الصفتان نعتان لـ (حلاف)، والهمز أصله الدفع بشدة اعتماد، ومنه الهمزة حرف من حروف المعجم، وهي همزة تخرج من الصدر بشدة اعتماد. قال الطوسي. انتهى. والهماز صيغة مبالغة في تكثير الهمز، كناية عن كثرة اغتياب الناس، وذكرهم بما يعيبهم وينقص من شأنهم.

والمشاء مأخوذ من المبالغة في المشي، كناية تصويرية عن شدة العناية بنقل الوشاية بين الناس لإفساد حالهم وتخريب علاقاتهم، وشبه الجملة (بنميم) محلها الحال، والباء للملابسة، والنميم والنميمة مصدران بمعنى واحد، عرفها الشيخ الطوسي بقوله: التضريب بين الناس بنقل الكلام، يغلظ لقلوب بعضهم على بعض، ومنه النمام المشموم، لأنه يجد ريحه كالمخبر عن نفسه. انتهى.

قال تعالى ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (مناع للخير) صيغة مبالغة من شدة المنع، على وزن سابقاتها، وهو من أشكال المحسنات البديعية التي تسمى بالموازنة، كناية عن منع مطلق الخير، أو كناية عن البخل في إنفاق المال على الفقراء والمستحقين، فقد كان ذلك من صفاتهم المذمومة في الجاهلية، أكثر إنفاقهم لأجل الرياء، فلا يجدون النفع في الإنفاق على المساكين، أو هو من منعه عمن أسلم من عشيرتهم، يقول الواحد منهم: من دخل دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً.

ولفظ الخير قد يطلق على المال ونحوه قوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) [العاديات: ٨]، وقوله (أشحة على الخير) [الأحزاب: ١٩]، وقوله (إن ترك خيراً) [البقرة: ١٨٠].

قوله (معتد أثيم) أي: ظلوم متجاوز عن الحق، كثير فعل الإثم.

قال تعالى ﴿عُتِلَّ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ ﴿١٣﴾

العتل مأخوذ من العتل وأصله كما قال الراغب: الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر كعتل البعير، قال (فاعتلوه إلى سواء الجحيم). انتهى. فهو كناية عن خشونة الطبع وسوء الخلق، وقسوة الجفاء في الخصومة وشدة الفحش، وقيل: هو الأكل المنوع للغير، أو الذي يعتل الناس ويجرهم إلى حبس أو عذاب.

والظرف (بعد ذلك) بمعنى مع ما ذكر من الصفات المذمومة، كأنه يريد التنبيه إلى أشد المعاييب، ولفظ الزنيم اللصيق بالنسب الدعي الذي لا أصل له، والأصل فيه مأخوذ من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلّية في حلقها، ومنه قول حسان بن ثابت في أبي سفيان:

وأنت زنيم نيّط في آل هاشم كما نيّط خلف الراكب القدح الفرد

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد

وقال ابن عاشور في تفسيره معلقا على البيتين: يريد جده أبا أمه، وهو موهب غلام عبد مناف، وكانت أم أبي سفيان سمية بنت موهب هذا. انتهى.

وقيل: إنه إشارة إلى الوليد بن المغيرة، فإنه كان دعيا في قريش، وليس من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثماني عشرة من مولده، وقيل: هو الأخنس بن شريق أصله من ثقيف وعداده في زهرة. قاله أبو السعود في تفسيره.

وفي المجمع، وعن شداد ابن أوس قال: قال رسول الله: لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري، ولا عتل زنيم، قلت: فما الجواظ؟ قال: كل جماع مناع، قلت: فما الجعظري؟ قال: الفظ الغليظ، قلت: فما العتل الزنيم؟ قال: كل رحيب الجوف سيء الخلق، أكل شروب، غشوم ظلوم زنيم. انتهى.

وفيما تقدم تفصيل لتسع صفات ذميمة تكشف أخلاق أعداء الدين الذين نهى الله نبيه عن معاملتهم بلين على حساب الدين.

قال تعالى ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ ﴿١٤﴾

جملة تعليل لمجموع الصفات المتقدمة مشوب بالتهكم، بتقدير: لأن، أي: هو يفعل كذا وكذا لأنه كان ذا مال ذا مال وبنين، فبدلاً من شكر الله على نعمه كفر بها وبطر وفعل ما فعل.

قال تعالى ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ﴿١٥﴾

الاستئناف الشرطي تعليل للنهي في قوله (فلا تطع)، أي: لأنه جاحد بآيات الله مستهزئ بها، مدعياً بأنها من خرافات الأمم السابقة.

والتلاوة قراءة آيات الله النازلة في القرآن، ويراد بها تبليغها إلى مسامعهم، وصيغة المضارع للتجدد، والآيات آيات الكتاب، وإضافتها للضمير للتعظيم، والأساطير جمع أسطورة، ويراد به تسطير القصص الخرافية، ولفظ الأولين بمعنى الأقدمين، الذين يتناولون القصص من جيل لجيل.

قال تعالى ﴿ سَنَسِفُهُ عَلَىٰ الْخُرُطُومِ ﴾ ﴿١٦﴾

الوسم التأثير، والسمة الأثر، ويراد به العلامة بالكي للتمييز، والسين في ابتداء فعله دالة على حصوله في المستقبل، أقرب إلى أن يكون من الوعيد يوم القيامة، وضمير الهاء فيه عائد إلى ظاهر الأفراد في (كل حلاف)، و(على) حرف مجاز استعلائي، والخرطوم استعارة من الفيل لأنف الإنسان، فهو أول ما يرى منه، لأنه مقدم وجه الإنسان كما هو مقدم وجه

الفيل، وتخصيص الوسم بالخرطوم لما فيه من الإذلال والمهانة، والعرب تصف العزة والذلة بالأنف، فيقال: شمش بأنفه، وجدع أنفه، وقريب من هذا المعنى قوله ﷺ في نهج البلاغة: ولأقودن الظالم بخزامته حتى أوردته منهل الحق، وإن كان كارها. انتهى. والخزامة حلقة توضع في أنف البعير ليسر قياده.

قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ ٧٧

قوله (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة) الاستئناف والابتداء بحرف التأكيد للناية بمضمون الخبر، والبلاء الاختبار، ومضير النصب في الفعل عائد إلى عتاة أهل مكة، الموصوفين بما تقدم من ذميم الصفات، والتشبيه بأصحاب الجنة لبيان الحال وتقريب الصورة، لأن فيه تحقيقا للوعيد بعذابهم في الدنيا والآخرة.

وأصحاب الجنة أصحاب البستان في صنعاء اليمن، كانوا ورثوها من أبيهم الشيخ البار بالفقراء، فقد كان يمسك منها قدر كفايته، وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي، فلما مات قال بنوه: نحن أحق بها لكثرة عيالنا، ولا يسعنا أن نفعل كما فعل أبونا، وعزموا على حرمان المساكين، فصارت عاقبتهم إلى ما قص الله تعالى في كتابه.

قوله (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) الظرف متعلق بفعل البلوى، وفعل القسم من أصحاب البستان دال على عزمهم صرم ثمار الجنة من دون أن

يدعوا شيئاً للفقراء، واللام في (ليصرمنها) واقعة في جواب القسم، وفعل الصرم معناه قطع الثمر، وضمير النصب عائد إلى الجنة باعتبار ثمرها، ونصب (مصبحين) على الحال، أي: صرمها وقت دخول الصباح، كأنهم تشاوروا أن يكون قطف الثمار فجرا قبل أن يعلم الفقراء.

قال تعالى ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ﴾ ﴿١٨﴾

العطف على جواب القسم، وجملة الاستثناء بمعنى: ولا يدعون من القطف شيئاً للفقراء كما كان يفعل أبوهم، أو كما قيل: لا يقولون إن شاء الله، متكلمين على أنفسهم، مستقلين بها عن مشيئة الله، لأن الشرط والاستثناء مؤداهما واحد، لأن الأصل في قولك: أخرج غدا إن شاء الله هو أخرج غدا إلا أن يشاء الله ألا أخرج.

قال تعالى ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ ﴿١٩﴾

قوله (فطاف عليها طائف من ربك) الفاء للتفريع، أي: دار على الجنة طارق من ربك، فأتى عليها وعلى ثمرها، والفعل (طاف) بمعنى دار وحام كناية عن الإحاطة، وحرف الجر في (عليها) مجاز للتمكين، والهاء راجع إلى الجنة، و(طائف) كناية عن بلاء لم تصرح به الآية، ولذلك نكر اللفظ لإبهامه، وشبه الجملة (من ربك) بمعنى: من جهة ربك، دال على غضبه تعالى على أصحاب الجنة لأنهم لم يشكروه تعالى، بل طغوا على مشيئته، وبين اللفظين (طاف وطائف) محسن بديعي اسمه الجنس الاشتقاقي.

قوله (وهم نائمون) الجملة الإسمية محلها الحال، أي: جرى ذلك على جنتهم وهم في حال من النوم والغفلة.

قال تعالى ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ ۝٢٠ ﴾

الفاء للتفريع، والتاء في (أصبحت) للجنة، ولفظ الصرير يأتي بمعنى المقطوع الثمر، ويأتي بمعنى الليل والنهار لأنه من الأضداد، ويأتي بمعنى الرمل، وكلها تحتل التشبيه، أي: فأصبحت الجنة من أثر البلاء كالصرير، أي كالبيستان المصروم الخالي من الثمر، أو المعنى: فأصبحت الجنة كالليل الأسود لما أصابها من حرق ليلا، أو بمعنى: فصارت الجنة كالقطعة من الرمل التي لا نبات فيها ولا فائدة.

قال تعالى ﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ ﴾

الفاء للتفريع، والتنادي تفاعل وتشارك في النداء، أي: نادى بعضهم بعضا، وذلك حال دخولهم في الصباح.

قال تعالى ﴿ أَنْ اْعُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٢ ﴾

قوله (أن اعدوا على حركم) جملة مفسرة للتنادي، والغدو التبكير، وفي ضمنه معنى: أقبلوا، لذلك عدي بـ (على)، والحرث الزروع والأعقاب في الجنة.

قوله (إن كنتم صارمين) جملة الشرط للتهييج، أي: إن كنتم قاصدين للصرم.

قال تعالى ﴿فَانْطَلِقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ﴾ ﴿٢٣﴾

الفاء تفریع بعد تفریع، وفعل الانطلاق دال على سرعة الذهاب إلى الجنة، وجملة (وهم يتخافتون) محلها الحال، والتخافت التهامس بالحديث حتى لا يسمع تشاورهم أحد.

قال تعالى ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ ﴿٢٤﴾

جملة مفسرة للتخافت، لأن الفعل بمعنى القول، والنهي مبالغة في نفي تمكين دخول المساكين إلى الجنة، كما يقال: لا أرينك ههنا.

ولفظ اليوم بمعنى الظرف الذي هم فيه، والمساكين الفقير الذي أسكنه الجوع والعوز عن الحركة، وتنكيره للعموم.

قال تعالى ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدَرِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

أي: وبكروا دخولهم إلى الجنة على قصد منع دخول المساكين، مقدرين صرمها من غير مساهمة المساكين بشيء منها.

قال تعالى ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ ﴿٢٦﴾

أي: فلما رأوا الجنة وقد أصبحت كالصريم قالوا إنا لضالون عن الصواب حيث قدرنا في غدونا إليها بقصد صرمها ومنع المساكين.

قال تعالى ﴿بَلْ لَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾

بل: للإضراب، كأنهم قالوه بعدما وقفوا على حقيقة فعلهم، أي: إنا لضالون ليس مجرد إضاعة الصواب، بل حرمانا ثمر جنتنا أيضا بمنعنا الفقراء.

قال تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

أي: قال أعدلهم قولاً، لأنه ذكرهم بالحق وإن تبعهم بالعمل، ويبدو أنه كان حذرهم من الإقدام على الفعل، وحذفه من القصة للإيجاز.

وجملة الاستفهام للتقرير، و(لولا) للحث بمعنى: هلا، والتسبيح بمعنى ذكر الله والاتكال على مشيئته وعدم الصرم على أساس المنع، كأنه قال: اذكروا الله وأدوا شكره ولا تحرموا الفقراء من حقهم.

قال تعالى ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

القول منهم بصيغة التسبيح وإضافة الرب إلى نون جمعهم على سبيل الإقرار بأن ما وقع عليهم من عقاب ليس من ظلم من عنده تعالى، بل من عند أنفسهم وجنابتهم عليها حين عزلوا مشيئته مستقلين بالتعويل على الأسباب الظاهرية.

وجملة (إنا كنا ظالمين) لتعليل التسبيح، مبدوءة بحرف التأكيد لتحقيق إقرارهم بالذنب، وحذف المفعول من (ظالمين) لإفادة الإطلاق، أي ظلم أنفسهم بتعريضها للعقاب حين لم يستثنوا، وظلم الفقراء المحتاجين بمنعهم حقهم.

قال تعالى ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴾ (٣٠)

كلام متفرع على ما قبله، تفرع النتيجة على السبب، وإقبال بعضهم على بعض كناية عن حيرتهم وأسفهم، وجملة (يتلاومون) محلها الحال، وصيغة المضارع لاستحضار حالهم، والتلاوم إلقاء اللائمة، أي: لائمين بعضهم بعضا.

قال تعالى ﴿ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ (٣١)

القول منهم دعاء على أنفسهم بالويل والهلاك حين عرفوا فداحة فعلهم، والنداء على سبيل المبالغة، وجملة (إنا كنا طاغين) تقرير لما قبلها، وإقرار مؤكد على تجاوزهم الحد في الاتكال على الأسباب الظاهرية من دونه تعالى.

قال تعالى ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (٣٢)

قوله (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) دعاء منهم إلى ربهم يرجون فيه أن يبدلهم مكان جنتهم التي ضربها طائف من البلاء بخير منها.

قوله (إنا إلى ربنا راغبون) جملة بدل لجملة الرجاء في (عسى)، وحرف النسخ وتقديم (إلى ربنا) وإضافة لفظ الرب إلى نون أنفسهم دلالة رغبته في الإنابة إلى ربهم، أي: إنا راغبون إلى ربنا لا إلى غيره.

قال تعالى ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله (كذلك العذاب) أي: كذلك الذي ذكر من العقاب على أصحاب الجنة يكون العذاب الإلهي، على حين غفلة لا يتوقعه إن لم يؤد حق شكر نعم الله. قوله (ولعذاب الآخرة أكبر) عطف وقسم لتأكيد مضمون الإخبار، وكون عذاب الآخرة أكبر لأنه أشد إيلاما وأخلد دواما وليس كعذاب الدنيا.

قوله (لو كانوا يعلمون) الجملة مضمونها ذمهم، لأن نفي علمهم دال على جهلهم بحقيقة المقارنة بين عذاب الدنيا والآخرة، لأنهم لو كانوا يعقلون ذلك لما ظلموا.

قال تعالى ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

انتقال بالكلام إلى بيان حال المؤمنين بعد بيان حال المكذبين، لفائدة الترغيب بعد التهيب، ولتأسيس الجمل الإنكارية بعده.

والمتقون الذين آمنوا فعملوا بإيمانهم، فهم أعلى درجات الإيمان، واللام المقترن به للتخصيص، والظرف (عند ربهم) وإضافة لفظ الرب إلى ضمير أنفسهم للتشريف وكرامة المنزلة، لإخلاصهم في عبودية ربهم،

و(جنات النعيم) أعلى درجات الجنان، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته.

قال تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٥)

الاستفهام للإنكار تقدم على فاء التفریع لصدارته في الكلام، والمقصود بالإنكار إنكار التساوي في الكرامة والجزاء عند الله تعالى، ووضع لفظ المجرمين مكان لفظ المشركين لتسجيل فعل الإثم والإجرام عليهم، ولبيان علة نفي التساوي، وذلك لأن المشركين كانوا يقولون: إن كان بعث وجزاء، كما يقوله محمد فإن حالنا يكون أفضل في الآخرة، كما في الدنيا، فأخبر سبحانه أن ذلك لا يكون أبداً.

قال تعالى ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (٣٦)

الالتفات في الكلام من الغيب إلى الخطاب لمناسبته وشدة تقریع المشركين، والاستفهام بـ (ما لكم) بمعنى: أي شيء ثبت لكم، فهو استفهام فيه دلالة التوبيخ للمشركين، واسم الاستفهام (كيف) مجرد من السؤال لفائدة بيان الحال، ومعنى (تحكمون): تفصلون في الكلام، وتقطعون في خبره، إذ لا عقل يحكم بالتساوي بين المتقين والمشركين في دار الجزاء.

قال تعالى ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ (٣٧)

(أم) منقطعة بمعنى: بل، وتفيد الإضراب من توبيخ إلى توبيخ، ومن إنكار إلى إنكار، لأن همزة الاستفهام تقدر بعدها بمعنى: بل ألكم، والكتاب يقصد به وثيقة من كتاب سماوي منزل من الله تؤيد زعمهم بتساويهم مع المتقين في الكرامة عند الله في يوم الحساب، ولذا نكر (كتاب) لإفادة نوعية من الكتب، وتقديم (فيه) للعناية، وفعل الدراسة بمعنى القراءة، ولازمه التمسك به وعدم العمل بخلافه، وصيغة المضارع لافتراض حكاية الحال.

قال تعالى ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

الجملة متعلقة بـ (تدرسون) مفعول للفعل محلا، أي: تقرأون ما تشتهونه وتتخيرونه في الكتاب، وكسر (إن) مع أن حقها الفتح لدخول اللام على خبرها، أو لحكاية المدروس.

واللام في (لكم) للملك، والهاء في (فيه) راجع إلى (كتاب)، واللام في (لما) واقع في خبر (إن) للتأكيد، و(ما) اسم موصول، والفعل (تخيروا) تخفف التاء بمعنى: تتخيرون، والتخير أخذ خير الأشياء.

قال تعالى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة) في الكلام تهكم واستهجان بعقول المشركين، والمعنى: بل ألكم عهود منا مؤكدة ثابتة لكم كائنة إلى يوم القيامة، لا نخرج من عهدها فنحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون.

ولفظ الأيمان جمع يمين وهو القسم، وتتكبرها للتعظيم، أي: أيمان مغلظة مؤكدة، مجاز لإفادة العهود والمواثيق من باب إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، و(علينا) يفيد الاستحقاق والفرض، و(بالغة) وصف لـ (أيمان) أي: واصل أثرها إلى يوم القيامة لكثرتها إشارة إلى أنها لا تبطل.

قوله (إن لكم لما تحكمون) جملة جواب القسم لأن معنى (أم لكم علينا أيمان): أقسمنا إن لكم للذي تحكمون لأنفسكم من التساوي والأفضلية على المسلمين.

قال تعالى ﴿سَلِّمْ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾

الأمر في (سلمهم) للنبي ﷺ للإعراض عن مخاطبة المشركين بعد تقرير سفاهة عقولهم، وإسقاط رتبهم عن المخاطبة، ولتوخي أفانين الخطاب في بيان جهالتهم والتهكم بهم، والمعنى: سلمهم أيها النبي على سبيل تبكيتهم أيهم كفيل بذلك القول، لأن الآيات أبطلت جميع الاحتمالات التي قد تقوي حجة الكافرين، سواء كانت من جهة العقل الذي رد عليه في قوله (أفنجعل المسلمين كالمجرمين)، أو من جهة النقل في قوله (أم لكم كتاب فيه تدرسون)، أو من جهة المشافهة وهو قوله تعالى (أم لهم أيمان بالغة).

و(أي) في (أيهم) اسم استفهام معلق عن العمل لوقوعه وسط الجملة، وتقدم شبه الجملة (بذلك) على عامله للناية به، واسم الإشارة لاختصار مزعمهم وإحضاره كأنه مشار إليه، و(زعيم) معناه: كفيل القوم الذي يزعم عنهم.

قال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤١﴾

قوله (أم لهم شركاء) أي: بل ألهم شركاء، وسمتهم الآية شركاء على سبيل التهكم بما زعموا لأصنامهم الشراكة مع الله في الربوبية.

قوله (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) الفاء لتفريع الأمر على الإنكار، أي: فليحضروا شركاءهم ليشهدوا لهم على صدق دعواهم لتقوم به حجتهم إن كانوا صادقين في زعمهم، وهو إبطال منطقي آخر لما قد يفترضوا من حجة.

قال تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾

﴿٤٢﴾

قوله (يوم يكشف عن ساق) الظرف (يوم) متعلق بالفعل المحذوف: واذكر، وهو يوم القيامة، أو متعلق بالفعل (فليأتوا) لما ذكر أمر شركائهم الذين يزعمون دائما أنها تنصرهم وتشفع لهم.

والتركيب أعني قوله (يكشف عن ساق) يراد به حسابهم يوم القيامة، حيث إحقاق الحق وإبطال الباطل، وأصله التشمير عن الثوب لطلب خفة الحركة وقت الشدة، فاستعمل لذلك للكناية عن اشتداد الأمر، ومنه قول دريد بن الصمة:

كميشُ الإزار خارجُ نصفِ ساقه بعيدُ من الآفات، طلاعُ أنجد

وفي المجمع: قال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله (يوم يكشف عن ساق) فقال: إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: وقامت الحرب بنا على ساق، هو يوم كرب وشدة. انتهى.

وقد ذهب بعض المفسرين بعيدا عن الكناية، فأدخل الآية في باب التشبيه البعيد عن مضمونها وروحها، كما في الدر المنثور وغيره لمن يرغب بالاطلاع.

قوله (ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) أي: ويطلب إليهم السجود لله في ذلك اليوم، لتوبيخهم، فلا يستطيعون، أي أنهم يريدون السجود لأنهم في يوم انكشاف الحقائق الإلهية، فيعجزهم الله لإظهار ما كانوا عليه في حياتهم الدنيا من رفض للسجود لله في عبادته والخضوع له، فيزيد ذلك في تندمهم وحسرتهم على ما فرطوا، فالدعوة إلى السجود بمنزلة الاستدراج لهم لإخرائهم على رؤوس الأشهاد.

قال تعالى ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ

سَاقِطُونَ ﴿٤٣﴾

قوله (خاشعة أبصارهم) النصب على الحال من نائب الفعل في (يدعون)، وإسناد الخشوع إلى الأبصار للمبالغة في شدة خفضها على سبيل المجاز

العقلي، للمبالغة في شدة خفضها، ذلة وخزيا مما ينكشف لهم من سوء أعمالهم في الحياة الدنيا.

قوله (ترهقهم ذلة) حال ثانية من نائب الفاعل في (يدعون)، والفصل لاتحاد المعنى لما قبلها، والرهق الغشيان، أي: تعلو وجوههم ذلة التعب والاكتئاب من سوء المنقلب.

قوله (وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون) الواو للحال، والإظهار لجملة (يدعون إلى السجود) لزيادة التقرير، أي: والحال أنهم في الحياة الدنيا كان الرسل يدعونهم إلى الإيمان بالله والسجود له وحده من دون شريك وهم في حال من سلامة الأبدان والعاهات، فلا يجيبون.

ومضي الكون للإشارة إلى ما كانوا عليه من كفر في حياتهم الدنيا، ولفظ السجود كناية عن الإيمان بالله وعبادته، وجملة (وهم سالمون) محلها الحال، أي: قادرون يقوون على العبادة، لأنهم في عالم الاختيار، قبل أن يطبع عناد الكفر والاستعلاء على قلوبهم فيمنعهم من السجود لله، وهذا المعنى روي عن الباقر والصادق عليهما السلام، في قوله: وروي عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالاً في هذه الآية: أفحم القوم، ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة، وقد كانوا يدعون إلى السجود، وهم سالمون أي: يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، ولذلك ابتلوا. نقل في المجمع. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

قوله (فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث) الفاء لتفريع التهديد، والخطاب في الأمر للنبي ﷺ لتسليته عما لقي من المشركين، والأمر كناية عن التهديد الشديد، وإيكال الأمر إليه تعالى، فإن الله حسبه في كفايته أمر المكذب وإيقاع العذاب به والانتقام منه، ونحو هذا التركيب قوله تعالى (وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا) [المزمل: ١١]، وقوله سبحانه (ذرنى ومن خلقت وحيدا) [المدثر: ١١].

والواو في (ومن) للمعية كناية عن أن عذابه تعالى غير تارك له، وفعل التضعيف في (كذب) للتكثير، والتكذيب الإنكار والجحود، و(هذا) لإشارة القريب يفيد التعظيم، ولفظ الحديث إشارة إلى القرآن، لأن القرآن حديث الله وكلامه.

قوله (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) الفصل لتعليل الأمر، ومضير الجمع في (سنستدرجهم) باعتبار المعنى الجمعي لـ (من) في قوله (ومن يكذب)، والاستدراج بمعنى استنزاهم درجة درجة حتى يقعوا في ورطة الهلاك من حيث لا يعلمون، لأنه من طريق النعم التي يتصورونها سعادة لهم وإثارا وتفضيلا على المؤمنين، فيؤتيهم نعمة إثر نعمة كي ينشغلوا بها عن شكر المنعم، فيزدادوا ضلالا، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إن

الله إذا أراد بعبد خيرا فأذنب ذنبا أتبعه بنقمة وذكره الاستغفار، فإذا أراد بعبد شرا فأذنب ذنبا أتبعه بنعمة لينسيه الاستغفار ويتمادى بها، وهو قول الله عز وجل: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) بالنعمة والمعاصي. ذكر في الكافي. انتهى.

قال تعالى ﴿وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ﴿٤٥﴾

قوله (وأملى لهم) الجملة بيان لجملة الاستدراج، والإملاء الإمهال، واللام في (لهم) بمعنى: لأجل انتفاعهم، والمعنى: وأبادر لإعطائهم نعمة بعد نعمة لينشغلوا بها عن شكري فتزيدهم طغيانا وضلالا، ومنها إطالة أعمارهم، وتأخير عقابهم.

قوله (إن كيدي متين) تعليل لجملة الإملاء، وسمى رفع لطفه تعالى عنهم كيذا لما في الإنعام عليهم من خفاء وقوع الضرر عليهم، لأنهم يحسبونه انتفاعا بينما فيه هلاكهم، فهو في صورة الكيد، ووصفه بالمتين أي القوي الذي لا يوقف عليه ولا يدفع بشيء.

والالتفات من ضمير الجمع في (سنستدرجهم) الدال على العظمة باعتبار كثرة الأعوان، إلى ضمير التكلم في (أملى، كيدي) لاختصاصه تعالى بتأخير الأجل وإنزال العذاب، فهو من مراعاة الأدب التوحيدي.

قال تعالى ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُّقْتَلُونَ﴾ ﴿٤٦﴾

قوله (أم تسألهم أجرا) أم: - كما تقدم - منقطعة للانتقال من إضراب إلى آخر لإبطال معاذير المكذبين، أي: بل أطلب منهم أجرا عوضا عن الإيمان بالتوحيد فقالوا ما قالوا بالتسوية والإنكار.

قوله (فهم من مغرم مثقلون) أي: فهم بسبب ثقل الغرامة أنكروا النبوة حتى يتخلصوا من عبء ثقل الأجر.

والفاء للتفريع على الإنكار، و(من) ابتدائية في معناها السبب، و(مغرم) مصدر ميمي مثل الغرامة، وهي أداء المال المفروض على الغير لغير عوض ولا جناية، وتقديم (من مغرم) للعناية والاهتمام، واسم المفعول (مثقلون) أي: محملون ثقل الغرامة، استعارة لمشقة ثقل دفع الغرامة.

قال تعالى ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٤٧)

الظرف (عندهم) بمعنى الملك، وتعريف لفظ الغيب يفيد الإطلاق، وهو مطلق العلم بالغيوب، والمعنى: أم بيدهم علم الغيب، وأمر القضاء والقدر، فهم يقضون لأنفسهم التسوية مع المسلمين في المنزلة يوم القيامة.

والفاء في (فهم يكتبون) لتفريع المسبب على السبب، والكتابة التوثيق، أي يفرضون لأنفسهم ما شأوا ورغبوا لأنهم ملكوا الغيب، ولا يخلو الكلام من تهكم بعقول المكذبين وتسفيه.

وقال السيد في الميزان: وإنما أُرِّ ذكر هذا الاحتمال عن غيره، حتى عن قوله: (أم تسألهم أجرا)، مع أن مقتضى الظاهر أن يتقدم عليه، لكونه أضعف الاحتمالات وأبعدها. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨﴾

قوله (فاصبر لحكم ربك) الفاء للتفريع، والأمر للنبي ﷺ، والصبر أصله حبس النفس على ما تكره احتماله، وفيه حث له ﷺ على تثبيت النفس أمام مشاق المشركين وشدة مطاعنهم لدعوته.

ويجوز أن تكون اللام في (لحكم ربك) بمعنى (إلى)، وحكم الله أمره تعالى في الاستدراج والإملاء للكافرين، وعدم استعجال إنزال العذاب فيهم، وإضافة الرب إلى كاف خطاب النبي ﷺ للتذكير بأن من كمال العبودية التزام أوامره تعالى لما فيها مصلحة العبد.

قوله (ولا تكن كصاحب الحوت) أي: ولا يكن شأنك كشأن يونس حين ابتلي بضيق الصدر والغم فتعجل إحلال العذاب في قومه قبل أوانه الذي يقدره الله تعالى.

والنهي في الكلام نهى عن السبب المؤدي إلى التشبيه بحالة صاحب الحوت، وهو ضيق الصدر وتعجل إنزال العذاب، وسمي يونس بذلك لملازمته الحوت الذي التقمه في اليم.

قوله (إذ نادى وهو مكظوم) الظرف متعلق بصاحب الحوت، بمعنى الحين، وفعل النداء إشارة إلى استغاثة يونس بربه، وهو قوله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) [الأنبياء: ٨٧].

وجملة (وهو مكظوم) محلها الحال من فاعل (نادى)، وعليها يدور النهي، لا على النداء، والمكظوم الممتلئ غيظا، المختنق به غما، جيء بها بصيغة الجملة الإسمية لدلالاتها على الثبات، والمعنى: لا تكن كصاحب الحوت وقت ندائه تعالى في بطن الحوت في حال امتلاء قلبه بالغم والحزن داعيا ربه الفرج مما ابتلي به.

قال تعالى ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ﴿٤٩﴾

قوله (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء) الكلام بمنزلة التعليل للنهي السابق، والأداة (لولا) أداة وجود لامتناع، أي: وجد التدارك فلم يحصل النبذ.

والتدارك الإدراك واللاحق، والهاء فيه راجعة إلى صاحب الحوت، ولفظ النعمة يراد بها نعمة قبول توبته تعالى، وتكثيرها للتعظيم، وشبه الجملة (من ربه) لاختصاص قبول نعمة التوبة به تعالى، و(من) ابتدائية، وإضافة الرب إلى ضمير صاحب الحوت لبيان علة تداركه بالنعمة كونه مربوبه تعالى الذي يراعي عبده ويحفظه ويقبل توبته.

واللام في (النبذ) واقعة في جواب (لولا)، والنبذ الطرح والرمي، والعراء الأرض الخالية من النبات والظل والبناء.

قوله (وهو مذموم) جملة حالية، أي ملوم غير ممدوح، ولكن الله أدركه بنعمته.

قال تعالى ﴿ فَأَجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

قوله (فاجتباه ربه) الفاء لتفريع المسبب على السبب، والاجتباء الاصطفاء بأن رد إليه الوحي وأرسله إلى أهل نينوى وهو قوله تعالى (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) [الصافات: ١٤٧]، وذكر لفظ (ربه) للعناية بسبب الاجتباء.

قوله (فجعله من الصالحين) الفاء لترتيب الأثر على الاجتباء، وهو أن جعله سبحانه في عداد الصالحين من عباد.

ولا تنافي بين المعنيين في هذه الآية التي نحن فيها وبين قوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) [الصافات: ١٤٤]، على اعتبار اختلاف المقتضيين، فإن مقتضى هذه الآية أن يطرح بالعراء مذموما لولا أن تداركته نعمة من ربه فلم ينبذ، ومقتضى آية الصافات أن يبقى في بطن الحوت إلى يوم القيامة لولا ما كان عليه من دوام التسبيح. نقل من الميزان بتصرف.

قال تعالى ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٥١﴾

قوله (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) الكلام من آثار رعايته تعالى لنبيه ﷺ، مما لا يتبين ظاهره، لذلك خوطب به، وهو حفظه تعالى من أثر أعين المشركين المليئة بالحسد والبغضاء التي تريد به إيقاع الهلاك.

و(إن) مخففة من الثقيلة، و(يكاد) من أفعال المقاربة، بمعنى: قاربت أعين المشركين الحاقدة أن توقعك بالهلاك لولا حفظ الله ورعايته لك.

واللام في (ليزلقونك) اللام الفارقة واقعة في خبر (إن)، والإزلاق إيقاع الآخرين في الزلق، والهلاك، والباء في (بأبصارهم) للاستعانة، والأبصار جمع بصر، والمراد بإزلاقه بالأبصار الاستعارة بالكناية عن الإصابة بالأعين لإيقاع الصرع والإهلاك، وذكر الفراء في المعاني: قيل: إن الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة أيام، ثم كان يصفه فيصرعه بذلك، وذلك بأن يقول للذي يريد أن يصيبه بالعين: لا أرى كالיום إبلًا، أو شاء أو ما أراد أي كإبل أراها اليوم. فقالوا للنبي كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين. انتهى.

وجاء في الخبر أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين. نقل في المجمع. انتهى.

وجملة (لما سمعوا الذكر) ظرفية مقيدة للإزلاق، والذكر هو آيات القرآن، الدالة على أعاجيب الإخبارات والغيوب، وعلى نبوته ﷺ واصطفائه تعالى له من بين الناس.

قوله (ويقولون إنه لمجنون) أي: ويقول الكافرون لما سمعوا الذكر إنه لمجنون به مس من الشياطين، في دلالة على أن قول الكافرين أرادوا به رمي القرآن بأنه من إلقاء الشياطين.

ومن بديع النظم في السورة أن افتتحت بنفي الجنون عن النبي ﷺ في قوله تعالى (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)، واختتمت به، بما يقرب من رد العجز على الصدر كما يسمى في فنون علم البديع.

قال تعالى ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾

رد من الله تعالى على قول الكافرين في موضع الحال من فاعل (يقولون)، وجيء بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء لتحقيق معنى إن القرآن ذكر للعالمين لا مس من الشياطين.

وضمير الفصل (هو) عائد إلى القرآن المفهوم من لفظ الذكر، و(ذكر)
مصدر للمبالغة في التذكير بالله وعقابه، واللام في (للعالمين) أي: لأجل
العالمين جميعهم.

سورة الحاقة

مكية، وهي اثنتان وخمسون آية

غرض السورة إثبات وقوع القيامة، والتحذير من أهوالها، فقدمت له بذكر بعض الأمم البائدة المنكرين لها، وذكرت أحوال الناس فيها فصنفتهم قسمين: من أوتي كتابه بيمينه وهم السعداء، ومن أوتي كتابه بشماله وهم الأشقياء، واختتمت بتقرير القرآن لأخبارها، وأنه تنزيل من رب العالمين.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قال تعالى ﴿ الْحَاقَّةُ ۝۱ مَا الْحَاقَّةُ ۝۲ ﴾

لفظ الحاقة صفة ليوم القيامة، بمعنى القارة الثابتة الواجبة، التي لا شك في حدوثها، مأخوذ من الحق، غلبت على الموصوف للإشعار بكمال ظهور صفتها فجرت مجرى الاسم، وهي مبتدأ خبرها الجملة الاستفهامية بعدها، فـ (ما) للاستفهام، وإعادة اللفظ فلم يقل: ما هي، للتفخيم.

وفي آيات الكتاب تأكيد شديد على حتمية حصول القيامة وتعظيم أمرها وتفخيم حقيقتها بصيغ مختلفة وبأوصاف شتى، وذلك للرد على الإنكار الشديد للمشركين لها.

قال تعالى ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝۳ ﴾

أي: وأي شيء أعلمك ما الحاقة، أو كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها، والخطاب لغير معين، وكما نقل الشيخ في المجمع: يقال للمعلوم ما أدراك، ولما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن، وإنما قال لمن يعلمها (ما أدراك) لأنه إنما يعلمها بالصفة. انتهى.

و(ما) الأولى نافية، والثانية استفهامية معلقة عن العمل لوقوع جملتها مفعولا ثانيا للفعل (أدري)، والجملتان تفخيم على تفخيم ليوم القيامة وأهميتها وكون أمرها خارج دائرة علوم المخلوقات، لأنها لشدة أهوالها فوق تصور البشر.

قال تعالى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارَعَةِ ۝٤﴾

الجملة وما بعدها بيان للحاقة ببعض صفاتها، بمنزلة جواب السؤال في قوله (ما الحاقة)، لأن استئصال أمة ثمود وأمة عاد بسبب تكذيبهم بالقارعة، وخص الأمتين بالذكر لأنهما من العرب البائدة مشهورين عند قريش.

والقرع أصله ضرب شيء على شيء، ووضع القارعة مكان الحاقة للتهويل، فهي تفرع الناس بأهوالها، والسماء بانشقاقها، والأرض بنسفها، والجبال بدكها، والنجوم بطمسها.

قال تعالى ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

الفاء لتفريع التفصيل على التكذيب بالقارعة، و(أما) حرف شرط، جوابه (فأهلكوا بالطاغية) وضمير الجمع في الفعل باعتبار معنى القبيلة أو القوم في لفظ (ثمود)، والمعنى: أهلكهم الله بالواقعة التي تجاوزت الحد في صوتها، فلفظ الطاغية صفة لموصوف محذوف أريد لها الإظهار للمبالغة.

وبعض الآيات تسميها الصيحة نحو قوله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) [هود: ٦٧]، والرجفة كقوله (فأخذتهم الرجفة) [الأعراف: ٨٧]، والصاعقة كقوله (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) [السجدة: ١٧]، ولا تنافي بينها لأن مضمونها واحد.

قال تعالى ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ﴾

أي: وأما قوم عاد فقد أهلكهم الله بريح شديدة البرودة أو شديدة الصوت، شديدة العصف.

والباء في (بريح) للاستعانة، وتكثير اللفظ لنوعية ما سلط الله عليهم من ريح وصفت بأنها صرصر، أي شديدة البرودة، والصوت، وتكرار المقطع الصوتي في اللفظ يوحي بشدة اصطكاك الأسنان لبرودتها وهبوبها، ولفظ (عاتية) وصف آخر لريح، ونسبة العتو إليها على سبيل المبالغة مجاز عقلي، كأنها عتت على أهلها فلا يستطيعون ردها.

قال تعالى ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى
كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾

قوله (سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) تفصيل لكيفية إهلاك قوم عاد، والتسخير بمعنى التسليط، وحرف الجر في (عليهم) للتمكين، والحسوم جمع حاسم، وهو تكرار الكي مرات متتابة، صفة لـ (سبع ليال)، قال الراغب: الحسم إزالة أثر الشيء، يقال قطعه فحسمه، أي: أزال مادته، وبه سمي السيف حساما، وحسم الداء إزالة أثره بالكي، وقيل للشؤم المزيل الأثر منه ناله حسوم، قال تعالى: (ثمانية أيام حسوما) قيل: حاسما أثرهم، وقيل: حاسما خبرهم، وقيل: قاطعا لعمرهم، وكل ذلك داخل في عمومه. انتهى.

قوله (فترى القوم فيها صرعى) الفاء لترتيب الأثر على المؤثر، والرؤية للعيان، والخطاب في الفعل لغير معين، وتعريف القوم للعهد أي: قوم عاد، والظرفية (فيها) أي: في مهابها أو في لياليها وأيامها، و(صرعى) أي: مصروعين، منصوب على الحال، ومفرده صريع، وهو الميت.

قوله (كأنهم أعجاز نخل خاوية) الجملة في موضع الحال من (صرعى)، والتشبيه لتمثيل صورة صرعهم، والأعجاز جمع عجز وهو نهاية الشيء، ويراد به أصول النخل بعد أن تيبس وتقلع، و(نخل) اسم جنس، يقال للمفرد والجمع، و(خاوية) وصف لـ (نخل) أي: جوفاء متأكلة، والإفراد فلم يقل:

خاويات، باعتبار ظاهر لفظه، وقد كان قوم عاد موصوفين بالجسامة والطول، لذا لا يخلو التشبيه من إشارة إلى ذلك، ونظير الآيتين قوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر، تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) [القمر: ١٩ - ٢٠].

قال تعالى ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ﴿٨﴾

الفاء للتفريع، والاستفهام مجازي يفيد النفي، أي: لا ترى لهم أي نفس باقية، فقد شملهم العذاب فأتى على آخرهم.

والخطاب في (ترى) نظيره في (فترى القوم) لكل مخاطب، وتقديم (لهم) للاهتمام، وحرف الجر (من) مزيد لتقوية نفي العموم، و(باقية) صفة لموصوف تقديره: نفس باقية، وهو أوفق ممن قال بأنه مصدر بمعنى: بقية.

قال تعالى ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ ﴿٩﴾

فعل المجي بالخطئة مجاز من تتابع الأمم المكذبة للحاقة، باعتبار تكذيبها لرسالتها، والمراد بـ (فرعون) فرعون زمان موسى عليه السلام، وجملة الموصول (ومن قبله) أي الأمم المكذبة التي تقدمته زمانا، ولفظ (المؤتفكات) يراد به أهل قرى قوم لوط، الذين أهلكهم الله بعذاب الاستئصال.

وشبه الجملة (بالخطئة) متعلق بالفعل (جاء) تأخر لبلاغة النظم بإدخال المعطوفات بينه وبين عامله، والخطأ نقيض الصواب، صفة لموصوف

مؤنث محذوف تقديره: الأفعال الخاطئة كال كفر بالله والشرك به وتكذيب
البعث والقيامة.

قال تعالى ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَابِيَةً﴾

قوله (فعصوا رسول ربهم) الفاء للترتيب الذكري، وضمير الجمع في
(عصوا) عائد إلى فرعون ومن قبله والمؤتفكات، ولفظ الرسول للجنس،
أي: فعصى كل أمة رسولها، وإضافة الرب إلى ضمير غائب الأمم لبيان
الحجة عليهم كونهم مربوبين تسخيرا له تعالى.

قوله (فأخذهم أخذة رابية) الفاء لتفريع الأثر على العصيان، وفعل الأخذ
كناية قرآنية عن الإهلاك، والفاعل عائد إلى الله تعالى، واشتقاق المفعول
المطلق (أخذة) من الفعل لبيان نوعية الأخذ وتفخيمه، و(رابية) صفة لـ
(أخذة) أي: زائدة في الشدة كما زادوا في العصيان، وربما الشيء زاد.

قال تعالى ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ﴾

إخبار يفيد الامتنان لمقابلته بالشكر لا العصيان والجحود، والابتداء بحرف
النسخ في (إننا) للناية بالمضمون، و(لما) حرف شرط يفيد التوقيت،
وطغيان الماء كناية عن طوفان نوح عليه السلام، وإسناد الفعل إلى الماء على
سبيل المجاز العقلي للمبالغة، وجملة (حملناكم) جواب الشرط، وفعل الحمل
كناية عن رفعهم فوق الماء مستقرين على ظهر السفينة، وخطاب الجمع

فيه مع أن المحمولين نوح وخاصة أهله وقلة من آمن به، لكون الأخلاف المخاطبين من جنس الأسلاف الماضين.

وحرف الجر (في) للملابسة الظرفية، ويفيد الحال، أي: مستقرين آمنين، ولفظ الجارية صفة للفظ السفينة، غلبت على العلم لظهور صفتها، فهي استعارة من الجري، لسهولة مشيها على الماء.

قال تعالى ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ ﴿١٢﴾

قوله (لنجعلها لكم تذكرة) جملة غائية لفعله الحمل في الجارية والإنجاء، والإغراق لقوم نوح، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، والتذكرة التذكير، ويراد به الوعظ والاعتبار، وتنكيره للتعظيم.

قوله (وتعيها أذن واعية) جملة تعليل ثانية، أي: ولتعيها، وفعل الوعي مجاز في الحفظ والتثبيت وعدم الغفلة، والأذن الواعية كناية عن النفس الحافظة التي من شأنها التفكير بدلائل الله وآياته، وتنكير (أذن) للقلة، والإشعار بأن من هذا شأنه يتسبب بنجاة جم غفير من الناس وإدامة نسلهم.

وإسناد التذكرة لله، والوعي للأذن، لإفادة أن الهداية وهي مقتضى التذكرة من الله تعالى، والعمل وهو مقتضى الوعي من العبد.

وصح في التفاسير كالطبري ومن بعده، ما روي عن مكحول أنه: لما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: اللهم اجعلها أذن علي، ثم قال علي عليه السلام: فما سمعت شيئا من رسول الله ﷺ فنسيته، وما روي عن بريدة الأسلمي أن

رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: يا علي، إن الله تعالى أمرني أن أدنيك ولا أقصيك، وأن أعلمك وتعي، وحق على الله أن تعي، فنزل (وتعيها أذن واعية). انتهى.

أقول: وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام مفرقا بين علم الغيب وعلوم الأنبياء: وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي. انتهى. وفيه قوله: أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ، زاد مبلغ، ومعاذ منجح، دعا إليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها وفاز واعيها. انتهى. أقول: قيل: عنى بقوله: أسمع داع: الرسول ﷺ، وعنى بقوله: خير واع: نفسه عليه السلام. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ﴿١٣﴾

الفاء لتفريع الانتقال بالكلام من عاقبة تكذيب الأمم إلى التعريف ببعض أشرط الحاقة، وما يقع فيها.

والنفخ في الصور كناية عن إعلان القيامة، وانتهاء عالم التكليف في الحياة الدنيا، وإسناد النفخ إلى الفعل المبني للمجهول (نفخ) على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، كما يقال: جن جنونه، وتوصيف النفخة بالوحدة كناية عن يسر ذلك على الله، ويبدو من السياق أن المراد بها النفخة التي يحيي الله بها الموتى ويبعثهم من القبور إلى الحساب.

قال تعالى ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ ﴾ (١٤)

فعل الحمل بمعنى رفع الأرض والجبال من أماكنها ثم ضربهما بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا.

والفاء في (فدكتا) للتعقيب، والدك أشد الدق، وتنكير (دكة) لإفادة النوعية مفعول مطلق، ووصفه بالواحدة للإشعار بكمال القدرة الربانية، وأنها ضربة واحدة لا تثنى.

قال تعالى ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ ﴾ (١٥)

الفاء واقعة في جواب (إذا) الشرطية، والظرف (يومئذ) مركب مبني من يوم وإذ، ووقوع الواقعة قيام القيامة، واللفظان من بدیع التجنيس الاشتقاقي.

قال تعالى ﴿ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ ﴾ (١٦)

الكلام مجاز لتصوير اختلال نظام الكون يوم القيامة، وانشقاق السماء انفصال أجزاء الأجرام السماوية باختلال نظام علاقات الجذب فيها وارتطامها ببعض، والفاء في (فهى) لتفريع السبب للانشقاق، وهو وهىها أي ضعف بنائها، وفساد اتصال أجرامها ببعض، أو من الوهى بمعنى شق أديمها كما يشق الثوب البالي، والآية وما بعدها نظير قوله تعالى: (ويوم تنشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) [الفرقان: ٢٥].

قال تعالى ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ ﴿١٧﴾

قوله (والملك على أرجائها) أي: والملائكة على جوانب السماء بعد تشققها ووهيها، ولفظ الملك اسم جنس، يطلق على المفرد والجمع، وهنا استعمل للجمع، و(على) مجاز للاستعلاء والتمكين، والأرجاء الجوانب جمع رجا.

قوله (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي: ويحمل سلطان ربك فوق الملك الذين هم الأرجاء يومئذ ثمانية، وروي عن النبي ﷺ أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين، فيكونون ثمانية. ذكر في المجمع. انتهى.

والعرش كناية عن أمر الله وسلطانه المحيط بموجوداته سبحانه، والخطاب في (ربك) للنبي ﷺ والإضافة إضافة تشريف، وضمير الجمع في (فوقهم) بحسب السياق راجع إلى الملك باعتبار جمعه، والظرف (يومئذ) يراد به القيامة، والآية نظير قوله تعالى: (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً) [الفرقان: ٢٥].

وفي تفسير القمي قال: حمله ثمانية، أربعة من الأولين، وأربعة من الآخرين، فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام. انتهى. أقول: هذا إذا عاد الضمير في (فوقهم) إلى غير الملائكة.

قال تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿١٨﴾

قوله (يومئذ تعرضون) تكرار الظرف زيادة في التقرير، وصيغة المضارع لفعل العرض لاستحضار الحال، والعرض استعارة لإظهار ما خفي في السرائر من عقائد وما فعل من أعمال، كما يعرض البائع بضاعته للمشتري، قال تعالى (يوم تبلى السرائر) [الطارق: ٩].

قوله (لا تخفى منكم خافية) جملة حالية مبينة لما قبلها من ضمير (تعرضون)، في معنى قوله تعالى (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) [المؤمن: ١٦].

و(خافية) صفة لموصوف مؤنث محذوف تقديره: فعلة خافية، وبين (تخفى وخافية) محسن بديعي اسمه الجناس الاشتقائي.

وفي المجمع، فيما روي في الخبر عن ابن مسعود وقتادة: أن الخلق يعرضون ثلاث عرضات: اثنتان فيها معاذير وجدال، والثالثة: تطير الصحف في الأيدي، فأخذ بيمينه، وأخذ بشماله، وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه، فإنه عز اسمه العالم لذاته، يعلم جميع ما كان منهم، ولكن ليظهر ذلك لخلقه. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِۦ ۖ فَيَقُولُ هَآؤُمۡ أَقْرَءُوا كِتَابِيَهٗ ۚ ﴾

الفاء لتفريع التفصيل لأحوال الناس يوم القيامة وحصرهم بين شقي وسعيد، وتفيد (أما) الشرط التفصيلي، وإتيان الكتاب باليمين كناية عن المؤمنين الفائزين في يوم الحشر، والكتاب صحائف الأعمال التي دون فيها الملكان

أعمال العبد في عالم الدنيا، والفاء في (فيقول) للجزاء، والقول من المؤمن الذي أوتي كتابه بيمينه للملائكة كناية عن سعادته في حصد أجر ما عمل وافتخاره بتسجيل أعماله في كتابه، وتعجله للحساب للأمر بإدخاله الجنة.

واللفظ (هاؤم) أمر لجماعة الملائكة بمعنى: هاكم، على لغة أهل الحجاز كما قيل، ونصب (كتابه) لأنه مفعول به، تنازعه اسم الفعل (هاؤم) وفعل الأمر (اقرؤوا)، والهاء في (كتابه) تسمى هاء السكت والاستراحة، وكذلك ما بعدها من ألفاظ مشابهة.

قال تعالى ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّةٍ﴾ ﴿١٠﴾

الفصل لتعليل مضمون الأمر في جملة (اقرؤوا) من سعادة وحبور، أي: لأنني كنت على يقين من ملاقة حسابي ومجازاتي بالإثابة على الطاعة في الدنيا، وفعل الظن مستعمل بمعنى اليقين، والملاقي بمعنى الواجد، ولفظ الحساب مجاز لما يؤول من الثواب والجنة.

قال تعالى ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ ﴿١١﴾

الفاء للتفريع، والضمير (هو) عائد إلى الضمير في اسم الموصول في قوله (من أوتي)، و(في) للملابسة الظرفية بمعنى الاستقرار، والعيشة الحالة التي يعاش فيها، ووصفها بالراضية أي المرضية، مجاز عقلي للمبالغة، والمعنى: فهو مستقر في حالة من عيشة مرضية لقي فيها الثواب وأمن فيها من العقاب، وتكثير اللفظ للنوعية.

قال تعالى ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ ﴿٢٢﴾

بدل من (عيشة راضية)، أي: في جنة عالية القدر والمكانة، حيث فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال تعالى ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ﴿٢٣﴾

أي: قطوف الجنة، ومفردها قُطْفٌ، وهو ما يجتنى من ثمارها المختلفة، و(دانية) بمعنى قريبة في متناول اليد، أنى شاء.

قال تعالى ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ ﴿٢٤﴾

قوله (كلوا واشربوا) الأمران لإباحة الأكل من جميع ما يؤكل في الجنة، والشراب من جميع ما يشرب فيها، وضمير الجمع في الفعلين باعتبار المعنى.

قوله (هنيئًا) مصدر منصوب على المفعولية المطلقة، بتقدير: هنتم هنيئًا، أو أكلا وشربا هنيئًا، أو يفيد الحال، أي: كلوا واشربوا في حال من الهناء، لا كدورة فيه، من علل وغصص ونحوها.

قوله (بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي: بما قدمتم من أعمال صالحة في الحياة الدنيا، والباء للعوض، أو للسبب لتعليل الأمر، و(ما) اسم موصول، و(أسلفتم) بمعنى: عملتم، و(الأيام الخالية) أي: الأيام الماضية كناية عن أيام الدنيا التي تقضت.

قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ۖ﴾ ﴿٤٥﴾

وهم الكافرون الأشقياء، القسيم الثاني الذي يقابل المؤمنين يوم القيامة، يؤتون كتابهم بشمالهم إشارة إلى ما ينتظرهم من سوء العذاب، والعرب تنفعل باليمين وتنشأ بالشمال، والقول تمن يفيد التحسر والندامة لقبح ما في كتبهم من الأعمال التي اسودت لها وجوههم.

قال تعالى ﴿وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَةَ ۖ﴾ ﴿٤٦﴾

تمن ثان يقوله المجرمون الأشقياء، أي: ليتني لم أعرف أي شيء حسابي، لأنه لا شيء له فيه، بل كله عليه.

قال تعالى ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۖ﴾ ﴿٤٧﴾

تمن بعد تمن يقول الكافرون لما يشاهدون من أهوال القيامة، والهاء في (ليتها) راجعة إلى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، يتمنون لو أنها كانت القاطعة التي لا حياة بعدها، وقيل: إن الضمير في (ليتها) بمعنى: ليت الحالة التي هم عليها كانت القاضية بعدمهم فلا يعذبون بعدها.

قال تعالى ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ۖ﴾ ﴿٤٨﴾

إقرار من الكافر بخيبة سعيه في الدنيا، من حيث اعتقد أن ماله يدفع عنه كل عذاب ويجلب له كل سعادة، فاليوم تكشف له خطأ اعتقاده بتكذيب آيات الله وإنكار رسله، ولات حين مناص.

و(ما) نافية، وفعل الغنى بمنع المنع، لذلك تعدى بحرف التجاوز في (عني)، وتقديم شبه الجملة على عاملها للاهتمام.

قال تعالى ﴿ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ۝٢٩﴾

تعدية فعل الهلاك بحرف التجاوز (عن) لتضمنه معنى الإضلال والضياع، أي: ضل عني، ولفظ السلطان بمعنى الحجة، أي: ضل عني ما كنت أعتقده حجة، أو بمعنى الملك والتسلط، أي: هلك عني تسلطي وأمري ونهيي على ما كنت مسلطاً عليه فلا أمر لي اليوم ولا نهْي.

قال تعالى ﴿ حُذُوهُ فَغُلُوهُ ۝٣٠﴾

الأمر من حكاية الله يومئذ لخزنة النار، والفاء للتفريع، والغل بمعنى: وثاق إحدى يديه ورجليه إلى عنقه بجامعة.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾

أي: بعد الأخذ والغل أدخلوه النار العظيمة وألزموه إياها، وتفيد (ثم) التراخي الترتيبي، وتقديم المفعول (الجحيم) للاختصاص والاهتمام، والصلي إذاقة النار.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٣٣)

أي: بعد ذلك أدخلوه في سلسلة حديد طولها سبعون ذراعا ولفوها عليه حتى ترهقه فلا يتحرك داخل النيران.

وتقديم (في سلسلة) للاهتمام كتقديم لفظ (الجحيم)، ولفظ الذرع بمعنى الطول، ولفظ السبعين لكمال الإحاطة بالجسد، ونصب (ذراعا) على التمييز، والفاء في (فاصلكوه) واقعة في الجزاء لمعاملة شبه الجملة معاملة الشرط، فعل السلك يفيد إدخال الشيء بتكلف.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴾ (٣٣)

جملة تعليل لما تقدم من الأخذ والغل والتصلية، بطريق الاستئناف التحقيقي، وذلك لأنه كان في عالم الدنيا لا يؤمن بالله العظيم، وصفة العظمة للإشعار بأنه وحده المستحق لها.

قال تعالى ﴿ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (٣٤)

العطف علة ثانية للأخذ والغل والتصلية بالجحيم، وهو لأنه لا يحث على إطعام المسكين ولا يبالي لأمرهم.

قال تعالى ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ﴾ (٣٥)

الكلام من تفريع النتيجة على السبب، أي: لا يملك اليوم ههنا صديق حميم مقرب ينفعه ولا شفيع ينصره، إذ لا ينتصر أحد لكافر.

واللام في (له) لنفي الملك، وتقديمه للاهتمام، وتعريف اليوم للعهد أي: الظرف الذي هم فيه، والحميم الصديق المقرب، وتنكيره للعموم.

قال تعالى ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسْلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾

العطف بمعنى: وليس له طعام يؤكل اليوم إلا من غسالة أهل النار، وحرف الجر (من) للتبيين، و(غسلين) على ما قيل: صديد أهل النار وما ينزل من أبدانهم من قيح، وقيل في المجمع: إن أهل النار طبقات: فمنهم من طعامه غسلين، ومنهم من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الضريع، لأنه قال في موضع آخر (ليس لهم طعام إلا من ضريع)، وقيل: يجوز أن يكون الضريع هو الغسلين، فعبر عنه بعبارتين، عن قطرب، وقيل: يجوز أن يكون المراد ليس لهم طعام إلا من ضريع، ولا شراب إلا من غسلين. انتهى.

وفي شواهد التنزيل، أخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قوله: لو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لأنتن بأهل الدنيا. انتهى.

قال تعالى ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ﴿٣٧﴾

أي: لا يأكل هذا الطعام إلا الخاطئون الجائرون عن طريق الحق عامدين، ولفظ الخاطئ يفترق عن المخطئ - فاعل الخطأ - بالقصد والتعمد في فعل الخطيئة.

وذكر في الدر المنثور، عن صعصعة بن صوحان قال: جاء أعرابي إلى علي بن أبي طالب فقال: كيف هذا الحرف: لا يأكله إلا الخاطئون؟ كلُّ والله يخطو، فتبسم علي وقال: يا أعرابي (لا يأكله إلا الخاطئون) قال: صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كان الله ليسلم عبده، ثم التفت علي إلى أبي الأسود فقال: إن الأعاجم قد دخلت في الدين كافة، فضع للناس شيئاً يستدلون به على صلاح ألسنتهم، فرسم لهم الرفع والنصب والخفض. انتهى. أقول: معنى إشكال الأعرابي: أن جميع الناس تمشي وتخطو فهل طعامهم من غسلين، فصح الإمام عليه السلام ما أشكل عليه.

قال تعالى ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۖ وَمَا لَا تَبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾

الفاء لتفريع التقرير على مضامين ما سبق من أحقية الحاقة، وجملة نفي القسم للمبالغة في القسم، وجملة (ما تبصرون) مقسم به، دال على مطلق العالم المشهود، لأنه من آثار عظمته سبحانه فيما خلق، وجملة (وما لا تبصرون) مقسم به ثان، وهو العالم غير المشهود عالم الغيب، فيكون الإقسام بعالمي الغيب والشهادة فهو مجموع الخليقة التي أتقن الله صنعها، فأثنى عليها بأن أقسم بها، وبين الجملتين محسن بديعي اسمه طباق السلب.

قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾

جملة جواب القسم، تحقيقية لمضمونها، والهاء في (إنه) عائد إلى القرآن، ونسبته إلى النبي محمد ﷺ بما أنه رسول مرسل من الله، لا بما هو مستقل عنه سبحانه، وفيه تصديق لرسالته ﷺ، ورد على افتراء المشركين عليه بانه شاعر وكاهن، ولفظ الكريم بمعنى الجامع لخصال الخير، وأما القول بأن المراد بـ (رسول كريم) جبريل فيبيعه ظاهر السياق.

قال تعالى ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴾

قوله (وما هو بقول شاعر) أي: وما القرآن بقول شاعر، وما عرف عن النبي ﷺ، ولا قاله يوما، وقد كان ذلك من جملة افتراءات المشركين التي سجلها عليهم القرآن، قال تعالى (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر) [الأنبياء: ٥]، وقال سبحانه (أم يقولون شاعر) [الطور: ٣٠].

قوله (قليلًا ما تؤمنون) تسجيل على أهل مكة بأكثرية الشرك بالله وقلة من آمن بالنبي ﷺ وبرسالته، ونصب (قليلًا) على المفعولية أو الحال.

قال تعالى ﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

أي: وليس القرآن بقول كاهن، وذلك لأن مشركي مكة اتهموا الرسول ﷺ بالكهانة، وأنه يأخذ عن الجن آيات القرآن، وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله (وقالوا معلم مجنون) [الدخان: ١٤].

قوله (قليلا ما تذكرون) توبيخ بعد توبيخ للمشركين، وتأکید لغفلتهم، وقال البيضاوي في تفسيره: ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية، والتذكر مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند، بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه الصلاة والسلام ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم. انتهى.

قال تعالى ﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾

أي: بل القرآن تنزيل من رب العالمين، ولفظ التنزيل مصدر استعمل للمبالغة وأريد به منزل، و(من) ابتدائية، والإتيان بـ (رب العالمين) لإفادة تعظيم التنزيل، كونه تعالى المالك الموجد للعوالم كلها.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

جملة افتراضية، و(لو) أداة امتناع لامتناع، والتقول الاختلاق، والتعديعية بحرف الاستعلاء لتضمنه معنى الافتراء، وسمي الافتراء تقولا، لأنه قول متكلف، و(بعض الأقاويل) أي: بعض الأقوال التي تنسب إلى القرآن وليست منه، وتسميتها أقاويل للتحقير لأنها مفتراة، والأصل كأنه جمع أفعولة من القول، مثل أضحوكة أضاحيك.

وجملة (لأخذنا) جواب (لو) الممتنعة، وفعل الأخذ بمعنى الإمساك بقوة اليد اليمين، أو بمعنى لقطعنا منه اليد اليمين، و(من) في (منه) تفيد التبعية، والهاء راجعة إلى النبي ﷺ، وكذا في الآية التي بعدها.

قال تعالى ﴿ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۚ ﴾

أي: ثم بعد ذلك الأخذ لقتلناه لتقوله علينا، ولفظ الوتين رباط القلب، أو هو كما قال الراغب: عرق يسقي الكبد، وإذا انقطع مات صاحبه. انتهى.

قال تعالى ﴿ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾

الفاء للتفريع، أي: فما يستطيع أحد منكم أن يحجزه عن عقابنا، و(من) الأولى في (منكم) تفيد الجنس متعلقة بـ (من أحد)، و(من) الثانية مزيدة لتأكيد عموم النفي، وتقديم (منكم) و(عنه) للاهتمام، ولفظ (حاجزين) بمعنى حاجبين مانعين، وأصل الجملة: فما أحد منكم حاجزين عنه.

والآيات الثلاث السابقة في ظاهرها تهديد للنبي ﷺ في حال تقوله على الله ما ليس في القرآن، وحاشا النبي ﷺ وقد وصفه الله تعالى بأنه (رسول كريم) أن يأتي بما ليس من عند الله، وفي مضمونها تصديق لرسالته وتأكيد لصحة غيب التنزيل، لأنه لو كان مما ليس من الله لفعل الله تعالى ما قال وليس يمنعه أحد من الحاجزين، والكلام - كما قال السيد في الميزان - في معنى قوله تعالى (لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) [الإسراء: ٧٥]، وكذا قوله في الأنبياء بعد ذكر نعمه العظمى عليهم: (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعلمون) [الأنعام: ٨٨]، وقال العلامة الطباطبائي: فلا يرد أن مقتضى الآيات أن كل من ادعى النبوة وافترى

على الله الكذب أهلكه الله وعاقبه في الدنيا أشد العقاب، وهو منقوض ببعض مدعي النبوة من الكذابين، وذلك أن التهديد في الآية متوجبة إلى الرسول الصادق في رسالته لو تقول على الله ونسب إليه بعض ما ليس منه لا مطلق مدعي النبوة المفتري على الله في دعواه النبوة وإخباره عن الله تعالى. انتهى.

قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَتَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٤٨﴾

أي: وإن القرآن لتذكرة للمتقين، ولفظ التذكرة والذكر بمعنى واحد، واللام في (المتقين) بمعنى الغاية، أي: لأجل المتقين، وخص المتقين بالذكر لأنهم الأجدر بالانتفاع بتذكرة القرآن ومواعظه، والمعنى: وإن هذا القرآن تذكرة ينتفع بها المتقون، يذكرهم بحقائق المبدأ والمعاد فيصلون بها مرتب عليا في تقوى ربهم ويعرفهم بمنزلهم عنده سبحانه في جنته، وإذا كان هذا القرآن بهذا الأثر من التذكرة للمتقين فهو منزله عن الفرية والتقول.

قال تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ ﴿٤٩﴾

الخطاب في الآيات لمشركي مكة، والإخبار المحقق مضمونه التهديد، و(من) في (منكم) للتبعيض، وهم عتاة قريش وأئمة الضلال، ولفظ المكذب المفترى على الله ورسوله، المنكر لآيات الله.

قال تعالى ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٥٠﴾

أي: وإن القرآن ليكون حسرة على الكافرين يوم القيامة، لأنهم فوتوا الإيمان به وأضاعوا اكتساب ثوابه، فسيعود حسرة عليهم عند مشاهدتهم ثواب المؤمنين بينما يؤمر بهم إلى إدخال نار العذاب.

قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿٥١﴾

أي: وإن القرآن لحق اليقين، لا ريب في صحته، والإضافة للمبالغة وأصلها: لليقين الحق، لأنه تنزيل صادر من الله تعالى، نزل به الروح الأمين.

قال تعالى ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٥٢﴾

الفاء للتفريع، والأمر للنبي ﷺ، أي: فنزه اسم ربك عن الرضا بالتقول عليه، واشكره لأنه بعثك بالنبوة وأيدك بالتنزيل.

والتسبيح تنزيه الله عما لا يليق بساحة قدسه، والباء في (باسمك) مزيدة للتأكيد، وصفة العظيم لمكان عظمته سبحانه، وبيان حجة الأمر بالتسبيح.

سورة المعارج

مكية، وهي أربع وأربعون آية

غرض السورة بيان صفة يوم القيامة، خلصت إليه من مناسبة سؤال السائل المستهزئ عذابا من الله للكافرين وصفته بأنه واقع ليس له دافع، قريب حتمي الوقوع، ثم تصف أحوال أهل النار فيه، وتستثني المؤمنين المصلين الذين أثنت عليهم الآيات بجميل النعوت.

والسورة مكية يشهد لها سياقها، إلا قوله (والذين في أموالهم حق معلوم)، وما يتصل بها من الآيات بعدها، فإنها مدنية، وسؤال افتتاح السورة يشي بمدنيتها أيضا، فقد روي أنها نزلت في قول القائل: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) [الأنفال: ٣٢]، ويبدو الاختلاف واضحا بشأن نزول السورة، فقد نسب إلى ابن عباس إنها نزلت بعد سورة الحاقة، وبعض مضامين السورة كما ذكر صاحب الميزان يدل على النفاق الناشئ في المدينة.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾

تعديّة فعل السؤال بالباء دال على أنه سؤال طلب واهتمام على سبيل الاستهزاء، وليس سؤال استعلام واستخبار، أي بمعنى: دعا داع به، وهو

يؤيد انطباق السورة على سبب نزولها في قول القائل: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) [الأنفال: ٣٢].

وبين (سأل وسائل) جناس اشتقافي، وإبهام اسم السائل على عادة الأسلوب القرآني في تجاهل غير الغرض من الإخبار، وتتكير لفظ العذاب للنوعية، وتوصيفه بأنه (واقع) أي: حتمي سواء دعا به أو لم يدع، يفيد التهمك بالسائل.

وفي مناسبة الآية، ذكر الشيخ في المجمع بإسناده عن سفيان بن عيينة، عن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: لما نصب رسول الله ﷺ علياً عليه السلام يوم غدِير خُم وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد، فقدم على النبي ﷺ النعمان بن الحرث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها، ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك، أو أمر من عند الله؟ فقال: والله الذي لا إله إلا هو، إن هذا من الله، فولّى النعمان بن الحرث وهو يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، فرماه الله بحجر على رأسه فقتله، وأنزل الله تعالى: (سأل سائل بعذاب واقع). انتهى. أقول: وروي في شواهد التنزيل وفي كثير من التفاسير.

قال تعالى ﴿لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ ﴿٢١﴾

الجار والمجرور (للكافرين) متعلق بـ (عذاب) صفة له، وجملة النفي محلها صفة أخرى للفظ العذاب، أي: عذاب غير مدفوع ولا مردود.

قال تعالى ﴿مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ﴿٢٢﴾

شبه الجملة (من الله) متعلقة بـ (دافع)، أو بـ (عذاب)، وفيه حذف بتقدير: من جانب الله، و(ذي المعارج) توصيف للفظ الجلالة، جمع معرج، وهي درجات الملائكة ومساعدتهم التي يعرجون إليها عند رجوعهم إلى مقام العلو والملكوت.

قال تعالى ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ﴿٢٣﴾

العروج الصعود، وصيغة المضارع لاستحضار الحال، دال على أن المراد بالعروج يوم القيامة، حيث ينتهي إلى الله كل شيء ومنها رجوع الملائكة والروح إليه بعد سقوط أسباب ما وكلوا به من حوادث العالم.

ويبدو أن المراد بالروح الروح الذي من أمره تعالى قال سبحانه (قل الروح من أمر ربي) [الإسراء: ٨٥]، وهو - كما ذكر السيد في الميزان - غير

الملائكة وهو ظاهر قوله تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره) [النحل: ٢]. اهـ.

ومقدار يوم العروج بمعنى: أنه لو انطبق على يوم الدنيا لكان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا.

قال تعالى ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝﴾

الفاء للتفريع على السؤال الاستكباري الاستهزائي، والأمر بالصبر للنبي ﷺ واشتقاق المفعول المطلق منه لمشقة تحمل سؤال السائل، والصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى.

قال تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۝ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝﴾

الاستئناف التحقيقي تعليل لأمر الصبر، أي اصبر على أذاهم فإن العذاب واقع بهم قريباً وإن استبعدوه، وضمير الجمع في (إنهم) راجع إلى الكافرين، وفعل الرؤية اعتقادية، والهاء فيه راجعة إلى العذاب، وبين الجملتين مقابلة بديعية، ولفظ البعد والقرب للأماكن استعملت مجازاً لكمال قدرته تعالى.

قال تعالى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝﴾

الظرف (يوم) متعلق بلفظ (واقع) دليل على أن المراد به عذاب القيامة، لأن فيه تكون السماء كالمهل، وهو المذاب من معدن الفلزات كالذهب والنحاس، أو دردي الزيت، وذلك بسبب ارتطام أجرامها ببعض وتفجرها.

قال تعالى ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩﴾

أي: وتكون الجبال في ذلك اليوم كالصوف المصبوغ المتناثر في الهواء، تشبيهاً لألوان الجبال إذ منها كما قال تعالى (جدد بيض وحمر مختلف ألوانه وغرابيب سود) [فاطر: ٢٧]، والآية في معنى قوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) [القارعة: ٥].

قال تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

أي: ولا يسأل قريب قريباً عن أحواله في يوم القيامة لانشغال كل منهم بنفسه من شدة أهوال المطلع في ذلك اليوم، وتنكير لفظ الحميم للعموم.

قال تعالى ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۝١١﴾

وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصَّلَتْهُ أَلَّتِي تُوِيهِ ۝١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ

﴿١٤﴾

قوله (يبصرونهم) الاستئناف كأنه إجابة عن سؤال ناشئ مما سبق: هل يرى الأحماء في يوم القيامة أحماءهم؟ فأجيب بما ذكر في الآية.

التبصير مبالغة في الإراءة والإيضاح، وضميرا الجمع نائب الفاعل وضمير النصب عائد إلى الأحماء باعتبار معنى العموم فيه، والمعنى: يرى الأحماء الأحماء ويعرفون حال بعض ولكن لا يسأل بعضهم بعضا لشدة اشتغالهم بأنفسهم.

قوله (يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه) تصعيد في معنى التهويل يومئذ، فضلا عن نفي سؤال حميم حميما يتمنى المجرم لو أنه يفتدي نفسه من عذاب يومئذ بأعز من لديه من الخاصة والعامة.

والترتيب بحسب القرب والأهمية، فقدم البنين أولا ثم الزوجة فهي صاحبة الملازمة التي كانت سكنا له، ثم الأخ المناصر، ثم فصيلته أي عشيرته التي تضمه إليها، ثم ترقى تمنى الافتداء بكل عاقل في الأرض، كي يخلصه من عذاب النار.

قال تعالى ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى ۝١٥ ﴾

تفيد (كلا) النفي بزجر للمتمنى الافتداء من لظى، والاستئناف التحقيقي في (إنها لظى) لتعليل الردع، أي: لأن نار جهنم شأنها الاشتعال وتعذيب المجرمين لا تصرف عنهم بافتداء، ولفظ (لظى) صفة للنار المشتعلة الملهبة.

قال تعالى ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ۝١٦ ﴾

النصب على الاختصاص، أو على الحال المؤكدة، والنزع الاقتلاع، وصيغة فعالة للمبالغة في القلع والإحراق، والشوى الأطراف كالرجل واليد.

قال تعالى ﴿ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ ﴾

أي: تطلب إلى نفسها من أدبر عن الإيمان بالله وأعرض عن عبادته، ومن جمع مالا فأمسكه في وعائه، ولم ينفق منه على المحتاجين.

قال تعالى ﴿ * إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾

استئناف تحقيقي، بمنزلة التعليل للسبب الأولي الذي يدعو الإنسان إلى رذيلة الإدبار والتولي والجمع والايعاء.

وتعريف الإنسان للعموم، ونصب (هلوعا) على الحال، والصيغة مبالغة من سرعة الحرص على المال إن أصابه، وسرعة الجزع في المصيبة إن مسته، ومعنى خلقه هلوعا: أن شأنه النفسي ذلك، فهي طبيعة جبل عليها، وعللها العلامة الطباطبائي بقوله: اقتضت الحكمة الإلهية أن يخلق الإنسان عليها ليهتدي بها إلى ما فيه خيره وسعادته، غير أن الانسان يفسدها على نفسه ويسئ استعمالها في سبيل سعادته، فتسلك به إلى هلكة دائمة، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في جنات مكرمون. انتهى.

قال تعالى ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۖ ﴾

الجملتان الشرطيتان المتقابلتان في المعنى والمبنى تفسيران لخلق الإنسان هلوفاً، فهو جزوع شديد الجزع لا يصبر على أدنى مصيبة، وهو بعد منوع شديد المنع لا يعطي إذا أصاب الخير، وتعريف لفظ الشر والخير للإطلاق، ونصب (جزوعاً، ومنوعاً) على الحال بتقدير: خلق جزوعاً إذا مسه الشر، منوعاً إذا مسه الخير.

قال تعالى ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ ﴿٤٢﴾

الاستثناء من الإنسان المتصف بصفات الهلع، لإفادة الاتصاف بما يقابلها من النعوت الجميلة، وذكرت الصلاة أولاً لشرفها بين سائر الأعمال، ولأن أثرها بين في تهذيب نفس الإنسان ودفع الرذائل الخسيسة عنه ومنها الهلع، قال تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت: ٤٥].

قال تعالى ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

جملة بدل من لفظ (المصلين) أو صفة له، وتقديم شبه الجملة (على صلاتهم) للاهتمام، وإضافة الصلاة إلى ضمير المصلين دال على أن ما يأتون به من أعمال طيبة بأثر الصلاة دائم مستمر، وليس معناه أنهم دائماً في الصلاة، ففي تفسير القمي في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ثم استثنى فقال (إلا المصلين) فوصفهم بأحسن أعمالهم (الذين هم على صلاتهم دائمون) يقول: إذا فرض على نفسه شيئاً من النوافل دام

عليه. انتهى. وعلق السيد في الميزان فقال: استفاد عليه السلام هذا المعنى من إضافة الصلاة إلى ضمير (هم). انتهى.

قال تعالى ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾

صفة ثالثة للمستثنين، وهي إنفاقهم في سبيل الله، و(في) للملازمة الظرفية، والحق المعلوم ما فرضه الله تعالى على المال من حقوق الزكاة والصدقات للفقراء والمساكين، وفسره الصادق عليه السلام بقوله: الحق المعلوم ليس من الزكاة، وهو الشيء الذي تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة، وإن شئت كل يوم، ولكل ذي فضل فضله، وروي عنه أيضا أنه قال: هو أن تصل القرابة، وتعطي من حرمك، وتتصدق على من عاداك. ذكر في المجمع. انتهى.

قال تعالى ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

متعلق بـ (معلوم)، واللام للاختصاص وشبه الملك، والسائل الفقير الذي يسأل الناس أن يعطوه، ولفظ المحروم الفقير المتعفف الذي يحرم نفسه سؤال الناس العطية، ونقل عن صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام قال: المحروم المُحَارَف الذي قد حرم كد يمينه في الشراء والبيع، قال: وفي رواية أخرى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنهما قالَا: المحروم الرجل الذي ليس بعقله بأس ولم يبسط له في الرزق وهو مُحَارَف. ذكر في الكافي. انتهى.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ ﴿٦٦﴾

ثناء رابع على المستثنين المصلين وهو إيمانهم بالآخرة، لأن فيه تربية للنفس تجعلها تطلب الأعمال الصالحة وترتقب المثوبة عليها يوم الجزاء، وفي الثناء عليهم بهذه الصفة رد على المشركين المنكرين لها أشد الإنكار.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴾ ﴿٦٧﴾

صفة خامسة امتدح الله بها المؤمنين وهي خوفهم من عذابه تعالى يوم القيامة، خوفا يدفعهم إلى طلب العمل الصالح نظير جوهر تصديقهم بيوم الدين، وتقديم شبه الجملة (من عذاب ربهم) للاهتمام، والإشفاق الخوف والحذر، والله تعالى يحب أن يعبد خوفا من عقابه ورجاء في ثوابه، قال تعالى (وادعوه خوفا وطمعا) [الأعراف: ٥٦].

قال تعالى ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ ﴿٢٨﴾

تعليل للإشفاق بطريق الاستئناف التحقيقي، وهو أن عليهم أن يجتهدوا في طاعة الله وأن يخافوا التقصير دائما، وأنه ينبغي ألا يأمن أحد من عذابه تعالى.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾

صفة سادسة أثنى بها الله عليهم، أي: عفاة، حافظون لفروجهم من الوقوع في الفاحشة والحرام، يراعون حدود الله في ذلك، والفرج أصله الشق يطلق كناية عن عورة الذكر والأنثى، وممر الوقوف على نظيرها في سورة المؤمنون.

قال تعالى ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ



استثناء من الحفظ، أي: إلا حلائلهم من أزواجهم أو إمائهم اللواتي كنى عنهن بملك اليمين، فلا ملامة أو مؤاخذه على ترك حفظ الفرج.

وحرف الجر (على) محمول على المعنى، بتقدير: فإنهم يلامون على غير أزواجهم، أو كما قيل: بمعنى: من، أي: إلا من أزواجهم.

قال تعالى ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

الفاء للتفريع، أي: فمن طلب المناكح بغير ما ذكر في حصر ترك الفرج في الأزواج والمملوكات مما أباحها الله فقد وقع في الظلم وتجاوز الحد.

و(من) اسم شرط، والابتغاء تكلف في الطلب، ولفظ وراء ظرف استعاري، واسم الإشارة أشير به إلى الأزواج والمملوكات، والفاء في (أولئك) واقعة في الجزاء، ولفظ الإشارة للتنبيه إلى أن ما سيخبر عنهم

أحرياء به، وضمير الفصل (هم) وآل (العادون) قصران، والعادي الباغي الظالم.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴾ (٢٢)

صفة ثناء سابعة، وهي مراعاتهم لأداء مطلق الأمانات والعهد الذي قطعوه على أنفسهم، فلا يخلون بشيء من حقوقها، وجمل الثناء كلها صيغت بالجمل الموصولة التي تقدم في صلتها المعمول على العامل لإفادة العناية والاهتمام.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ إِشْهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ (٢٣)

صفة ثناء ثامنة، أي: يؤدون شهاداتهم على أتم وجه لا يجاملون طرفاً مشهوداً له على حساب طرف مشهود عليه، بل يقومون عليها على أكمل وجه لتحقيق العدل، ومضمون الجملة وإن كان داخلاً في مراعاة العهد، إلا أن إفراده بالذكر للاهتمام به.

قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ (٢٤)

أعيد ذكر الصلاة أولاً وآخراً في تعداد الصفات الجميلة للمؤمنين دليل على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات، وقيل: إن المحافظة على الصلاة غير الدوام عليها، فإن الدوام متعلق بنفس الصلاة والمحافظة بكيفيتها فلا تكرار في ذكر المحافظة عليها بعد ذكر الدوام عليها.

وعَيَّن الإمام الرضا عليه السلام صفة الاستمرار فقال فيما روي عنه: أولئك أصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا. نقل في المجمع. انتهى.

وفعل الحفظ مجاز في مراعاة أداء الصلاة في أوقاتها وشرائطها وسننها، وصيغة المضارع دالة على الاستمرار والتجدد، بينما في آية حفظ الفروج جاءت بصيغة اسم الفاعل للدلالة على أن شأنهم العفة في ذلك.

وصيغت جمل الثناء بأسلوب الجمل الموصولة التي تقدم في صلتها المعمول على العامل لإفادة العناية والاهتمام، والإتيان بها منفردة مستقلة الجمل للإشارة إلى جلال كل صفة فيها، لما يستتبعها من أحكام جليلة كثيرة.

قال تعالى ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

لفظ الإشارة إلى (المصلين) المتصفين بما سبق للتنويه بما يخبر عنهم، و(في) للملابسة الظرفية، أي: مستقرون، وتكثير (جنات) للتعظيم والتفخيم، و(مكرمون) خبر، والمعنى: أولئك المصلون المتصفون بالنعوت الجميلة مكرمون مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها.

ومن بديع نظم الآيات في السورة اشتمال فواصلها على ألفاظ سجعية جاءت في غاية التبعية للمعاني بدليل تنوعها.

قال تعالى ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾

الفاء للتفريع على مضمون جزاء المؤمنين بالجنات، والاستفهام للإنكار والتعجيب من حال الكافرين المجتمعين حول النبي ﷺ يستمعون إليه وهم لا يؤمنون به، بل يتفرقون عزين بالتكذيب عليه، وصيغة الاستفهام: فما للذين كفروا: بمعنى: أي شيء ثبت لهم، والظرف (قبلك) بمعنى حولك ومما يليك، والخطاب فيه للنبي ﷺ، ونصب (مهطعين) على الحال، والإهطاع الإسراع: قل في المجمع: قال الزجاج: المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، وذلك من نظر العدو. انتهى.

وقيل: إن المقصود بـ (الذين كفروا) المنافقون، وهو الأوفق بالنظر إلى سياق الآيات بعدها، وفي مواضع سماهم القرآن بذلك، وعلى هذا الرأي يتأكد أن بعض الآيات مدنية.

قال تعالى ﴿عَنِ الِّيمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ ﴿٣٧﴾

الظرف متعلق بالحال (مهطعين)، لإفادة إحاطة الكفار بالنبي ﷺ في مجلسه، ولفظ (عزين) بمعنى جماعات شتى كل جماعة تفترق عن الأخرى، والنصب على الحال، وقال الشيخ الطوسي في التبيان: وجمع بالواو والنون، لأنه عوض مما حذف منه، مثل سنة وسنون، وأصل عزة عزوة من عزاه يعزوه، إذا أضافه إلى غيره، فكل واحدة من هذه الجماعة مضافة إلى الأخرى. انتهى.

ومن استعمال اللفظ ما روي في الدر بإسناده عن عبادة بن أنس قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فقال: مالي أراكم عزيزين، حلقا حلق الجاهلية، قعد رجل خلف أخيه. انتهى.

قال تعالى ﴿أَيُّطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ﴿٣٨﴾

استفهام إنكاري مشوب بالتهكم بعقول الكفار، لأنهم كانوا يزعمون أنهم يدخلون الجنة قبل أصحاب محمد ﷺ، أي: كيف يطمع كل واحد من الكفار أن يدخل جنة نعيم من دون إيمان وعمل.

والإفراد في فعل الطمع لخصوص تحقيق النفع العائد على الفرد، كون عمله الصالح الخاص به يدفع به إلى الإيمان، بينما الجمع في (مهطعين) لا يدخل فيه ذلك المعنى.

وفي دلالة الفعل (يُدخل) المبني للمجهول إشارة إلى أنهم إذا قدر لهم الدخول إلى الجنة فبإذن الله الذي يدخل الجنة من أطاعه لا من عصاه وأشرك به.

قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْمُونَ﴾ ﴿٣٩﴾

النفي بـ (كلا) ردع وزجر لطمع الكافرين والمنافقين في دخول الجنة من دون إيمان وعمل، والاستئناف التحقيقي تعليل للردع، معناه: إن الله الذي خلقهم من نطفة - وهم يعلمون به - قادر على أن يبدلهم آخرين خيرا منهم

يؤمنون بالله ولا يستهزئون بنبيه، وليس لأحد نقض حكمه تعالى في ألا يدخل الجنة كافر، وقيل في معنى التعليل أقوال آخر، لمن يرغب بمزيد الاطلاع، وما ذكر أنسبها، وعلى هذا التفسير فإن معنى (من) في (مما) ابتدائية.

قال تعالى ﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾

قوله (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) الفاء للتفريع، والنفي أسلوب في تأكيد مضمون المقسم عليه، بمعنى أنه مسلم به لا يحتاج القسم لتحقيقه، وفي إسناد القسم إلى نفسه تعالى التفات من ضمير الجمع في (إننا خلقناهم) إلى ضمير الأفراد في (أقسم) لإفادة مزيد التأكيد، والعدول من ضمير التكلم الإفرادي إلى الغيبة في (رب المشرق والمغرب) للإشارة إلى ربوبيته للناس جيلا بعد جيل الذي كنى به بذكر ربوبيته للمشارك والمغرب، لأن مشرق الشمس ومغربها يوما بعد يوم وجيلا بعد جيل لازمه كرور الأيام وتكاثر الناس.

وفي خصوص ذكر ربوبيته تعالى للمشارك والمغرب تعليل لنفي القسم، وتعليل لكمال القدرة بعده في قوله (إننا لقادرون).

قوله (إننا لقادرون) الإخبار عدول بالكلام من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم الجمعي، لبيان العظمة في كمال القدرة.

قال تعالى ﴿ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾

قوله (على أن نبذل خيرا منهم) شبه الجملة متعلق بـ (قادرون)، والفعل (نبذل) يأخذ مفعولين الأول ضمير مستكن فيه بتقدير: نبذلهم، و(خيرا) مفعوله الثاني، صفة لموصوف محذوف تقديره: قوما خيرا منهم، ومضمون الكلام يؤيد كونه يعني المنافقين أكثر من الكافرين لأن الكافرين لا خير فيهم أصلا.

قوله (وما نحن بمسبوقين) أي: وما نحن بمغلوبين مقهورين من منعنا تبديل قوم بقوم، ولفظ السبق استعارة للغلبة.

قال تعالى ﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ



قوله (فذرهم يخوضوا ويلعبوا) الفاء للتفريع، والأمر للنبي ﷺ، يأمره فيه أن يتركهم، ولا يتعب نفسه في وعظهم، وكنى عن شأنهم في التظاهر بالإيمان واستبطان الكفر - على تأييد كون المراد المنافقون - بالخوض واللعب لأنه من دون انتفاع ولا يصل بهم إلى غاية مرجوة، كاللعب الذي يقضى ولا غرض وراءه، وجزم الفعلين لوقوعه جوابا للأمر (ذرهم).

قوله (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي: إلى أن يلاقوا يوم عذابهم في يوم القيامة الذي وعدوا به، وإضافة اليوم إلى أنفسهم لاختصاصهم به في ذلك اليوم.

قال تعالى ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ



قوله (يوم يخرجون من الأجداث سراعا) بدل تفسير مما سبق، والمراد بعثهم من قبورهم أحياء للحشر والوقوف للحساب، وفعل الخروج دال على استتارهم في قبور الأرض، و(من) ابتدائية، ولفظ الأجداث جمع حدث وهو القبر، و(سراعا) جمع مفردة: سريع، ونصبه على الحال، أي: مسرعين، وإسناد السرعة المضمن إليهم على سبيل المجاز العقلي لأنهم في الحقيقة يساقون إلى الحشر سواقا.

قوله (كانهم إلى نصب يوفضون) التشبيه لتصوير ما كانوا عليه في فساد الاعتقاد، أدمج بأسلوب غاية في البلاغة بين ما كانوا عليه من شرك وبين ما أصبحوا عليه في تمثيل حشرهم.

وتقديم شبه الجملة للاهتمام، ولفظ النصب يقال لكل ما نصب فعبد من دون الله، وتنكيره في الكلام لتحقيره، والإيفاض الإسراع، وجملة التشبيه بمجملها محلها الحال.

قال تعالى ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) النصب على الحال، والتركيبان كناية قرآنية متكررة عن شدة ذلتهم وهم يحشرون، والرهق الغشيان.

قوله (ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) اسم الإشارة لاستحضار ما تقدم من الخروج من الأجداث وخشوع الأبصار ورهق الذلة واختصاره، وتعريف اليوم للعهد، أي يوم الحشر الذي كانوا يعدهم به المرسلون ويحذرونهم منه، والله أعلم.

تفسير سورة المجادلة

- ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (١) ﴿ ﴾ ٣-١
- ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ... ﴾ (٢) ﴿ ﴾ ٤-٣
- ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ ... ﴾ (٣) ﴿ ﴾ ٦-٥
- ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ... ﴾ (٤) ﴿ ﴾ ٧-٦
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبُتُوا كَمَا كَبَتَ الَّذِينَ ... ﴾ (٥) ﴿ ﴾ ٨-٧
- ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ ... ﴾ (٦) ﴿ ﴾ ٩-٨
- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا ... ﴾ (٧) ﴿ ﴾ ١١-٩
- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا ... ﴾ (٨) ﴿ ﴾ ١٤-١٢
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ ... ﴾ (٩) ﴿ ﴾ ١٥-١٤
- ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ ... ﴾ (١٠) ﴿ ﴾ ١٦-١٥
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ... ﴾ (١١) ﴿ ﴾ ١٨-١٦
- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ ... ﴾ (١٢) ﴿ ﴾ ١٩-١٨
- ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَتْ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا ... ﴾ (١٣) ﴿ ﴾ ٢١-١٩

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ ... ﴾ (١٤) ٢٢-٢١

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٥) ٢٢

﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (١٦) ٢٣

﴿ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ ... ﴾ (١٧) ... ٢٤-٢٣

﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ... ﴾ (١٨) ٢٥-٢٤

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبٌ ... ﴾ (١٩) ٢٦-٢٥

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرُسُلَهُ أُولَئِكَ فِي الْآذَانِ ﴾ (٢٠) ٢٦

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢١) ٢٨-٢٦

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ ... ﴾ (٢٢) ٣٠-٢٨

تفسير سورة الحشر

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ... ﴾ (١) ٣٢-٣١

﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ ... ﴾ (٢) ٣٦-٣٢

﴿ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَائَ لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا ... ﴾ (٣) ٣٧-٣٦

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ ۖ ﴿٤﴾ ... ٣٧

﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَاطِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا ... ﴿٥﴾ ... ٣٨-٣٧

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ... ﴿٦﴾ ... ٣٩-٣٨

﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴿٧﴾ ٤١-٤٠

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ... ﴿٨﴾ ٤٢-٤١

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ ... ﴿٩﴾ ٤٥-٤٢

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ... ﴿١٠﴾ ... ٤٦-٤٥

﴿ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ ... ﴿١١﴾ ٤٧-٤٦

﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ ... ﴿١٢﴾ ... ٤٨-٤٧

﴿ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ ... ﴿١٣﴾ ٤٩-٤٨

﴿ لَا يَقْتُلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُخْتَصِنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ ... ﴿١٤﴾ ٥٠-٤٩

﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ ... ﴿١٥﴾ ... ٥٠

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ ... ﴿١٦﴾ ... ٥٢-٥١

﴿ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ... ﴿١٧﴾ ٥٣-٥٢

- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ ... ﴾ (١٨) ٥٤-٥٣
- ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ ... ﴾ (١٩) ٥٤
- ﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ ... ﴾ (٢٠) ٥٥-٥٤
- ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشَعًا ... ﴾ (٢١) ٥٦-٥٥
- ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ... ﴾ (٢٢) ... ٥٦
- ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ... ﴾ (٢٣) ٥٧
- ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ... ﴾ (٢٤) ... ٥٩-٥٨

تفسير سورة الممتحنة

- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ... ﴾ (١) ٦٣-٦٠
- ﴿ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ ... ﴾ (٢) ٦٤-٦٣
- ﴿ لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ... ﴾ (٣) ٦٤
- ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا ... ﴾ (٤) ... ٦٧-٦٥
- ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ ... ﴾ (٥) ٦٧
- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ ... ﴾ (٦) ... ٦٨-٦٧

- ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾ ٧ ٦٨
- ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ ﴾ ٨ ٦٩
- ﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ ﴾ ٩ ٧٠-٦٩
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ ١٠ ٧٤-٧٠
- ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُهُمْ فَاقَاتُوا ﴾ ١١ ٧٥-٧٤
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ ﴾ ١٢ ٧٧-٧٥
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ ﴾ ١٣ ٧٩-٧٧

تفسير سورة الصف

- ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ ﴾ ١ ٨١-٨٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ٢ ٨١
- ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ٣ ٨١
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ﴾ ٤ ٨٢
- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ لِمَ تُؤَدُّونَنِي وَقَدْ ﴾ ٥ ٨٤-٨٢

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا ... ﴿٦﴾﴾ ... ٨٨-٨٤

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ... ﴿٧﴾﴾ ٨٩-٨٨

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ ... ﴿٨﴾﴾ ٩٠-٨٩

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ ... ﴿٩﴾﴾ ٩١-٩٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَجَرُّعِ تُجِيجِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ... ﴿١٠﴾﴾ ٩٢-٩١

﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ... ﴿١١﴾﴾ ... ٩٣-٩٢

﴿يَعْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴿١٢﴾﴾ ٩٤-٩٣

﴿وَأُخْرَى تَجُوبُهَا نَضْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴿١٣﴾﴾ ٩٥-٩٤

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ... ﴿١٤﴾﴾ ... ٩٧-٩٥

تفسير سورة الجمعة

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ... ﴿١﴾﴾ ٩٩-٩٨

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ... ﴿٢﴾﴾ ... ١٠١-٩٩

﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... ﴿٣﴾﴾ ١٠٢

- ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ ... ﴾ ﴿٤﴾ ١٠٢-١٠٣
- ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ... ﴾ ﴿٥﴾ ١٠٣-١٠٤
- ﴿ قُلْ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ ... ﴾ ﴿٦﴾ ... ١٠٤-١٠٦
- ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ... ﴾ ﴿٧﴾ ١٠٦-١٠٧
- ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ... ﴾ ﴿٨﴾ ١٠٧-١٠٨
- ﴿ يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ... ﴾ ﴿٩﴾ ١٠٨-١١٠
- ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ... ﴾ ﴿١٠﴾ ١١٠-١١١
- ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ... ﴾ ﴿١١﴾ ... ١١١-١١٢

تفسير سورة المنافقون

- ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ ... ﴾ ﴿١﴾ ... ١١٣-١١٦
- ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ ... ﴾ ﴿٢﴾ ... ١١٦-١١٧
- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ ... ﴾ ﴿٣﴾ ١١٧-١١٨
- ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ ... ﴾ ﴿٤﴾ ١١٨-١٢٠

- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ ... ﴿٥﴾ ١٢٠-١٢١
- ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... ﴿٦﴾ ١٢١
- ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولٍ ... ﴿٧﴾ ... ١٢٢-١٢٣
- ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ ... ﴿٨﴾ ... ١٢٣-١٢٤
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا ... ﴿٩﴾ ١٢٤
- ﴿وَانْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ... ﴿١٠﴾ ١٢٥-١٢٦
- ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا ... ﴿١١﴾ ... ١٢٦-١٢٧

تفسير سورة التغابن

- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِلَّهِ الْمُلْكُ ... ﴿١﴾ ١٢٨-١٢٩
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا ... ﴿٢﴾ ١٢٩
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ ... ﴿٣﴾ ١٣٠
- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا ... ﴿٤﴾ ... ١٣٠-١٣١
- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ ... ﴿٥﴾ ... ١٣١-١٣٢

- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ ... ﴾ ﴿٦﴾ ... ١٣٣-١٣٢
- ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ... ﴾ ﴿٧﴾ ... ١٣٤-١٣٣
- ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا ... ﴾ ﴿٨﴾ ١٣٥-١٣٤
- ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ ... ﴾ ﴿٩﴾ ... ١٣٧-١٣٥
- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ... ﴾ ﴿١٠﴾ ١٣٧
- ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ ... ﴾ ﴿١١﴾ ١٣٨-١٣٧
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا ... ﴾ ﴿١٢﴾ ... ١٣٩-١٣٨
- ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ... ﴾ ﴿١٣﴾ ١٤٠-١٣٩
- ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ ... ﴾ ﴿١٤﴾ ١٤١-١٤٠
- ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ ... ﴾ ﴿١٥﴾ ١٤٢-١٤١
- ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَنْفِقُوا ... ﴾ ﴿١٦﴾ ١٤٣-١٤٢
- ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ ... ﴾ ﴿١٧﴾ ١٤٤-١٤٣
- ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ﴿١٨﴾ ١٤٤

تفسير سورة الطلاق

- ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِذَّتِهِنَّ ... ﴾ (١) ١٤٨-١٤٥
- ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرِوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ ... ﴾ (٢) ١٥٠-١٤٨
- ﴿ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ... ﴾ (٣) ١٥١-١٥٠
- ﴿ وَالَّتِي يَدِّسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ... ﴾ (٤) ١٥٣-١٥٢
- ﴿ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ ... ﴾ (٥) ١٥٣
- ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُنَّ ... ﴾ (٦) ١٥٥-١٥٣
- ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ ... ﴾ (٧) ١٥٦-١٥٥
- ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا ... ﴾ (٨) ١٥٧-١٥٦
- ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ... ﴾ (٩) ١٥٧
- ﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ... ﴾ (١٠) ١٥٨-١٥٧
- ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ ... ﴾ (١١) ١٦٠-١٥٨
- ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ... ﴾ (١٢) ... ١٦١-١٦٠

تفسير سورة التحريم

- ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ ... ﴿١﴾﴾ ١٦٦-١٦٢
- ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ ١٦٦
- ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ ... ﴿٣﴾﴾ ... ١٦٨-١٦٧
- ﴿إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا ... ﴿٤﴾﴾ ١٧٠-١٦٨
- ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ ... ﴿٥﴾﴾ ١٧١-١٧٠
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ... ﴿٦﴾﴾ ١٧٢-١٧١
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ ... ﴿٧﴾﴾ ١٧٣-١٧٢
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ ... ﴿٨﴾﴾ ... ١٧٦-١٧٣
- ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ... ﴿٩﴾﴾ ١٧٦
- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ ... ﴿١٠﴾﴾ ١٧٨-١٧٧
- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ ... ﴿١١﴾﴾ ١٨٠-١٧٨
- ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ... ﴿١٢﴾﴾ ١٨١-١٨٠

تفسير سورة الملك

- ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) ١٨٢
- ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾ (٢) ١٨٤-١٨٣
- ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ ... ﴾ (٣) ... ١٨٥-١٨٤
- ﴿ ثُمَّ أَرْجَعَ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا ... ﴾ (٤) ١٨٦-١٨٥
- ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا ... ﴾ (٥) ١٨٧-١٨٦
- ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَّسُ الْمَصِيرُ ﴾ (٦) ١٨٧
- ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴾ (٧) ١٨٨
- ﴿ نَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا ... ﴾ (٨) ١٩٠-١٨٨
- ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ... ﴾ (٩) ... ١٩١-١٩٠
- ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١٠) ١٩١
- ﴿ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١١) ١٩٢-١٩١
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ... ﴾ (١٢) ١٩٣-١٩٢
- ﴿ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) ١٩٤-١٩٣

- ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤) ١٩٤
- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ... ﴾ (١٥) ١٩٥-١٩٤
- ﴿ ءَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا ... ﴾ (١٦) ١٩٦-١٩٥
- ﴿ أَمْ أَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ... ﴾ (١٧) ١٩٧-١٩٦
- ﴿ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾ (١٨) ١٩٧
- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتِ وَيَقِضْنَ مَا ... ﴾ (١٩) ٢٠٠-١٩٧
- ﴿ أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ... ﴾ (٢٠) ٢٠١-٢٠٠
- ﴿ أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا ... ﴾ (٢١) ٢٠٢-٢٠١
- ﴿ أَمْنَ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا ... ﴾ (٢٢) ٢٠٣-٢٠٢
- ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ ... ﴾ (٢٣) ٢٠٤-٢٠٣
- ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢٤) ٢٠٤
- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٢٥) ٢٠٥-٢٠٤
- ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٦) ٢٠٥
- ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا ... ﴾ (٢٧) ٢٠٦-٢٠٥

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي أَلَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ ... ﴾ ﴿٢٨﴾ ٢٠٧-٢٠٦

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ... ﴾ ﴿٢٩﴾ ٢٠٨-٢٠٧

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ ﴿٣٠﴾ ٢٠٨

تفسير سورة القلم

﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ﴿١﴾ ٢١٠-٢٠٩

﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ ﴿٢﴾ ٢١١-٢١٠

﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ ﴿٣﴾ ٢١١

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿٤﴾ ٢١٣-٢١١

﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ﴿٥﴾ ٢١٣

﴿ بِأَبْيَعِكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ ﴿٦﴾ ٢١٤-٢١٣

﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ ... ﴾ ﴿٧﴾ ٢١٤

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ ﴿٨﴾ ٢١٥-٢١٤

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ﴿٩﴾ ٢١٥

﴿ وَلَا تَطْعَ كُلَّ حَلَاٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿١٠﴾ ٢١٦-٢١٥

﴿ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ ﴿١١﴾ ٢١٦

﴿ مَنَاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ ﴿١٢﴾ ٢١٧

﴿ عُتْلٍ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ﴿١٣﴾ ٢١٨-٢١٧

﴿ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَنَبِيٍّ ﴾ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ ... ﴿١٥﴾ ٢١٩

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُومِ ﴾ ﴿١٦﴾ ٢٢٠-٢١٩

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ ﴿١٧﴾ ٢٢١-٢٢٠

﴿ وَلَا يَسْتَنُونَ ﴾ ﴿١٨﴾ ٢٢١

﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيرِ ﴿٢٠﴾ ٢٢٢-٢٢١

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ ﴿٢١﴾ ٢٢٢

﴿ أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ ﴿٢٢﴾ ٢٢٣-٢٢٢

﴿ فَأَنظَلُّوْهُمُ وَهُمْ ... ﴾ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ ... ﴿٢٤﴾ وَعَدَوْا عَلَى ... ﴿٢٥﴾ ٢٢٣

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ ٢٢٤-٢٢٣

﴿ بَلْ لَّحْنٌ مَّحْرُومُونَ ﴾ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ ٢٢٤

﴿ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾ ٢٢٥-٢٢٤

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَدُّكَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ ٢٢٥

﴿ عَسَى رَبَّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ ٢٢٦-٢٢٥

﴿ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٣﴾ ٢٢٦

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾ ﴿٣٤﴾ ٢٢٧-٢٢٦

﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ ٢٢٧

﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾ ٢٢٨-٢٢٧

﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾ ٢٢٨

﴿ أَمْ لَكُمْ أَيْمُنٌ عَلَيْنَا بَلِغْتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ ... ﴾ ﴿٣٩﴾ ٢٢٩-٢٢٨

﴿ سَأَلَهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴾ ﴿٤٠﴾ ٢٢٩

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ ٢٣٠

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا ... ﴾ ﴿٤٢﴾ ٢٣١-٢٣٠

﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى ... ﴾ ﴿٤٣﴾ ٢٣٢-٢٣١

﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ ... ﴾ ﴿٤٤﴾ ٢٣٤-٢٣٣

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ ٢٣٤

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّعْرَمٍ مَّنْقُلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ ٢٣٥-٢٣٤

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ٢٣٦-٢٣٥

﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ ... ﴿٤٨﴾﴾ ٢٣٧-٢٣٦

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ ٢٣٨-٢٣٧

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ٢٣٨

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا ... ﴿٥١﴾﴾ ٢٤٠-٢٣٩

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ ٢٤١-٢٤٠

تفسير سورة الحاقة

﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾﴾ ٢٤٢

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾﴾ ٢٤٣-٢٤٢

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾ ٢٤٣

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَاهُ إِلَى طَائِفَةٍ ﴿٥﴾﴾ ٢٤٤-٢٤٣

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ ٢٤٤

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا ... ﴿٧﴾﴾ ... ٢٤٥-٢٤٦

﴿فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ ٢٤٦

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾ ٢٤٦-٢٤٧

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾﴾ ٢٤٧

﴿إِنَّا لَمَّا طَعَا الْمَاءُ حَمَلَكُمُ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ ٢٤٧-٢٤٨

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَّعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ ٢٤٨-٢٤٩

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَهُ وَاحِدَةً ﴿١٣﴾﴾ ٢٤٩

﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ... ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ... ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتْ ... ﴿١٦﴾﴾ ٢٥٠

﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿١٧﴾﴾ ٢٥١

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ ٢٥١-٢٥٢

﴿فَأَمَّا مَن أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾﴾ ٢٥٢-٢٥٣

﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ ٢٥٣

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ فُطُوهُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا ... ﴿٢٤﴾﴾ ٢٥٤

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ... ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا ... ﴿٢٦﴾ يَلَيَّهَا كَانَتْ ... ﴿٢٧﴾﴾ ... ٢٥٥

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾﴾ ٢٥٦-٢٥٥

﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ ٢٥٦

﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ... ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ ... ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ ... ﴿٣٤﴾﴾ ... ٢٥٧

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ ٢٥٨-٢٥٧

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ٢٥٨

﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ ٢٥٩-٢٥٨

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصُرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ٢٥٩

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا ... ﴿٤١﴾﴾ ٢٦٠

﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ ٢٦١-٢٦٠

﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا ... ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ ... ﴿٤٥﴾﴾ ... ٢٦١

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ ... ﴿٤٧﴾﴾ ٢٦٣-٢٦٢

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَنَا لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ ... ﴿٤٩﴾﴾ ٢٦٣

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ ٢٦٤-٢٦٣

﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ ٢٦٤

تفسير سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ ٢٦٦-٢٦٥

﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾﴾ ٢٦٧

﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ ... ﴿٤﴾﴾ ٢٦٧-٢٦٨

﴿فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ ٢٦٨

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ ٢٦٨-٢٦٩

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيٌّ حِمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ ٢٦٩

﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي ... ﴿١١﴾ وَصَحْبَتَهُ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾﴾ ٢٦٩-٢٧٠

﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي نُفِيتُ مِنْهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ ٢٦٩-٢٧٠

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى ﴿١٥﴾﴾ ٢٧٠

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى ﴿١٦﴾﴾ ٢٧٠-٢٧١

﴿نَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿١٨﴾﴾ ٢٧١

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾ ١٩ ٢٧١

﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ ٢٠ ٢٧٢-٢٧١

﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ ٢١ ٢٧٢

﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ ٢٢ ٢٧٣-٢٧٢

﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ٢٣ ٢٧٣

﴿ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ ۖ ... ﴾ ٢٤ ٢٧٤

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ ٢٥ ٢٧٥-٢٧٤

﴿ إِلَّا عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ ٢٦ ٢٧٥

﴿ فَمَنْ أَسْبَغَ ذَاكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ ٢٧ ٢٧٦-٢٧٥

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ ٢٨ ٢٧٦

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ٢٩ ٢٧٧-٢٧٦

﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ ٣٠ ٢٧٧

﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾ ٣١ ٢٧٨-٢٧٧

﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ ٣٢ ٢٧٩-٢٧٨

﴿ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ ﴿٣٨﴾ ٢٧٩

﴿ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْمُونَ ﴾ ﴿٣٩﴾ ٢٨٠-٢٧٩

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾ ٢٨٠

﴿ عَلَىٰ أَن تُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ ﴿٤١﴾ ٢٨١-٢٨٠

﴿ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ ٢٨١

﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفَضُونَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ٢٨٢

﴿ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ ... ٢٨٣-٢٨٢

